

أردنا بمناسبة اليوبيل الذهبي لإنشاء المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، وبعد خمسين عاما من الجهد الأمل الرامي إلى الحفاظ على واحد من أهم عمدہ ، مجلته الغراء ، تكريم هؤلاء الذين حولوا هذا الحلم الوعاد إلى واقع ملموس.

وإيماناً منا بالدور الذي قامت وتقوم به مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية باعتبارها نقطة وصل وتواصل بين المستغلين بالدراسات العربية من الإسبان والإسبانية من العرب ، نرى أنه بات علينا أن نستغل معطيات عصر التكنولوجيا لتخليد شهادات وأبحاث ثقافة الفكر والعلم من العرب والإسبان المدونة على ما يربو على ثلاثين ألف صفحة في ثلاثين مجلدا ، تراث ثُرٍ غائر الأعمق من الإبداع والدرس والبحث في ثمار واحدة من أهم الحضارات التي ورثتها البشرية: الحضارة الإسبانية العربية ...

إن هذا القرص، الذي تحمله بين يديك أيها القارئ الكريم، الذي يضم في ثنايا موجاته المغناطيسية كنزاً تراكم على مر خمسين عاما، يرتو إلى أن يكون احتفاء بالمستقبل وبالأجيال الجديدة التي تواصل مهمة إثراء هذا الكنز المعرفي الذي نهديه لك ولأنفسنا ولكل المعنين بالتراث العربي الأندلسي في هذا القرص الصغير في حجمه الكبير في معناه.

ولنا اعتنام هذه المناسبة لنعرب عن عميق امتناننا، وجزيل شكرنا لكل من شاركتنا وأسهم في هذا الجهد طوال السنوات الماضية .

أ.د. محمود السيد على

المستشار الثقافي لجمهورية مصر العربية

مدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية

- مدرب في الثاني عشر من أكتوبر ١٩٩٩ -

# مِجَلَّةُ الْمَعَهْدِ الْمُصْرِيِّ

## لِلدراساتِ الِاسْلَامِيَّةِ فِي مَدْرِيدِ

يصدرها المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد

رئيس التحرير : مدير المعهد المصري في مدريد

تصدر عددين في العام

الاشتراك السنوي : ٨٠ بسيطة إسبانية في العام ( ٤٠ بسيطة عن كل عدد )

أو ٨٠ قرشاً مصرياً أو دولاران ونصف

العنوان : المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ماتيلاس موتيريو رقم ١٤ مدريد ، إسبانيا

المجلد الأول

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

المدد الثالث

طبعت بمطبعة المعهد المصري في مصر

١٩٥٥

## أبحاث ونوصوص

- |                                    |  |
|------------------------------------|--|
| عبد العزيز محمد الأهواني . . . . . | صلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكميلة لابن عبد الملك . . . . .  |
| جودة عبد الرحمن هلال . . . . .     | مقدمة لوصية القاضي أبي الوليد الباجي ولديه . . . . .             |
| ابن الصفار . . . . .               | كتاب العمل بالاسطرلاب نشر ميسا ياكروزا . . . . .                 |
| قدري حافظ طوقات . . . . .          | الزعنة العلمية في التراث العربي . . . . .                        |
| حسين مؤنس . . . . .                | نوصوص سياسة عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين . . . . . |
| جمال محمد محرز . . . . .           | مصحف مذهب من العصر الغرناطي . . . . .                            |

### باب التعريف

- |  |               |
|--|---------------|
| كتاب التحفة المطيبة ، في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة تأليف العلامة الإمام |               |
| الخلالى محمد بن خضر الروى الحنفى . . . . .   | ١٤٩ . . . . . |

### باب الكتب وال مجلات

- |   |               |
|---|---------------|
| بعث الدراسات اليونانية والرومانية في مصر الحديثة لحمد صقر خفاجة . . . . .                       | ١٥٩ . . . . . |
| طبقات التجويفين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الربيدى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . . . . . | ١٦٥ . . . . . |
| مقدمتان في علم القراءات لابن عطية الغرناطى تحقيق آرثر جفرى . . . . .                            | ١٦٨ . . . . . |
| ثلاثة رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحاسب تحقيق الأستاذ ليلى بروفنسال . . . . .                | ١٧٠ . . . . . |
| سيرة الأستاذ جوزر تصنيف أبى على منصور العزيزى الجوزرى تحقيق الدكتور كامل                        |               |
| حسين وعبد المادى شعيرة . . . . .  | ١٧٣ . . . . . |
| مجلة معهد المخطوطات العربية . . . . .   | ١٧٤ . . . . . |

### أباء

١ — المعهد المصرى بمدرىد :

- |  |               |
|--|---------------|
| سجل صور الآثار — متحف الفن الإسلامي — المطبوعات . . . . .                                      | ١٧٧ . . . . . |
| القاموس الإسبانى العربى — العربى الإسبانى — المحاضرات العامة التى ألقاها بدار المعهد . . . . . | ١٧٨ . . . . . |
| رسائل الدكتوراه . . . . .  | ١٧٩ . . . . . |
| معرض الفنان محمد صبرى . . . . .  | ١٨٠ . . . . . |

ب — أباء أخرى :

- |  |               |
|--|---------------|
| حلقة الدراسات العربية . . . . .                                  | ١٨٠ . . . . . |
| المعهد الإسبانى — العربى للثقافة . . . . .                       | ١٨١ . . . . . |
| ملخصات المقالات المنشورة فى القسم الأولى من هذا المجلد . . . . . | ١٨٣ . . . . . |



## صلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكميلة لابن عبد الملک

نشر الأستاذ لييف بروفنسال في عام ١٩٣٨ في الرباط قطعة من كتاب صلة الصلة لأبي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير (٦٢٧ - ٧٠٨ هـ)<sup>(١)</sup> أصلها موجود في المخازنة الكتانية بفاس . وهذه القطعة تبدأ بمن اسمه عبد العزيز من الغرباء ، وتنتهي بيوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن المرينة . والأصل الذي اعتمد عليه المستشرق الفرنسي مبتور الأول والآخر ، غير مثبت عليه عنوان الكتاب ولا اسم المؤلف . ولكن الأستاذ حقق نسبة الكتاب وعنوانه معتمداً على مراجعة بعض تراجحه بما ورد في الإحاطة للسان الدين ابن الخطيب وما ورد في كتاب التكميلة لابن الأبار<sup>(٢)</sup> . والنسخة الجديدة من صلة الصلة — وفيها العنوان باسم المؤلف — تؤيد النتيجة التي انتهى إليها الأستاذ الحقق .

(١) زيادة على المراجع التي ذكرها لييف بروفنسال عن ترجمة ابن الزبير في مقدمة نشرته لصلة الصلة نصيف :

١ — غایة النهاية في طبقات القراء لابن الجزری (م سنة ٨٣٣) نشره Bergstrasser — القاهرة سنة ١٩٣٢ . ج ١ ص ٣٢ ترجمة رقم ١٣٢ .

٢ — شذرات الذهب لابن العجاج ج ٦ ص ١٦ (القاهرة سنة ١٣٥١ هـ) . وانظر :

GAL. Suppl. I, 733, ١٥ a  
(٢) ابن الأبار (توفي سنة ٦٥٨) سابق على ابن الزبير . وعبارة لييف بروفنسال في مقدمته المذكورة تؤمّن عكس ذلك لقوله (إن بعض الترجم المكتوبة في المخطوطة [أى صلة الصلة] انتسخها باللفظ ابن الأبار في تكملة الصلة) . وتفسير ذلك أن المطبوع من التكملة في مدريد أدخلت في متنها تعليقات لآخرين نقلوا عن ابن الزبير .

أما النسخة الجديدة فهي في خزانة أحمد تيمور باشا من قسم التاريخ تحت رقم ٨٥٠ والخزانة التيمورية الآن جزء من دار الكتب المصرية بالقاهرة ، لم يكمل طبع فهرسها بعد<sup>(١)</sup> ، لذلك ظل الكتاب مجهولاً لدى الباحثين الغربيين — فيما أعلم — ، ولم يذكره بروكلمان في تاريخه بطبيعة الحال .

والنسخة التيمورية نسخة قيمة في ٢٨٠ صفحة بخط مغربي جميل واضح قد ضُبطت بعض كلماتها ، في الصفحة ٢٥ سطراً حجم الخطوط من قطع الرُّبع (٢٧ سم في ٤٠ سم) والمكتوب (١٨,٥ سم في ١٤ سم) وورقها سميك ، إلا أنَّ الرُّطوبة مَسَّت أجزاء منه وعَيَّبت فيه العَشَّة مما يجعل قراءة بعض كلماتها عسيراً أو غير ممكِن . ولكن النسخة في مجموعها سليمة تصلح أصلاً لنشر ما ورد فيها من الكتاب . وقد ورد فيها النصف الثاني من الكتاب كاملاً ، يبدأ بالغباء من الحمد़ين وينتهي بأخر التأليف حيث ترجم النساء ، وآخرهن عائشة بنت أبي الخطاب ثم تلتها دِيَاجةُ الختام وهي طولية قيمة في ٢٤ سطراً يتحدث فيها المؤلف عن منهجه في التأليف . وستتحدث عنها ونشر نصها بعد . والنسخة غير مؤرخة وليس بأخرها إسم الناسخ . ولكنها عتيقة نرجح أنها نُسخت في القرن الثامن الهجري . ولها هامش واسع فيه بعض تعليقات قليلة بخط مغایر . وأهمية هذه النسخة بالنسبة للنسخة الكتانية تجُوء من ناحيتين ، الأولى ، أنها تزيد زيادة ضخمة ما وصل إلينا من كتاب ابن الزير ، فهي تسد الفجوة الكبيرة التي تقع في النسخة الكتانية بين حرف الغين في الترجم وحرف الواو وقدره ٢٦ صفحة في أصلنا الخطوط وهو ما يوازي أكثر من ٥٠ صفحة من المطبع<sup>(٢)</sup> ، يشتمل على بقية الغين ثم الفاء ثم القاف والسين والشين كاملاً ثم

(١) طبعت دار الكتب المصرية ثلاثة أجزاء من فهارس الخزانة التيمورية في سنة ١٩٤٨ تشتمل على التفسير — الحديث — العقائد — والأصول .

(٢) انظر ص ١٦٩ من المطبع . وقد ذكر الناشر في هامشها ( هنا حذف نحو ورقة من لأصل ) . وهو سهو . فالمحذف قدر ضخم كما ذكرنا .

جزء من الواو إلى أن ينتهي خرم النسخة المطبوعة<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى إكمال الجزء المبتور من آخر تلك النسخة وهو عندنا في ١٢ صفحة ثم في أولها وهو ضخم يشغل ١٢٤ صفحة حتى تعود فتلتقي مع ابتداء المطبوع . وحساب ذلك ينتهي إلى أن النسخة الفاسية تشتمل على أقل من نصف ما تشتمل عليه النسخة القاهرة .  
والناحية الثانية من أهمية النسخة القاهرة هي أنها النشرة الثانية من صلة الصلة والكتانية هي النشرة الأولى . ووجود نشرتين قديمة وحديثة ظاهرة شائعة في كتب الترجم ، وذلك لأن يُصدر المؤلف كتابه ، ثم يطول عمره ، فيوجد بين معاصريه من العلماء من تنطبق عليه الشروط التي التزمها ، أو تزداد معلوماته ويكتشف بعض أشخاص سابقين كان حقهم أن يكونوا في كتابه ، فيلحقهم في هامش نسخته أو في جزازات منفصلة ثم يعود بعد ذلك ، هو أو أحد الآخذين عنه في حياته أو بعد موته ، فيضمنها ويصدر نسخة جديدة أكمل وأوسع من الأولى سواء في عدد المترجم لهم أو في تحقيق بعض تاريخ الوفيات<sup>(٢)</sup> . وقد حدث هذا لصلة الصلة فصدرت نشرته الأولى في تاريخ لا نعلمه على التدقيق ولكن قبل سنة ٦٧٩ كا صرح المؤلف نفسه في مخطوط القاهرة حيث قال في ترجمة يوسف بن يحيى ابن أبي الدنيا .

«... وأخذت عنه وتكررت عليه بموضعه وتوفى بالجبل المذكور (يريد جبل الفتح) بعد تأليفه لهذا الكتاب وكان ذلك (أي وفاته) في سنة ٦٧٩ رحمة الله<sup>(٣)</sup>».

ولقد راجعنا الأسماء المشتركة في المطبوع وفي مخطوط القاهرة فوجدنا هذا قد انفرد بالترجم التي توفى أصحابها بعد هذا التاريخ أو قبيله . ففتحت أسماء (علي) تنفرد القاهرة بذكر علي بن محمد المعروف بابن الحضار المتوفى سنة ٦٧٦ وكذلك تحت (عيسى) انفرد عيسى بن لب الذي توفي سنة ٦٧٩ وكذلك تحت

(١) الترجم في النسخة صريحة حسب حروف المجاز على الطريقة المغربية .

(٢) كتاب الإحاطة للسان الدين ابن الخطيب مثل واضح لهذه المسألة .

(٣) صفحة ٢٠٧ من المخطوط .

( عيّاش ) نجد فيها وحدها عيّاش بن يزيد المتوفى سنة ٧٠٢<sup>(١)</sup> وغير أولئك من هم في آخر أبواب الأسماء نظراً لأن المؤلف يرتب الأسماء حسب تاريخ الوفيات كما فعل ابن القرصى وابن بشكوال . وبين هذه الترجمات التي أضيفت في النشرة الثانية سنجد ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشى صاحب الذيل والتكملة وسننقلها لأهميتها بعد الحديث عنه .

ولا تقتصر نسخة القاهرة على إضافة الذين تأخرت وفاتهم عن النشرة الأولى وإنما أضيفت فيها ترجمات لمُتقدّمين مثل يحيى بن عبد الملك بن قيس<sup>(٢)</sup> المتوفى سنة ٤٣٦ وهو أول من افتتح به المؤلف حرف يحيى . كما زادت في وسط هذا الباب ترجمات أخرى . وقد يحدث أن تُنقل بعض الأسماء من أماكنها في الأبواب ليستقيم الترتيب الزمني .

بقي أن نقول إن النسخة الكتبانية قد وجدت فيها ترجمة لمن توفي في سنة ٧٠٣ وهي لعبد المنعم بن سالم ولكنها الترجمة الوحيدة في المطبوع كله وقد نص الأستاذ بروفسال على أنها منقوولة من طرة الأصل<sup>(٣)</sup> ولعل أحداً من امتلك النسخة الكتابانية كان قد اطلع على النشرة الثانية فأراد أن يثبت فيها زيادات ولكن لم يتم له ذلك . كما نذكر أيضاً أن ترجم قليلة جداً قد سقطت من نسخة القاهرة وانفردت بها الكتابية مثل الترجمة رقم ٣١٥ وهي قصيرة لا تبلغ السطرين ومثل الترجمة رقم ٣٤٠ وهي في ثلاثة سطور ولا ندرى هل كان ذلك من فعل المؤلف أو سهو من الناشر .

### الذيل والتكميل

أما كتاب ( الذيل والتكميل لكتابي الوصول والصلة ) لأبي عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الملك المراكشى ، فالنسخة الخطية التي تناولت عنها توجد

(١) هذه الترجمات الثلاث نجدها في صفحات ٢٠٧ ، ١٥١ ، ٢١٠ من المخطوط .

(٢) رسمه في الأصل ( كيس ) ويحمل ( كبير ) والتصحيح عن البغية للضي ص ٤٨٩ رقم ١٤٨٣

(٣) هي الترجمة رقم ٣٠ من المطبوع . وهي في مخطوط القاهرة ص ١٣٥

أيضاً في دار الكتب المصرية في مجموعة ( حلیم ) وهي تحت رقم ٦١ من قسم التاريخ<sup>(١)</sup>.

ومعروف أن كتاب الذيل والتكمة يشتمل على تسعه أجزاء حسب تقسيم المؤلف<sup>(٢)</sup> وأن أجزاء منه مفرقة في عدة مكتبات ، الاسكوريات<sup>(٣)</sup> والمكتبة الأهلية بباريس<sup>(٤)</sup> والمتحف البريطاني<sup>(٥)</sup> والقرويين في فاس<sup>(٦)</sup> .

ونسخة القاهرة تتالف من مجلد واحد هو الجزء الخامس من الكتاب كما هو مثبت عليها . وهي في ٢١٥ ورقة بخط مغربي جيد واضح . في الصفحة ٢٥ سطراً وجمها أيضاً من حجـم الربع ، وأكثـر ألفاظها مشكول وخاصة الأعلام وكثيراً ما توضع عليها كـلمـة (صـحـ) تـأـكـيدـاً للـضـبـطـ . وللنـسـخـةـ هـوـامـشـ مـتـسـعـةـ

(١) انظر : فهرس دار الكتب — الجزء الثامن — الملحق الثاني لقسم التاريخ . القاهرة سنة ١٩٤٢ ص ١٤٤

(٢) وأشار المؤرخ المصري السخاوي (٨٣١ = ١٤٢٧ / ٩٠٢ = ١٤٩٧) في كتابه « الإعلان بالتوبيخ » (دمشق سنة ١٣٤٩) ص ١١٢ أنه قرأ (الخمسة الأول من تسعه من التكمة لابن عبد الملك ، إلى قوله في السادس محمد بن أحمد بن عثمان القبسي ) وقد ترجم Franz Rosenthal كتاب السخاوي إلى الانجليزية وجعل الترجمة قسماً من كتابه ١٩٢٥ A. History of Muslim Historiography. Leiden ١٩٢٥ . والنـصـ السـابـقـ في ص ٣٦٦ . وقد أخطأ المترجم فأضاف بعد لفظ التكمة أنها تكمـلةـ لتـارـيخـ الطـبـرـيـ to At-Tabari's History.

وـكـذـكـ أـشارـ السـيوـطـيـ فيـ بـيـةـ الـوعـادـ (الـقاـهـرـةـ سـنـةـ ١٣٢٦ـ) فـ مـقـدـمـتـهـ صـ ٢ـ إـلـىـ أـنـ الذـيلـ وـالتـكـمـلـةـ فـ (تـسـعـ مجلـدـاتـ) . وـانـظـرـ Dozy, Recherches T I, ٤٠٣ n-٢ .

(٣) نسخة الاسكوريات (تحت رقم ١٦٨٢ = الفزيري ١٦٧٧ Cas) وهي تبدأ بـعنـ اسمـهـ سابقـ بنـ عبدـ الرحمنـ) وـتـنـتـهـيـ فيـ (عبدـ اللهـ بنـ رـشـيقـ) . انـظـرـ

Lévi-Provençal, Catalogue des Manuscrits arabes de l'Escorial, tome troisième, Paris, ١٩٢٨, p. ٢٠٥

(٤) تحت رقم ٢١٥٦ انظر : Slane, Baron de, Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale, Paris, ١٨٨٣—٩٥

(٥) تـشـتـملـ نـسـخـةـ المـتحـفـ الـبـرـيطـانـيـ وـهـيـ تـحـتـ رقمـ (Or. ٧٩٤٠) عـلـىـ جـزـئـينـ منـ الـكـتـابـ فـ مجلـدـ وـاحـدـ أـنـظـرـ F. Krenkow, Deux Nouveaux Manuscrits Arabes sur l'Espagne Musulmane acquis par le Musée Britanique-Hespéris, Tome X, ١٩٣٠ . Fascicule I, p. ١—٤

(٦) ليس لدى معلومات عن نسخة القرويين أكثر مما ورد في ص ١٠٢ من برنامج خزانة القرويين الذي نشره Alfred Bel تحت رقم ١٣٠٤ وليس فيه إلا (من الذيل والتكمة — مبتور الطرفين — لابن الأبار) (!)

كانت موضعًا لمراجعة عالم هو تلميذ المؤلف فيها نعتقد لتشابه خط الهماش بخط  
ديباجة الختام التي يقول فيها عن الكتاب أنه «... من تصنيف شيخنا  
القاضي النبيل ... رحمه الله ...» ولا نعرف إسم هذا العالم ولكن تعليقاته  
تشتمل على فوائد جمة وتحقيقات وإضافات قيمة جدًا.

وفي آخر ورقة من المخطوط نص لحمد بن ابراهيم بن مسلمة الخزرجي يذكر  
أنه «أكمله (أي الكتاب) مطالعة بمدينة تونس في عام ثمانية وستين وسبعينه».   
وهذا النص نفسه موجود في مخطوط باريس مما يدل على أن المجلدين يؤلفان  
نسخة واحدة.

وتبدأ نسخة القاهرة بترجمة من اسمه (عبد الملك) وتنتهي في المحمدين  
وكفهم (محمد بن احمد ...) وجاء في ديباجة الختام «... يتلوه في السادس  
إن شاء الله محمد بن احمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك ... ابن أبي جمرة»  
ومن مراجعة ما كتبه Krenkow عن نسخة المتحف البريطاني يتضح  
أن نسخة القاهرة تتفق مع النصف الأول من نسخة المتحف البريطاني. فكلامها  
الخامس، كما أن مخطوط باريس هو السادس من الكتاب وهو أيضًا يتفق مع  
النصف الثاني من نسخة المتحف البريطاني ، ولا عبرة باختلاف تسمية الأجزاء .  
إذ أن ناسخ مخطوط المتحف البريطاني سمي الخامس رابعًا وال السادس خامسًا .  
وعبارة السخاوي تؤيد القاهرة وباريس من حيث التقسيم العددى<sup>(١)</sup>.

### ابن عبد الملك

كثر الخلط حول ابن عبد الملك هذا بين من تحدثوا عنه من العلماء  
المحدثين ولم يتحقق أحد منهم تاريخ وفاته أو ميلاده ولا البيئة التي عاش فيها .  
أما دى سلان<sup>(٢)</sup> فيظن أن عبد الملك أطلق عليه لفظ (قاضي القضاة)

(١) انظر التعليقة السابقة رقم (١٢).

(٢) فهرس المكتبة الأهلية تحت رقم الكتاب

لولايته قضاء قرطبة ، وليس ب الصحيح كاسنرى . ويقول أنه أتم كتابه قبل سنة ٦٧٥ (١٢٧٦) مستنداً إلى نص في المخطوط (ورقة ١٧٦ و) مع أن الورقة الثانية من نفس المخطوط يقول فيها المؤلف متحدثاً عن كتاب لابي عامر السالى (وقفت عليه بخطه وصار إلى في سفرى إلى تمسين سنة ٦٩٩).

أما الأستاذ بونس بويس فيكتابه عن مؤرخي الأندلس<sup>(١)</sup> فيقول أن ابن عبد الملك كان معاصرًا للعبدري فينبغى أن يكون موته حوالي سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) مستنداً في ذلك إلى نص ورد في المقرى (ج ١ ص ٨٧٤).

أما بروكلمان<sup>(٢)</sup> فلا يذكر تاريخ وفاته ويتبع Pons في الإشارة إلى أنه معاصر للعبدري .

ولا يشير دوزي إلى شيء من حياة ابن عبد الملك في (أبحاثه) ولا كرنكاو في مقالاته المذكورة قبل .

وفي كتاب درة المجال لابن القاضى<sup>(٣)</sup> ما يزيل هذا اللبس إذ أنه يذكر العام الذى توفي فيه ابن عبد الملك وهو عام ٧٠٨ هـ ويدرك أنه تولى القضاء في مراكش . ولكن ترجمة الدرة قصيرة لا تتجاوز سطرين .

أما الترجمة التي تزيد بها معلوماتنا عن الرجل وعن شخصيته فهى التي كتبها ابن الزبير نفسه . فان ابن الزبير ترجم في صلة الصلة لابن عبد الملك . وهو أمر لم يكن متوقراً ، لأن الدلائل كانت تشير إلى أن ابن عبد الملك تلميذ لابن الزبير وقد نقل ابن حجر عن ابن عبد الملك ترجمة طويلة لابن

Pons Boigues, *Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos (١)*  
Arábigo-Españoles. Madrid, 1898, p. 414

C. Brockelmann, *GAL*. T. I, 326 (=415). Supl. I, 580 (٢)

(٣) نشره I. S. Allouche في مجلدين ١٩٣٤ Rabat والترجمة في ج ١ ص ١٦٢ رقم ٤٦٤ ولقد غفل عنها بروكلمان وإلا لاحتدى إلى وفاة ابن عبد الملك . وابن القاضى هو أحمد بن محمد بن أحمد بدأ في تأليف كتابه سنة ٩٠٩ كما نص على ذلك في مقدمته ص ٢

الزبير<sup>(١)</sup> . وليس من شك في أن ابن الزبير أضاف ترجمة ابن عبد الملك في الزيادات التي ألقها بنشرته الثانية من صلة الصلة . وقد مات ابن عبد الملك بعد النشرة الأولى — التي اطلع عليها واستفاد منها ونقد بعض أخطائها في كتابه الذيل — والنشرة الثانية .

ونحن ننقل هنا ترجمة ابن عبد الملك كما كتبها ابن الزبير في نسخة القاهرة وقد وضعه تحت (الغراء) من المحمد بن ص ١٨ .

### ترجمة ابن عبد الملك بقلم ابن الزبير

قال : « محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ثم الأوسى ، من أهل مراكش ، يُكَنِّي أبا عبد الله ، ويعرف بابن عبد الملك . روى عن الكاتب الجليل أبي الحسن علي بن محمد الرعيني<sup>(٢)</sup> ، وصحبه كثيراً ، وهو أعلى من عندنا راوية<sup>(٣)</sup> ، وعن أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن هشام ، وأبي الوليد بن عفيف وغيرهم . واستجازني قبل سنة ثمانين وبعد ذلك ، فكتبته له سراراً ، واستوفى جملة من تواليق استنساخاً ، وتكرر على سؤاله فيما يرجع إلى باب الرواية ، وكان رحمة الله نبيل الأغراض ، عارفاً بالتاريخ والأسانيد ، تقادماً لها ، حسن التهدى ، جيد التصرف وإن قل سماعه أديباً بارعاً شارعاً مجيداً . إمتدح بعض كبراء وقته . وكان مع نقه الأسنادي ذا معرفة بالعربية واللغة والعروض ومشاركة في الفقه . وما تقدمت الإشارة إليه من معارفه أغلب عليه . وكان الكاتب أبو الحسن الرعيني يستحسن أغراضه ، ويستقبل منازعه ، وكتب له على بعض كتبه بخطه بـ « صاحبِي ومحلي إبني » لفتاء سنة وفاته نباهة خاطره وذكاء ذهنه ، وكان يفخر بذلك .

(١) الدرر الكاملة ج ١ ص ٨٤ . وقد نقلها بروفنسال في مقدمته لصلة الصلة : المطبوعة ص (د).

(٢) ترجم له ابن الزبير (رقم ٢٨٣ من نشرة بروفنسال) ولد سنة ٥٩٢ وتوفي سنة ٦٦٦ . وقد ترجم له ابن عبد الملك أيضاً في ذيله . والرعيني هذا هو المعروف بابن الفخار .

(٣) كذلك في الأصل . والشائع أن يقال (رواية) مكان (رواية) في مثل هذه الجملة .

**ألف كتاباً** جمع فيه بين كتاب ابن القطان وابن المواق على كتاب الأحكام لعبد الحق ، مع زيادات نبيلة من قبله .

وكتابه المسمى بالذيل والتكمة لكتاب الصلة . وعلى هذا الكتاب عكف عمره ، ولم يتم له مراراً منه إلى أن لحقته وفاته ، لأنه ألزم نفسه فيه ما يعتاص الوفاء به ، من استيفاء ما لم يلترمه ابن بشكوال ولا الحميدى ولا ابن الفراتى ومن سلك مسلكهم . وقد ذكرت مقصد هؤلاء الأئمة في ذلك في أول كتابي هذا وفي آخره بأشفى مما ذكرت هنا . لا جرم إن ترجمة كتابه ( بالذيل والتكمة ) تستلزم ما عزّم عليه وتطابقه ، إلا أن مقصود من قدم ذكره ليس ذلك . وها مقصدان . ومقصده منها واف بما قصد الآخرون وزيادة لا تعيب مقصدتهم ، وفيها زيادة فائدة ، نفعه الله ونعمهم بمنه .

ولي أبو عبد الله قضاء مراكش مدة ثم أُخْرَ عنها ، لعارض سببه ما كان في خُلقه من حدة أثمرت مناقشة موتور وجـد سـبيلا ( ١٩ و ) فـنـالـ مـنـهـ .

توفـيـ رـحـمـهـ اللهـ بـقـلـمـسـانـ الجـديـدـةـ فـيـ أـوـاـخـرـ مـحـرمـ سـنـةـ ثـلـاثـةـ وـسـبـعـائـةـ .  
ومولـهـ لـيـلـةـ الـأـحـدـ لـعـسـرـ خـلـونـ مـنـ ذـىـ الـقـعـدـةـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـثـلـاثـيـنـ وـسـبـعـائـةـ .

ومن شعره ( بسيط )

الله مراكش الغراء من بـلـدـ  
إن حلـها نازـحـ الأوـطـانـ مـغـتـرـبـ  
عنـ الحديثـ بهاـ أوـ العـيـانـ لهاـ  
وـحـبـذاـ أـهـلـهاـ السـادـاتـ منـ سـكـنـ

**مقدمة في كتاب التراجم**

ذكر ابن الزبير أن مقصد ابن عبد الملك يختلف عن مقصد من تقدمه وعن مقصد ابن الزبير نفسه . والنظر في كتاب الذيل والتكمة يراه مختلف في أشياء عن تلك الكتب .

وأول ما يستلفت النظر أن ترجم ابن عبد الملك طويلة النفس بالقياس إلى ابن الزبير وغيره من مؤلفي الترجم السابقين عن علماء الأندلس . ونستطيع أن نجد أمثلة كثيرة لذلك . فترجمة ابن جبير الرحالة تستغرق أكثر من ١٧ صفحة في كتاب ابن الملك<sup>(١)</sup> .

والثانية أن المؤلف لا يقف عند ذكر الناحية العلمية — كما فهمها أهل عصره — من سرد أسماء الشيوخ والتلاميذ والمؤلفات ، وإنما يتجاوز ذلك إلى الأدب نثراً وشرياً ، فيورد القصائد الطوال والرسائل الأدبية التي يدخل في باب (الأخوانيات) مما يجعل بعض أجزاء كتابه أشبه بكتاب الدخيرة لابن بسام منه بكتاب ابن الفرضي وابن بشكوال . فهو في ترجمة أبي الحسن الجياني<sup>(٢)</sup> يورد للمترجم قصائد نبوية طويلة ورسالة كتب بها إلى قبر النبي . وكثيراً ما يذكر معارضات الشعراء ، وتنافس الكتاب في أنواع من الرسائل غريبة كأن يلتزم أحدهم أن لا تخلو كل كلمة فيها من حرف العين . ويورد ابن عبد الملك رسائلهم كلها<sup>(٣)</sup> . وهذا كله يتفق مع طبعه وشغفه بالأدب كما ذكر ابن الزبير ولاستطراده هذا فائدة لمن يريدون دراسة الأدب الأندلسي في ذلك العصر ولكنها تخرج عن القصد ، ولمؤلف يتعرض أيضاً لنواحي من التاريخ السياسي لها خططها .

والثالثة أن ابن عبد الملك في كتابه حريص على الرد على أصحاب كتب الترجم في كثير من الموضع ومنهم ابن بشكوال نفسه ، ولا يقتصر المؤلف على تصحيح الانساب والأسماء وتاريخ الوفاة ، بل يتجاوز ذلك إلى أحكام شخصية على آثار بعض هؤلاء العلماء ، وقد استهدف ابن الزبير نفسه حملات منه في عدة مواضع ، ول يكن أشد حملاته نجدها في ترجمته لحمد بن على بن

(١) تبدأ في ورقة ١٧٩ ظ وتنتهي في ورقة ١٨٨ و من نسخة القاهرة .

(٢) من ورقة ٨٧ و إلى ٩١ ظ من نسخة القاهرة .

(٣) ورد ذلك في ترجمة ابن الجنان ورقة ٩٩ وما بعدها من نسخة القاهرة .

أحلى اللورق<sup>(١)</sup> ، فقد تحدث عن رَجَزِ ابن الزبير فقال « وأما الرجل المشار إليه فقد تقدم التنبية عليه في رسم ابن الزبير ورداعه نظمه وخلوه من المعنى وأنه هزءة المستهزئين ، ولقد كان في غنى عن التعرض لنظمه وأولى الناس بستر عاره منه ، والله يبقي علينا عقولنا ويرشدنا إلى ما يرضيه عنا بفضله وكرمه » وهو فقد قاس قرأه بغير شك ابن الزبير في موضعه من كتاب ابن عبد الملك ويزيده قسوة أن ابن الزبير نفسه هو الذي أرسل نسخة من رجزه إلى ابن عبد الملك كما صرح هذا ، ومع ذلك فقد التزم ابن الزبير معه كثيراً من الأنصاف حين ترجم له بعد وفاته وإن كانت ترجمته لا تخلو من غمرات لا تخفي على من يعرف أساليب ابن الزبير وأمثاله .

والأمر الرابع من خصائص كتاب ابن عبد الملك أنه لم يقتصر على التذليل على كتاب واحد كما فعل ابن الأبار وابن فرتون وابن الزبير في تكملتهم وتذليلهم ووصلهم لكتاب ابن بشكوال ، ولكنه تصدى للتذليل على ابن بشكوال والتمكيل لابن الفرضي أصل ابن بشكوال في وقت واحد وجعل ذلك في عنوان كتابه فعل نفسه ندلاً لابن بشكوال . وقد أحسن ابن الزبير بخطورة ذلك وثقله .

هذه هي الملاحظات العامة التي يراها من يقرأ كتاب ابن عبد الملك بشيء من الإيمان مع مقارنتها بسلسلة المؤلفات التي بدأت بابن الفرضي والميدى وسائر أفراد المدرسة التي يعتبر ابن الزبير من أبنائها<sup>(٢)</sup> .

على أن ابن الزبير قد فصل المسألة في أول كتابه وفي آخره كما ذكر ، ولما كان أول الكتاب مفقوداً فليس لنا بد من عرض رأيه الذي سجله بشيء من التفصيل في ختامه ناقلين نصه كاملاً لقيمة العظيمة إذ أنه سيلقى ضوءاً على التقاليد التي توارثها أصحاب كتب التراجم في الأندلس وصلتها بتقاليد المغاربة ،

(١) في مخطوط باريس ورقة ١٧٤ ظ.

(٢) يقول كرنوكو — نفس المصدر — إن ترجم ابن عبد الملك بوجه عام قصيرة جداً (Les biographies en général très courtes) وهو صحيح فيها يتصل بكتب ترجم الأدباء والشعراء لا بترجم الحدثين والفقهاء .

وستظهر بخلاف الاتجاه الجديد الذى دخل به ابن عبد الملك في المدرسة الأندلسية أو المغربية بوجه عام .  
وهذا النص لا يوجد إلا في نسخة القاهرة لأن نسخة فاس مبتورة الآخر .

### النص الخاتمى لكتاب ابن الرزير

قال : « هنا انتهى ما تيسر في الإمكان ، وإن لم يبلغ الغاية في الإحسان ، فالاجتهد مشروع ، والكمال لعلتنا (من نوع) <sup>(١)</sup> ، آثرت الاستيفاء في الرجال ، على الوفاء بتعريف الأحوال . إذ لم أجد حيث اقتصرت إلا ما إليه أشرت ، وإذ الفائدة في ذلك الاختصار أولى من الاختصار ، إقتداء بسلفى في هذا الفن وعلى ما شرعه إمام الطريقة والأستاذية أبو عبد الله محمد بن اسماعيل في ذلك وما سن <sup>(٢)</sup> . كقوله في الحمد़ين ، محمد بن إسحاق بن زُهير المروزى سمع أبا عبيد بن الأشجعى <sup>(٣)</sup> .

محمد بن أعين أبو العلا المرأنى ، رأى ابن أبي أوفى <sup>(٤)</sup> .

محمد بن أحمد بن أبي (خلف) البغدادى أبو عبد الله <sup>(٥)</sup> سمع اسماعيل بن عمر .  
ومن هذا الضرب في كتابه كثيراً (كذا) .

وعلى ذلك جرى الإمام أبو الوليد بن الفرضى في الأندلسين ، ففي الحمدِين من كتابه : محمد بن فرحون بن ناصح الغافقى من أهل تطيلة ، سمع من اسماعيل ابن موصل <sup>(٦)</sup> فاقتصر — كما ترى — على طريق من الطرق الأربع التى قدمنا أول الكتاب ، وبينما الحال عنها من الفائدة فى هذا الباب ، وقد نزلنا عنها

(١) محو في الأصل رجحنا أن يكون ما أثبتناه .

(٢) هو البخارى صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٥٦ . وهو يشير إلى كتابه (التاريخ الكبير)  
وقد طبع في حيدرabad الدكن سنة ١٣٦١

(٣) التاريخ الكبير ج ١ ص ٤١ ولا خلاف بين النصين .

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٥) نفس المصدر ج ١ ص ٤٢ وعنه أثبتنا لفظ (خلف) المعحو بأصلنا .

(٦) ابن الفرضى رقم ١٢٦٨ وفيه (فرجون) وينص ابن الفرضى على مصدره بقوله (من  
كتاب محمد بن أحمد) .

في النادر بحسب ما تيسر للخاطر كقوله البخاري في حرف القاف ، قدامة بن عبد الله بن عبيدة العاصي <sup>(١)</sup> الذهلي وقول ابن الفرضي في حرف الحاء ، حمدون بن حوط من أهل (ريه) ذكره ابن سعدان في ( رجالها) <sup>(٢)</sup> .

... <sup>(٣)</sup> لـ هذا القدر ، وقد تقدم في أول الكتاب ضعف (صفحة ٢٨٠) الفائدة في مثل هذا ، ولذلك يقل جدًا في الكتب الحديثية .

فإذا إستطاع من أحواله العلمية والدينية على ما ي匪 بالأمنية ، وعرف من أعمارهم ضوابط أخبارهم فإذا ذاك يُلْمِع بعيون من الأخبار بعوارف الأحداث ، وليس من شأن هذا الضرب من التاريخ إطلاق العنان بمُحدّثات الأزمات وتقلبات الأكوناـن إلـا ... <sup>(٤)</sup> يحرز رضى الأحوال ومقدار الرجال ، وبالجملة فلتاريخ الحديثة منحـي يخصـها ، وقد وقـت الإشارة إلى ذلك في خطبة الكتاب ، ولتـكافـفـ أـهـلـ هـذـاـ الشـأنـ ، فـيـاـ غـبـرـ مـنـ الزـمانـ ، لمـ يـغـنـفـ مـنـ تـقـدـمـ إـلـىـ الـاعـتـدـارـ ، مـاـ اـعـتـدـرـتـ مـنـهـ مـنـ الـاقـتـصـارـ ، وـقـدـ لـزـمـنـاـ (التبيين) <sup>(٥)</sup> حين جـهـلـ الغـرـضـ ، وـفـيـاـ أـوـمـأـنـ إـلـيـهـ كـفـاـيـةـ ، وـرـبـماـ فـيـ ... <sup>(٦)</sup> هـذـاـ مـاـ نـقـلـتـ تـحـلـيـتـهـ وـوـصـفـهـ حـيـثـ يـقـعـ ذـالـكـ أـثـنـاءـ كـلـامـ قـدـ أـورـدـتـهـ بـجـمـلـتـهـ عـنـ جـلـيلـ يـعـتمـدـ ، وـعـارـفـ بـهـذـاـ الشـأنـ إـلـىـ مـثـلـ يـرـكـنـ وـيـسـتـنـدـ ، مـنـ شـاهـدـ وـاخـتـبـرـ ، وـلـمـ يـكـنـ عـلـمـ بـذـالـكـ الشـخـصـ عـنـ خـبـرـ ، أـوـ كـانـ مـنـ يـؤـثـرـ جـلـيلـ حـالـهـ الـعـلـمـيـ عـرـفـناـ <sup>(٧)</sup> ، وـانـ تـأـخـرـ عـنـ المـعـرـفـ بـهـ زـمـانـهـ ، وـلـعـلهـ أـطـنـبـ وـأـسـهـبـ أـوـ اـقـتـصـرـ فـأـحـسـبـ أـوـ عـدـلـ عـنـ الـوـصـفـ الـأـخـصـ اـكـتـفـاءـ بـمـاـ رـأـهـ وـفـاءـ ، فـرـأـيـتـ أـنـ لـأـعـدـ عـمـاـ بـهـ حـلـاـهـ ، وـأـنـ

(١) التاريخ الكبير ج ٤ ص ١٧٩

(٢) ابن الفرضي رقم ٢٧٧ . ومنه أثبـتـناـ الـكـلـمـتـيـنـ الـمحـوـتـيـنـ فـيـ صـلـةـ الصـلـةـ .

(٣) بـيـاضـ بـالـأـصـلـ لـعـلـهـ [مـقـتـصـرـينـ عـلـىـ ...ـ] أـوـ مـاـ فـيـ مـعـنـاهـ .

(٤) بـيـاضـ . وـالـسـيـاقـ يـقـضـيـ (إـلـاـ بـهـ) أـيـ إـلـاـ الـضـرـوريـ لـفـهـ التـرـجـةـ .

(٥) مـكـانـهـ بـيـاضـ وـالـسـيـاقـ يـقـضـيـهـ أـوـ مـاـ فـيـ مـعـنـاهـ .

(٦) بـيـاضـ بـقـدـرـ كـلـمـتـيـنـ وـلـلـعـلـ النـصـ (وـرـبـماـ هوـ فـيـ كـتـابـ هـذـاـ) .

(٧) كـنـاـ فـيـ الأـصـلـ . وـأـحـسـبـ أـنـ صـوـابـ الـجـلـةـ (عـرـفـانـ) أـوـ (..ـ الـذـىـ عـرـفـناـ) .

أوليه من ذلك ما تولاه ، وإن هذا أولى وأسلم ، وإن كان مثله لقرب الأمر فيه لا يلزم ، وما لم أورده فيه نصَّ كلام أحد اعتمد على ما علمته وذكرت الشخص بما تتحققه من حاله وفهمته .

وقد آن أن أختم بالصلوة على نبينا محمد صلِّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمَ وعلى آله وأصحابه وأزواجهم الطاهرات أمهات المؤمنين ، وعلى سائر أئبياء الله ورسله وكافة عباده الذين اصطفى .

ذلك هو دفاع ابن الزبير عن المسلك الذي اختاره في كتاب (صلة الصلة) اتباعاً للبخاري ثم لابن الفرضي ، ولقد سار على هذا النط حقاً ابن الفرضي في كتابه عن تاريخ علماء الأندلس من إيراد التراجم قصيرة موجزة مجردة عن الأخبار والتواتر ، ولكن مقدمة ابن الفرضي لتأليفه هذا تشير إلى أن مسلكه لم يكن استجابة لمبدأ يدين به كما يصوره ابن الزبير ، وقد ذكر فيها أنه كان أكثر ميلاً إلى المذهب الذي اختاره ابن عبد الملك فيها بعد منه إلى مذهب ابن بشكوال وابن الزبير قال : « هذا كتاب جمعناه في فقهاء الأندلس وعلمائهم ورواتهم وأهل العناية منهم ملخصاً على حروف المعجم قصدنا فيه قصد الاختصار إذ كانت نيتنا قدماً أن تؤلف في ذلك كتاباً موعباً على المدن يشتمل على الأخبار والحكايات ثم عاقت عوائق عن بلوغ المراد فيه فجمعنا هذا الكتاب مختصراً »<sup>(١)</sup> .

وبعد فعلم التراجم الذي نشأ أول أمره متصلة بعلم الحديث أو علم الرواية كان هدفه الأول معرفة رجال الأسانيد وحالهم من الثقة أو عدم الثقة وما يتصل بأسمائهم وبلادهم ورحلاتهم ومن لقاؤه وأخذوا عنه لتعرف من ذلك الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الزائفة التي دخل أسانيدها الخلل ، فانصببت عناية المؤرخين كالبخاري وغيره على الناحية التي تتحقق هذا الغرض فكان للتعديل والتجريح مكان الصدارة ولأسماء الشيخ الروى منهم وأسماء الرواة المركز الممتاز في تلك الكتب ، ولما كان أكثر هؤلاء الرواة حملة علم لا علماء لتقديم زمانهم ولبعد أكثرهم عن مراكز العلم في المدن الكبيرة كان من

(١) ابن الفرضي : ص ٥

ال الطبيعي أن يكون الإيجاز والاقتصار على المطلوب طابع تلك الكتب . ولكن تقدم الزمن وانتشار الثقافات واتساع حركة التأليف وشيوخ الكتب وكثرة النسخ قلل من خطورة الراوى وجعلته أقل سرية من ذي قبل فكان لابد أن يتغير طابع كتب الترجم بتغيير الظروف وزوال الفرض الأول منها أو تضاؤله ، فيحل العالم مكان الراوى وبمعنى بآراء العلماء ووجهات نظرهم وما وصلوا إليه من نتائج علمية في ميادين الثقافة المختلفة ، ولكن التطور في هذا العلم كان ضعيفاً ، ومع ذلك فقد حدث شيء من تطور حتى بين أنصار المدرسة التي يعتبر ابن الزبير نفسه واحداً منها . فلقد رأينا مقصداً جديداً لابن الفرضي حال الزمن يبنه وبين تحقيقه ، ورأينا الحميدى يورد في كتابه جذوة المقبس<sup>(١)</sup> كثيراً من النوادر ، ورأينا ابن الزبير نفسه ينقل في كتابه شعراً غير قليل متساهلاً في التزام الطابع الذى سيطر على تاريخ ابن الفرضي حيث لا يكاد هذا يورد من الشعر إلا ما يعد على الأصابع ، كما أن الضبى فى البغية مال إلى كثير من التسط وآدخل فى كتابه عدداً من يعدون فى الشعراء والأدباء أكثر مما يعدون فى العلماء . ولكن هذا التطور — كما قلنا — كان محدوداً ضيق النطاق لنزعه التقلييد الذى غلت على الحياة العلمية فى تلك العصور وحرص كثير من العلماء ، تقديرأً منهم للسلف ، على شكليات وظواهر فات أولها ، فالحرص على جمع الإجازات من البلاد البعيدة بالمراسلة دون قراءة للكتب دون لقاء للعلماء الجيدين ، بل وجمع هذه الإجازات لصبيان والأطفال يدل على أنها كانت شكليات فرضتها العادات الموروثة وحفظها الاعتقاد فى البركة والدعوة الطيبة<sup>(٢)</sup> .

(١) طبع جذوة المقبس أخيراً في القاهرة سنة ١٩٥٢ بعنوان الأستاذ محمد بن تاویت الطنجي .

(٢) في الأوراق الدشت بمكتبة الاسكوريا ( رقم ١٨٧٧ ) مجموعة من الإجازات جمعها ابن رشيد في رحلته إلى المشرق . ومن بينها نسخة إجازة كتبها عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني في فسطاط مصر سنة ٦٨٤ إلى عدد ضخم من علماء المغرب والأندلس منهم ( ولكتاب الأحرف محمد بن عمر ... ابن رشيد الفهرى الأندلسي الحنفى السقى المولى والأولاد أبو القاسم محمد وأم السعد عائشة وأم الحمد أمّة الله وألّا خواته عائشة وولدها المسىء إبراهيم وفاطمة ورحمة ) . إنها إجازة طريقة !

وسلك ابن عبد الملك خير مثال للتطور الذي كان مصدره شكوى الناس من جفاف كتب الترجم ، وقد شكا القاضي عياض في مقدمة كتابه ترتيب المدارك من الإيجاز الذي سلكه ابن أبي دايم في ترجمة للملكية لأنَّه «اقتصر على ذكر تطبيقاتهم واسمائهم دون شيء من أخبارهم وبيان أحوالهم<sup>(١)</sup>» وجاء بعد ابن عبد الملك من ينكر فائدة جانب مما تشتمل عليه تلك الكتب إنكاراً تاماً وهو جانب التبرير وإن يكن قد أليس دعوه ثوباً دينياً والعجيب أن يكون قائل هذا أحد تلامذة ابن الزبير ، قال السحاوي في الحديث عن المتعارضين لدم كتب التاريخ «ومنهم من نسب التعرض منهم للتبرير في الأزمان المتأخرة إلى إرتباك الحرم ... ومن صرَّح بهذا أبو عمرو بن المرابط وقال إن فائدته إنقطعت من رأس الأربعمائة ودينن هو وغيره من لم يتذرر به عيب الحديثين بذلك<sup>(٢)</sup>».

ومع هذا فقد فات ابن عبد الملك ما فاتهم جميعاً في تلك الكتب من وجوب الحديث عن الآراء العلمية للمترجمين مثل فتاوى الفقهاء ووجهات المفسرين إلى غير ذلك مما يتصل بالعلوم التي يحملونها .

أترانا نكلفهم فوق ما يطيقون أو ما تطيق كتبهم ؟

عبد العزيز محمد الأهوان

(١) نشر الأستاذ محمد بن شنب مقدمة ترتيب المدارك في - *Centenario di Michele Amari - Palermo ١٩١٠ Additions a la «Biblioteca Arabo - Sicula»*

ولاطريف أن شكوى القاضي عياض شكي منها أيضاً الأستاذ Emilio García Gómez في مقاله عن ابن حيان وكتاباته في مجلة الأندلس :

Emilio García Gómez, *A propósito de Ibn Hayyan. Al-Andalus*, vol. XI fasc. 2 (1946) p. 400

أما ابن أبي دايم الذي ذكره عياض فقد توفي سنة ٣٥١ (ابن القرصى ج ١ ص ١٩٢ رقم ٧٠٥).

(٢) الإعلات ص ٥٠ . وأبو عمرو بن المرابط هذا غرناطي من تلامذة ابن الزبير . قدم إلى المشرق . ولد سنة ٦٨٠ وتوفي سنة ٧٥٢ (أنظر ابن حجر ، درر ج ٤ ص ٤٥ رقم ١٣٠).

## مقدمة

### لوصية القاضى أبي الوليد الباچى لولمه

ابتدأ الباچى فى وصيته التى تقدم لها فى هذا العدد — من مجلة المعهد المصرى بمدريـد — بـمقدمة قصيرة متناسبة مع حجمها الصغير .. وقد أعرب فيها عن السبب الذى دفعه إلى إنشائـها وكتابتها ، كـما أنه أـعرب فيها بوضـوح وجـلاء عن المـنزلة الـاجتمـاعـية والـدينـية التـى كانت لأـسلافـه ، طـمعـاً منهـ فى أن يـسـير أولـادـه على نـهجـ أـسـلـافـهـ وأـجـادـهـ منـ قـبـلـ .

وقد قـسـمـ المؤـلـفـ وصـيـتـهـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ : القـسـمـ الـأـوـلـ تـنـاـوـلـ فـيـ الشـؤـونـ الـعـامـةـ الـدـينـ ، وـمـاـ يـتـطـلـبـهـ هـذـاـ الـدـينـ مـنـ وـاجـبـاتـ أـوـ الـتـزـامـاتـ ، وـقـدـ جـعـلـ الـعـرـفـ وـالـعـلـمـ أـسـاسـاـ لـتـلـكـ الـوـاجـبـاتـ وـالـتـزـامـاتـ . وـقـدـ تـنـاـوـلـ فـيـ هـذـاـ القـسـمـ الـكـلـامـ عـلـىـ نـقـطـ كـثـيرـةـ ، سـنـقـتـصـرـ فـيـ هـذـهـ الـمـقـدـمـةـ عـلـىـ ثـلـاثـ مـنـهـاـ فـقـطـ ، لـأـنـهـ رـبـاـ تـكـوـنـ مـفـيـدـةـ لـمـنـ تـعـنـيـهـ الـدـرـاسـاتـ الـأـنـدـلـسـيـةـ ، وـخـصـوـصـاـ النـاحـيـةـ الـعـقـلـيـةـ وـالـنـاحـيـةـ الـفـقـهـيـةـ ، وـالـنـقـطـ الـثـلـاثـ هـىـ : (١) ظـاهـرـةـ اـعـتـنـاقـ مـسـلـمـيـ الـأـنـدـلـسـ الـمـذـهـبـ الـمـالـكـيـ ، (٢) درـاسـةـ عـلـومـ الـقـدـامـىـ — أـعـنـىـ الـنـطقـ وـالـفـلـسـفـةـ — (٣) درـاسـةـ الـفـلـكـ وـالـتـنجـيمـ . فـأـمـاـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـالـنـقـطـ الـأـوـلـىـ فـقـدـ اـبـتـدـأـ أـوـلـاـ بـشـرحـ السـيـاسـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ التـىـ يـحـبـ عـلـىـ الطـالـبـ تـتـبعـهـاـ ، بـلـ تـنـوـهـ بـهـاـ تـنـوـيـهـاـ كـبـيرـاـ وـاعـتـبـرـهـاـ أـفـضـلـ سـيـاسـةـ فـيـ التـعـلـيمـ ، وـيـجـمـلـ هـذـهـ السـيـاسـةـ فـيـ حـفـظـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، وـحـفـظـ الـحـدـيـثـ الـنـبـويـ الـشـرـيفـ ، وـالـتـعـرـفـ عـلـىـ مـاـ كـانـ صـحـيـحـاـ مـنـهـ وـمـاـ كـانـ مـنـهـ غـيرـ صـحـيـحـ ، وـدـرـاسـةـ عـلـمـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ الـذـىـ هـوـ أـصـلـ لـعـرـفـ الـقـرـآنـ وـمـعـرـفـةـ الـحـدـيـثـ ، وـيـوجـبـ عـلـىـ الطـالـبـ أـنـ يـتـدـرـبـ تـدـريـيـاـ سـلـيـماـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ طـرـقـ النـظـرـ وـتـصـحـيـحـ الـأـدـلـةـ وـإـقـامـةـ الـبـرهـانـ .

وفي الناحية الفقهية يفضل مذهب — مالك — على غيره من المذاهب الأخرى ، لأن مالكًا — في نظره — قد اجتمعت لديه الإمامة ، أو لاها الإمامة في الرأي ، وثانيهما الإمامة في الحديث ، في حين أنه ليس لأحد من تقدم مالكًا أو تأخر عنه هاتان الفضيلتان ، وإنما يوجد من يشاركه في كثرة المسائل الفقهية ، وذلك كأنبي حنفية والشافعى ، ولكن ليس لأحدهما درجة الإمامة في الرأي ولا درجة الإمامة في الحديث<sup>(١)</sup> .. وهذا النص المذكور في تلك الوصية يوضح لنا بخلاف سبباً من أهم الأسباب التي حدث بمسلمي الأندلس إلى الاحتفاظ بدراسة مذهب إمام المدينة والعكوف على قراءاته وشرحه<sup>(٢)</sup>.

وهذا النص له وجاهته إذا أدخلنا في حسابنا أن الباجي كانت يعيش في وسط البيئة الأندلسية ، بل كان أندلسيًا ، وعضوًا بارزًا من أعضاء مشيخة الفقه المالكي في الأندلس ، فالنص من هذه الناحية له قوته إذ أن صاحبه لم يكن خارجًا عن هذا القطر ، تصل إليه الأخبار عن طريق السماع أو عن طريق الرواية والتقليل ، كما هو الحال في الأخبار الواردة مثلاً عن القدسى وهو بقصد الكلام عن هذا الموضوع . ويزيد من قيمة هذا النص أن الباجي كانت له رحلة طويلة في الشرق بلغت حوالي ثلاثة عشر عاماً ، قضتها في الرحلة إلى العواصم الكبرى التي كانت مهدًا لتراث الثقافة الإسلامية ، وذلك كالمدينة وبغداد والموصى وفلسطين والقاهرة ، وقد درس في رحلته هذه على أساتذة متمنين إلى المذهب المالكي ، كما درس على آخرين متمنين إلى المذهبين السائدين في ذلك الوقت ، ذلك المذهبان هما مذهب أبي حنيفة والشافعى . . . . على أنه يجب علينا أن نتحوط للأمر ، فلا نحب أن يصل هذا الرأي على علاته دون أن يخضع لقانون المناقشة والجدل ، لأنه قد صدر من هذا العالم في عصر ملوك الطوائف ،

(١) راجع فقرة رقم ١٣ ، ١٢

(٢) هناك نصوص كثيرة متفرقة في حواشى الكتب عن سبب انتشار مذهب مالك بالأندلس ، ويمكن الرجوع إليها مثلاً في القدسى والمقرى — فتح الطيب ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٨ ، ط محى الدين عبد الحميد .

ييد أن مذهب مالك قد دخل الأندلس في عصر عبد الرحمن الداخل ، وذلك حينما أدخل الغازى بن قيس موطاً إمام المدينة إلى الأندلس .

وأما بالنسبة للدراسات الفلسفية فهو يبدو فيها حذراً ، لا يتيح قراءتها ومطالعتها إلا على سبيل التتحقق من بطلانها وعدم صلاحيتها لأن تكون دستوراً أو قانوناً صالحاً ، حتى لو كان ذلك قائماً على أساس خدمة الدين ، لأن القرآن فيه شفاء للناس ، وفيه غناً كبيراً عن مثل تلك الدراسات ، وهذه الفكرة تقريرياً ، هي الفكرة الشنيعة التي كانت تسود روح العصور الوسطى ، التي لم يكن يسمح فيها بمثل هذه الدراسات إلا لمن نضج عقله وتهذبت فكرته ، وأصبح قادراً على صيانة نفسه ودينه من ضلالات الفلاسفة والمنظفين ، يقول الباقي مخاطباً أولاده :

« وأحدركما من قراءتها ما لم تقرأ من كلام العلماء ما تقويات به على فهم فساده وضعف شبهه ، وقلة تحقيقه ، مخافة أن يسبق إلى قلب أحدكم ما لا يكون عنده من العلم ما يقوى به على رده ، ولذلك أذكر جماعة العلماء المتقدمين والمتاخرين قراءة كلامهم لمن لم يكن من أهل المنزلة والمعرفة خوفاً عليهم مما خوقفتكم منه . . . » ويستمر في استهجان دراسة هذين العلمين إلى أن يقول : « وقد رأيت بغداد وغيرها من يدعى هذا الشأن مستحقرًا مستهجناً مستضعفًا ، لا يناظره إلا المبتدئ ، وكفالة بعلم صاحبه في الدنيا مرموق مهجور ، وفي الآخرة مدحور مبثور ، وأما من يتعاطى ذلك من أهل بلادنا (الأندلس) فليس عنده منه إلا إسمه ولا وصل إليه إلا ذكره »<sup>(١)</sup>.

ولكن مع هذا يمكن أن يقال : هل الدراسة الفلسفية والمنطقية كانت منعدمة أو شبه منعدمة في إسبانيا الإسلامية خصوصاً لرغبة رجال الدين الذين كانوا يتمتعون بسلطة كبيرة في ذلك الوقت ؟

(١) راجع فقرة رقم ١٤

الجواب عن ذلك أن الفلسفة قد وجدت تربة خصبة فأثمرت ثماراً محموداً، إذ بالرغم من وجود أمثال تلك النصوص نجد نصوصاً أخرى تدل على براعة الأندلسيين وإجادتهم لمثل تلك الدراسات . . . فثلا يقول أبو محمد على بن حزم الظاهري في رسالة له ردًا على رسالة أبي على الحسن بن محمد بن أحمد ابن الريب التميمي القيرواني : « وأما الفلسفة فإني رأيت فيها رسائل مجموعة وعionaً مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالمحار دالة على تمكّنه من هذه الصناعة ، وأما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذبحجي في ذلك فمشهورة متداولة ، وتأمة الحسن ، فائقة الجودة ، عظيمة المنفعة » .

وورد في تذليل ابن سعيد على رسالة ابن حزم السابقة ما نصه : « وأما كتب الفلسفة فلما رأى منصور بن عبد المؤمن عن هذا العلم ، وسبجهن بسببيها ، وجحد بها لما رأى انحراف منصور بن عبد المؤمن عن هذا العلم ، وبأشبليه »<sup>(١)</sup> . . . وبجانب النصين السابقين الوارددين عن ابن حزم وابن سعيد نجد صاعداً طليطلي يذكر لنا أيضاً من اشتغل بهذا العلم من مدينة طليطلة وجهاتها فيقول : « ومنهم أبو الحسن على بن خلف بن أحمد ، وأبو إسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقايل ، وأبو مروان عبدان بن خلف الاستيجي ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن غالب التهلاكي ، وعيسى بن أحمد بن العالم ، وابراهيم بن سعيد السهل الاسطرابي ، وأعلمهم بحركات النجوم وهيئة الأفلاك أبو إسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقايل ، فإنه أمهل أهل زماننا بأرصاد الكواكب ، وهيئة الأفلاك ، وحساب حركاتها ، وأعلمهم بعلم الأزياج ، واستنباط الآلات النجومية »<sup>(٢)</sup> .

(١) المقرى : فتح الطيب ، ج ٤ ص ١٧٦

(٢) شكيب أرسلان ، ج ٢ ص ٣٩

ويذكر المقرى نفلا عن ابن حيان من كتاب «المقتبس» في ترجمة يحيى ابن الحكم الشاعر الأندلسى الملقب بالغزال ، المتوفى في حدود سنة (٢٥٠ هـ) ، أنه كان حكيم الأندلس وشاعرها وعراها<sup>(١)</sup> .. ومن رسالة الشقيني في فضل أهل الأندلس ما نصه : «وهل لكم في النجوم والمهندسة والفلسفة مِلْكُ كالمتندر ابن هود صاحب سرقسطة؟ .. فإنه كان آية في ذلك»<sup>(٢)</sup> .

وبجانب هؤلاء جميعاً نستطيع أن نقول إنه بنت شخصيات أخرى — في بيئات إسلامية وغير إسلامية — كان لها أثر محمود في هذا الميدان وذلك كابن جيبرول المتوفى سنة (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) وابن باجة المتوفى سنة (١١٣٨ م) ، وابن طفيل المتوفى سنة (١١٨٥ م) ، وابن ميمون المتوفى سنة (١٢٠٤ م) .

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول إنه بالرغم من فرض هذا الحصار الشديد الذى عانت الفلسفة بسببه الكبير من الحزن ، قد ظهرت أحياناً في ثوبها الجيل ، وأخذت حصتها من الظهور والازدهار ، وذلك حينما كان يقدر لها التأييد من ملك أو أمير ، وأحياناً أخرى تنكمش بعيدة عن قصور الخلفاء وبيوت الوزراء ، ولن نذهب بعيداً إذا قلنا أن ظهورها دائمًا كان مشوباً بالقلق ، وممزوجاً بالخوف ، إذ أن الفقهاء وال العامة من خلفهم كانوا شديدي الحرص على مقاومتها ، والوقوف في سبيلها ، ولقد حدثت مأساة احراق الكتب الفلسفية والمنطقية أكثر من مرّة . فقد ورد مثلاً في نفح الطيب أن المنصور أحرق مكتبة الحكم ابن هشام . وورد عن النباهي في كتاب «تاريخ قضاة الأندلس» أن القاضي محمد ابن يَبْقَى بن زَرْب اعتنى بأصحاب ابن مسرة والكشف عنهم ، وأظهر للناس كتاباً حسناً ، وضعه في الرَّدِّ على أصحابه ، ثم يقول : وفي سنة (٣٥٠ هـ)

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج ٣ ص ٢١ ، ط. محي الدين عبد الحميد .

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج ٤ ص ١٨٢ ، ط. محي الدين عبد الحميد .

جيء إليه ب أصحاب ابن مسرة ، وجلس أمام باب المسجد ، وأحرق بين يديه جملة كبيرة من كتبهم وهو ينظرون<sup>(١)</sup> . . .

هذا بالنسبة للنقطتين السابقتين ، أما فيما يتعلق بالنسبة للنقطة الأخيرة — فقد أشرت إليها فيما سبق من اهتمام بعض العلماء بدراساتها — فيعتبر الباقي في وصيته أن من يعتقد أن هناك تأثيراً للنجوم والأفلاك من أحداث في الكون مخالفًا لشرعية الإسلامية ، ويعد من يتصدى لدراسة هذا العلم من جملة المارقين من الدين ، لأن الإسلام باعتباره ديناً سماوياً يرد جميع الاعتبارات من خلق وإيمانة إلى الله وحده لا شريك له . ولكنه مع ذلك يستثنى ما إذا كان نوع تلك الدراسات الفلكية المتعلقة بتعديل الكواكب ، ومعرفة بروجها ومنازلها ، ومعرفة نزول الشمس والقمر ، وطريقة سيرها ودورانها ، مردود إلى علم الحساب ، الذي لا حرج في تعلمه . بل هو من قسم المباحث المستحسنة ، وشاهده من القرآن الكريم قول الله تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يؤمنون »<sup>(٢)</sup> .

وهذا الاستثناء الذي رأيناه للقاضي أبي الوليد الباقي السُّنْنِي المالكي نرى مثله لفقيه آخر كان معاصرًا له ، ذلك الفقيه هو أبو محمد على بن حزم الذي كان من عشاق مدرسة داود بن على الظاهري ، والذي صار فيما بعد أستاذًا للمدرسة الظاهرية في المغرب الإسلامي ، إذ كان يعتقد أن دراسة هذا العلم — أعني علم الفلك — من حيث معرفة مطالع الكواكب وارتفاعها واختلاف مراحلها هي دراسة صحيحة ومستحسنة ، لأن في دراستها ما يساعد على معرفة الخالق وحسن

(١) النباهي : المرقبة العليا ص ٧٨

(٢) راجع فقرة رقم ١٧

تدبره وإتقان صنته ، وتعيين الناظر فيها إلى معرفة القبلة وأوقات الصلاة ومعرفة الأهلة لفرض الصوم والفتر .. الخ<sup>(١)</sup> .

أما القسم الثاني من أقسام الوصية فيشتمل على وصايا ومواعظ خلقية كريمة رسم فيها الخطوط الرئيسية للعلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبينه وبين إخوانه وعشيرته وجيرانه ، بل بينه وبين الدولة والسلطان ، من أجل هذا كان لتلك الوصية أثر كبير في الوسط العلمي الذي كان يعيش فيه المؤلف ، فلم تكن — فيما يبدو — مقصورة على ولديه الذين أنشئت من أجلهما تلك الوصية ، بل أخذت سيلها إلى قلوب تلاميذه الذين احتلوا مكان الأستاذ ، تقرأ في حلقات الدروس ، ويحاضر بها في المجالس العلمية ، ومن الأدلة على ذلك ما يرويه لنا ابن الأبار أن أبي اسحاق بن جمعة القاضي كان يحدث بوصية الباقي لابنه عنه<sup>(٢)</sup> ، ويحدثنا أيضاً أن إبراهيم بن أحمد بن خلف بن جماعة بن مهدي قاضي دانية ثم قاضي شاطبة قد كانت له روایة عن أبي على الصدف (تمیذ الباقي) وناوله أبو على المذكور وصية أبي الوليد الباقي<sup>(٣)</sup> .

ونحن من جانبنا نرى أن هذا التأثير لم يكن مقصوراً على أولاده أو على تلاميذه فحسب ، بل تعدى ذلك بصورة واسحة إلى عصور متأخرة عن العصر الذي كان يعيش فيه الباقي ، من ذلك مثلاً ما نشاهد في وصية الوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى (سنة ٧٧٦هـ) لأولاده من مشابهة كبيرة واتحاد تمام ، فإن الخطيب قد ابتدأ وصيته بما ابتدأ الباقي به وصيته ، وختمها بما ختم به الباقي وصيته ، واستعمل الوزير — تقريراً — نفس الآيات ونفس الأحاديث التي استعملها الفقيه ، وطرق نفس الموضوعات التي طرقها ، ووضع قدمه حيث وضعها ، وكل ما هنالك من فروق — إذا كانت هناك فروق تذكر — أن

(١) ابن حزم : الفصل ج ٥ ص ٣٧

(٢) ابن الأبار : المعجم ، ص ٩١

(٣) ابن الأبار : المعجم ، ص ٦٣ ، ٦٢

أسلوب الفقيه مرسى غير مسجوع ، بينما جرى الوزير على عاداته تقريرًا على السجع المتكلف ، ولو شئنا أن نتعجب سجعاته جانبًا ما أخالنا قد ظفرنا بشيء جديد في وصية هذا الوزير ، وما علينا إلا نضرب الأمثلة شاهدة على ذلك ليتبين للقارئ صحة ما ذهبنا إليه بوضع فقرات من كلتا الوصيتيين ، وسنشير بالحرف (ب) للباقي ، وبالحرف (ل) للسان الدين ، وفيما يلى بعض تلك الفقرات :

ب — فلا يسترلَّكما عنه شيءٌ من أمور الدنيا (أى الدين) وابذلا دونه أرواحكم ، فكيف بدنياً كـما ، فإنه لا ينفع خيرٌ بعده الخلود في النار ، ولا يضر ضرٌ بعده الخلود في الجنة « ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين »<sup>(١)</sup> .

ل — « ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وقد علت شرائعة (يعنى الدين) ورائع الشكوك رائعاً ، فلا يسترلَّكم الدنيا عن الدين ، وابذلا دونه النفوس فعلَّ المحتدين ، فلن ينفع متاعَ بعْدَ الخلود في النار أبداً أبداً ، ولا يضر مفقودٌ مع الفوز بالسعادة ، والله أصدق الوعادين<sup>(٢)</sup> .

ب — ثم الحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً ، فهو فرض واجب ، وقد روى عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « الحج المبرور ليس له جزاء عند الله إلا الجنة » ، ثم الجهد في سبيل الله إن كانت بكل قوته عليه ، أو عنون من يستطيع إن ضعفها عنه ، فهذه فرائض الإسلام ، وإن كان الإيمان حافظاً عليها وسابقاً إليها<sup>(٣)</sup> .

ل — والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحتجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قدره فيما فرض عن

(١) راجع فقرة رقم ٣

(٢) المقرى : فتح الطيب ج ١٠ ص ٢٥١

(٣) راجع الفقرات رقم ٩ ، ١٠

ربه وسَنَّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنة ، ويتحقق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت بِكَامَا قوَةٌ عَلَيْهِ ، وغُنْيٌ لَدِيهِ ، فَكَوْنُوا مِنْ يَسِّعُ  
فَقِيرَهُ وَيُطِيعُهُ ، وَإِنْ عَجَزْتُمْ فَأُعْنِيْنَا مَنْ يَسْتَطِيْعُهُ ، هَذِهِ عُمُدُ فَرَائِصِ الْاسْلَامِ  
وَفِرَوْضَهُ وَتَقْوِيْهِ وَمَهْوَرَهُ<sup>(١)</sup> .. الخ

ب — واعلموا أنكم إِنَّمَا تصلان إلى آداء هذه الفرائض ، والإيتان بما  
يلزمكم منها ، مع توفيق الله لكم بالعلم الذي هو أصل الخير ، وبه يتوصل إلى  
الْبِرِّ ..... ويستطرد في سرد الآيات الدالة على الحث على طلب العلم إلى أن  
يقول : والعلم سبيل لا يفضي بصاحبها إلا إلى السعادة ، ولا يقصر به عن درجة  
الرفة والكرامة ، قليله ينفع ، وكثيره يُعْلَى ويرفع كنز يركو على كل حال ،  
ويكثر مع الانفاق ولا يغصبه غاصب ، ولا يخاف عليه سارق ولا محارب ،  
فاجتهدا في طلبه ، واستعدنا التعب في حفظه ، والسهر في درسه ... إلى أن  
يقول : والعلم ولایة لا يعزل عنها أصحابها ، ولا يعرى من جمالها لابسها ، وكل  
ذى ولایة وإن جَلَّ ، وحرمة وإن عظمت ، إذ خرج عن ولایته ، أو زال  
عن بلدته ، أصبح مِنْ جاهه عارِيًّا ، وَمِنْ حَالِهِ عاطلاً غير صاحب العلم<sup>(٢)</sup> .. الخ

ل — واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلب محسنها من  
بعد الانتقام .. ثم يستطرد هذا أيضاً في ذكر محسن العلم والاستدلال بالآيات  
إلى أن يقول : (والعلم) هو السبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى  
المتحلة عادة ، والذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا  
يسليه العدو المنافق ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ،  
مَنْ لَمْ يَنْلِهْ فَهُوَ ذَلِيلٌ ، وَإِنْ كَثُرَتْ آمَالُهُ ، وَقَلِيلٌ وَإِنْ جَمَّ مَالُهُ ، وَإِنْ كَانَ  
وقته قد فات أكتسابكم ، وتخلى حسابكم ، فلتتسوه لبنيكم ، واستدركون منه ما

(١) المقرى : فتح الطيب ، ج ١٠ ص ٢٥٤

(٢) راجع الفقرة رقم ١١

خرج مِنْ أَيْدِيكُمْ ، وَاحْلُوْهُمْ عَلَى جَمِيعِهِ وَدَرْسِهِ ، وَاجْعَلُوهُمْ ثَرَى لَفْرَسِهِ ، وَاسْتَسْهِلُوهُمْ مِنْ تَعَبِّهِ مِنْ جَرَاهَ ، وَسَهْرِ يَهْبِرِ الْجَنْفَنَ لَهُ كَرَاهَ ، تَقْدِيْمُهُمْ لِلْأَيَّةِ عِزِّ لَا تَعْزَلُ ، وَتَحْلُوْهُمْ مَثَابَةُ رُفْعَةِ لَا يَحْطُّ فَارِعَهَا لَا يَسْتَنْزِلُ<sup>(١)</sup> .

ب — وأفضل العلوم علم الشريعة ، وأفضل ذلك لمن وفق أن يوجد قراءة القرآن ، ويحفظ حديث النبي — صلى الله عليه وسلم — ويعرف صحيحه من سقيمه ، ثم يقرأ أصول الفقه ، فيتفقه في الكتاب والسنّة ، ثم يقرأ كلام الفقهاء ، وما نقل من المسائل عن العلماء ، ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج ، فهذه الغاية القصوى ، والدرجة العليا ، ومن قصر عن ذلك فليقرأ بعد تحفظ القرآن ورواية الحديث على مذهب مالك — رحمة الله — فهـى إذا انفردت أفعـعـ من سائر ما يقرأ في بـابـ التـفـقـهـ<sup>(٢)</sup> .

ل — وخير العلوم علم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المـرـيـعـةـ ، من عـلـومـ لـسانـ لا تستغرق الأعـامـ فـصـولـهاـ ، ولا يـضـايـقـ ثـمـراتـ المـعـادـ حـصـولـهاـ ، فإنـماـ هيـ آـلـاتـ لـغـيرـ . وأـسـبـابـ إـلـىـ خـيـرـ مـنـهـاـ وـخـيـرـ فـمـنـ كـانـ قـابـلاـ لـلـازـديـادـ ، وـأـلـفـ فـهـمـهـ ذـاـ اـنقـيـادـ ، فـلـيـخـصـ تـجـوـيدـ الـقـرـآنـ بـتـقـدـيمـهـ ثـمـ حـفـظـ الـحـدـيـثـ ، وـمـعـرـفـةـ صـحـيـحـهـ منـ سـقـيـمـهـ ، ثـمـ الشـرـوعـ فـأـصـوـلـ الـفـقـهـ فـهـوـ الـعـلـمـ الـعـظـيمـ الـمـنـةـ ، الـمـهـدـىـ إـلـىـ كـنـوزـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ ، ثـمـ الـمـسـائـلـ الـنـقـوـلـةـ عـنـ الـعـلـمـاءـ الـجـلـةـ ، وـالـتـدـرـبـ فـطـرـقـ النـظـرـ وـتـصـحـيـحـ الـأـدـلـةـ ، وـهـذـهـ هـىـ الـغاـيـةـ الـقـصـوـىـ فـىـ الـمـلـةـ ، وـمـنـ قـصـرـ إـدـرـاكـهـ عـنـ هـذـاـ الـمـرـىـ ، وـتـقـاعـدـ عـنـ الـتـىـ هـىـ أـسـىـ ، فـلـيـرـوـ الـحـدـيـثـ بـعـدـ تـجـوـيدـ الـكـتـابـ وـإـحـكـامـهـ ، وـلـيـقـرـأـ الـمـسـائـلـ الـفـقـهـيـةـ عـلـىـ مـذـهـبـ إـمـامـهـ<sup>(٣)</sup> .

ب — وعليـكـاـ بـالـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـكـوـنـاـ مـنـ أـهـلـهـ ، وـانـهـيـاـ عـنـ الـنـكـرـ وـاجـتنـبـاـ فعلـهـ ، وـأـطـيـعاـ مـنـ وـلـاـهـ اللـهـ أـمـرـكـاـ مـاـ لـمـ تـدـعـيـاـ إـلـىـ مـعـصـيـةـ فـيـجـبـ أـنـ تـمـتنـعـ مـنـهـ ،

(١) المقرى : فتح الطيب ، ج ١٠ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

(٢) راجع فقرة رقم ١٢

(٣) المقرى : فتح الطيب ، ج ١٠ ص ٢٥٥

وتبدلًا الطاعة فيها سواها ، وعليكما بالصدق فإنه زين ، وإياكم والكذب فإنه شين ، ومن شهر بالصدق فهو ناطق محمود ، ومن عرف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم ، وأقل عقوبات الكذب ألا يقبل صدقه ، ولا يتحقق حقه<sup>(١)</sup> .. الخ  
ل — وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أسرًا ، ولا تقربوا من الفتنة جمرا ، ولا تدخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبهم ، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به .

وإياكم والكذب ، فهو العورة التي لا توارى ، والسوأة التي لا يرتاب في عارها ولا يتدارى ، وأقل عقوبات الكذب بين يدي ما أعد الله له من العذاب أن لا يقبل صدقه إذ صدق ، ولا يُعَوَّل عليه إن كان بالحق نطق<sup>(٢)</sup> .  
ب — وإياكم والعن على سفك دم بكلمة ، أو المشاركة فيه بلفظة ، فلا يزال الإنسان في فسحة من دينه ما لم يغمض يده أو لسانه في دم إسرى<sup>(٣)</sup> مسلم . قال الله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً »<sup>(٤)</sup> .. الخ

ل — والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتهنة ، وسبل الله تعالى غير منسلدة ، ما لم ينبد إلى الله تعالى بأمانه ، ويمس الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سنتنا قويماً ، وجلى من الجهل والضلال ليلاً بهيا « ومن يقتل مؤمناً متعمداً<sup>(٤)</sup> .. الخ »

وبعد .. فإني أعتقد بعد كل ما تقدم أن البرهان واضح تمام الوضوح في تأثر لسان الدين بالباقي تأثراً كبيراً ، رغم أن الباقي توفى سنة (٤٧٤ھ) وولد

(١) فقرة رقم ١٥

(٢) المقرى : ج ١٠ ص ٢٥٦

(٣) فقرة رقم ١٥

(٤) المقرى : ج ١٠ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

لسان الدين سنة (٧١٣هـ) وهو فرق في الزمان ليس بالقليل .. ولو شئنا أن تتبع الوصيتيين فقرة فقرة ، لما ظفرنا — كما قلنا من قبل — بشيء جديد في الأغراض والأهداف ، اللهم إلا إذا كان ذلك بتقديم جملة على جملة ، أو صناعة لفظية كما هو صنيع ابن الخطيب ، وأثرت ألا أطيل الأمثلة على القارئ ، وكلتا الوصيتيين تحت يده فايرجع إليهما إن أحب .

وما دمنا قد وصلنا إلى ابن الخطيب وتأثره بالباجي ، فهناك ملحوظ جميل يحدر بنا أن نذكره في هذا المكان ، لأنه — فيما أظن — مرتبط أيضاً بموضوعنا أوثق ارتباط . ذلك أن صديق وزميلي الدكتور مختار العبادي في بحث له حول (مادية ابن الخطيب)<sup>(١)</sup> إنتهى فيه إلى بعد غور الوزير وسداد نظره في سياسته المالية التي جرى عليها ، لأن نظرته إلى هذا الوطن (غرناطة) كانت مشوهة بالقلق والارتياح والشكوك ، فقطعنا إلى مكان آخر يصلح لأن يكون موضعًا لاستثمار الأموال ، وقد إعتمد الدكتور مختار في بحثه على بعض الوثائق التي تؤيد ما ذهب إليه ، كما استند أيضاً إلى عبارة وردت في وصيته لأولاده ، والعبارة نفسها كما يلي : « ومن رزق منكم ملا بهذا الوطن القلق للمهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار » .. وأحب أن أضيف إلى رأى زميلي رأياً آخر ، هو أن تلك السياسة المادية لم تكن لابن الخطيب خسب ، أو بعبارة أدق لم تكن سياسة جديدة أبدعها هنا الوزير ، لأن نص العبارة موجود تقربياً في وصية الباجي ، والعبارة هي : « ومن رزق منكم ملا فلا يجعل في الأصول إلا أقله » وما أظن كلمة الأصول عند الباجي وكلمة العقار عند ابن الخطيب أنها يقعان إلا على معنى واحد ، وما أظن أيضاً إلا أن الظرف السياسي الذي كانوا يعيشان فيه — رغم بعدهما في الزمن — هو

(١) راجع مقال الدكتور العبادي في مجلة « لسان الدين » تحت عنوان « لسان الدين بن الخطيب ونزاعاته الاقتصادية » — العددان التاسع والعشر سبتمبر أكتوبر ١٩٥٤

الذى أملى عليها وعلى أضرابها تلك السياسة المالية التي لاحظها زميلي في بحثه .  
أما بالنسبة للشكل الظاهرى لوصية الباچى فهى مخطوطة محفوظة بـ بـ كتبـة  
الأـسـكـورـيـالـ تـحـمـلـ رـقـمـ ٧٣٢ـ ،ـ وـهـىـ ضـمـنـ مجلـدـ يـحـتـوىـ عـلـىـ عـدـةـ رسـائـلـ ،ـ وـهـىـ  
الـرـسـالـةـ الرـاـبـعـةـ مـنـ هـذـاـ الجـمـوـعـ ،ـ وـهـذـهـ اـخـطـوـطـةـ تـقـعـ فـيـ اـثـنـاـ عـشـرـةـ وـرـقـةـ مـنـ  
الـحـجـمـ الـمـتوـسـطـ وـقـدـ كـتـبـتـ بـخـطـ مـغـرـبـ وـبـمـدـادـ أـسـودـ ،ـ سـهـلـ القرـاءـةـ ،ـ وـقـدـ  
كـتـبـتـ هـذـهـ الرـسـالـةـ بـعـدـ وـفـاةـ الـبـاـچـىـ بـ ٢٧٥ـ سـنـةـ فـقـدـ خـتـمـاـ النـاسـخـ بـقـوـلـهـ :

كـلـ الجـمـوـعـ بـحـمـدـ اللهـ تـعـالـىـ وـحـسـنـ عـونـهـ  
وـذـلـكـ فـيـ ثـانـىـ شـهـرـ حـجـةـ مـخـتـمـ عـامـ  
تـسـعـةـ وـأـرـبـعـينـ وـسـبـعـائـهـ

وـكـتـبـتـ عـلـىـ الصـحـيـفـةـ الـتـىـ تـحـمـلـ عـنـوـانـ الـوصـيـةـ الـبـيـتـيـنـ الـآـتـيـنـ :

يـسـتـوـجـبـ الـعـفـوـ الـفـتـىـ إـذـاـ اـعـتـرـفـ ثـمـ اـنـتـهـ عـاـمـ أـتـاهـ وـاقـتـرـفـ  
لـقـوـلـهـ قـلـ لـلـذـينـ كـفـرـواـ إـنـ يـتـهـوـاـ يـغـرـ لـهـ مـاـ قـدـ سـلـفـ

**وصية الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبي الوليد الباقي  
نفعنا الله به ورحمه ، لوليه رحمة الله أجمعين**

بسم الله الرحمن الرحيم  
صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الفقيه الإمام الحافظ أبو الوليد الباقي رضي الله عنه ورحمه .

(١) يَا بَنِي هَدَاكُمُ اللَّهُ وَأَرْشَدَكُمُ وَوَفَقَكُمْ وَعَصَمَكُمْ ، وَتَفَضَّلُ عَلَيْكُمْ كَمَا بَخِيرَ  
الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، وَوَقَاتُكُمْ مَحْذُورُهَا بِرَحْمَتِهِ ، إِنَّكُمْ لَمَّا بَلَغْتُمُ الْحَدَّ الَّذِي قَرُبَ فِيهِ  
تَعِينُ الْفَرَوْضِ عَلَيْكُمْ ، وَتَوَجَّهَ التَّكْلِيفُ إِلَيْكُمْ ، وَتَحْقِيقُتْ أَنْكُمْ قَدْ بَلَغْتُمْ حَدَّ مَنْ  
يَفْهَمُ الْوَعْظَ وَيَتَبَيَّنُ الرَّشَدُ وَيَصْلُحُ لِلتَّعْلِيمِ وَالْعِلْمِ ، لِزَمْنِي أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكُمْ وَصَبِيَّيْكُمْ ،  
وَأَظْهِرَ إِلَيْكُمْ نَصِيْحَتِي ، مَخَافَةً أَنْ تَخْتَرْمَنِي مِنْيَهُ وَلَمْ أَبْلُغْ مِبَاشِرَةً تَعْلِيمَكُمْ وَتَدْرِيْسَكُمْ  
وَإِرْشادَكُمْ وَتَفْهِيمَكُمْ . فَإِنْ أَنْسَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَجْلِ ، فَسَيَتَكَرَّرُ النَّصْحُ وَالتَّعْلِيمُ ،  
وَالْإِرْشادُ وَالتَّفْهِيمُ . « وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلَ  
الْمُتَوَكِّلُونَ<sup>(١)</sup> » يَدِهِ قُلُوبُكُمْ وَنَوَاصِيكُمْ ، وَإِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ مَا أَتَوْقَعَهُ  
وَأَظْنَهُ مِنْ اقْتِرَابِ الْأَجْلِ وَانْقِطَاعِ الْأَمْلِ ، فَقِيمَا أَرْسَمَهُ مِنْ وَصِيَّيْ ، وَأَبَيْنَهُ مِنْ  
نَصِيْحَتِي ، مَا إِنْ عَمَلْتُمَا بِهِ ثَبَّتُمَا عَلَى مَنْهَاجِ السَّلْفِ الصَّالِحِ ، وَفَزَّتُمَا بِالْمُتَجَرِّرِ الْمَاجِعِ ،  
وَنَلَّتُمَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، وَأَسْتَوْدَعُ اللَّهُ دِينَكُمْ وَدِنْيَاكُمْ ، وَأَسْتَحْفَظُهُ مَعَاشَكُمْ  
وَمَعَادَكُمْ ، وَأَفْوَضُ إِلَيْهِ جَمِيعَ أَحْوَالِكُمْ ، وَهُوَ (١) آيَةُ رَقْمِ ٦٧ سُورَةُ يُوسُفَ .  
وَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَنْصَحَّ مِنِي لَكُمْ ، وَأَشْفَقُ مِنِي عَلَيْكُمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ  
مِنْ تَطْبِيبِ نَفْسِي أَنْ يَفْضُلَ عَلَيَّ غَيْرُكُمْ ، وَلَا أَرْفَعُ حَالًا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا  
سَوَاءَكُمْ . وَأَقْلَمُ مَا يُوجَبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْبِحَا إِلَى قَوْلِي ، وَتَتَعَظَّمَا بِوَعْظِي ،  
وَتَتَفَهَّمَا إِرْشَادِي وَنَصِيْحِي ، وَتَتَيقَّنَا أَنَّنَا لَمْ أَنْهِكُمَا عَنْ خَيْرٍ ، وَلَا أَمْرَكُمَا بِشَرٍ ،  
وَتَسْلِكَا السَّبِيلَ الَّتِي نَهَجْتُهَا ، وَتَمْتَلِئَا الْحَالُ الَّتِي مَسْلَمْتُهَا .

(١) سورة يوسف (١٢) آية رقم ٦٧

(\*) قام الدكتور أن جمال محز و محمود مكي بمراجعة ما أعدده السيد الدكتور جودة هلال للنشر على الأصل ، واستدرك ما كان قد فاته ، وصححا بعض القراءات .

(٢) واعلماً أَنَا أَهْل بَيْتٍ لَمْ يَخْلُ بِفَضْلِ اللَّهِ مَا انتَهَى إِلَيْنَا مِنْ صَلَاحٍ وَنَذِيرٍ ، وَعَفَافٍ وَتَصاوِنٍ ، فَكَانَ بْنُو أَيُوبَ بْنَ وَارِثٍ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، جَدُّنَا سَعْدٌ ، ثُمَّ كَانَ بْنُو سَعْدٍ سَلِيمَانٌ وَخَلْفُ وَعْدِ الرَّحْمَنِ وَاحْمَدٌ ، وَكَانَ أَوْفَ الصَّالِحِ وَالْقَدِيرِ وَالتَّبَرُّ وَالتَّبَعُ فِي جَدِّكُمْ خَلْفٌ ، كَانَ مَعَ جَاهِهِ وَحَالِهِ وَاتِّساعِ دِنِيَّاهُ مُنْقِبِضًا عَنْهَا ، مُتَقْلِلاً مِنْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْاعْتِكَافِ إِلَى أَنْ تَوَفَّ — رَحْمَهُ اللَّهُ — ثُمَّ كَانَ بْنُو خَلْفٍ ، عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَعِمْرٌ وَأَبُوكَامَا سَلِيمَانٌ وَعَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ وَابْرَاهِيمٌ ، فَلَمْ يَكُنْ فِي أَعْمَامِكُمْ إِلَّا مُشْهُورٌ بِالْحِجَّةِ وَالْجَهَادِ ، وَالصَّالِحِ وَالْعَفَافِ حَتَّى تَوَفَّ مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَنْهُمْ ، وَكَأَنَّنِي لَاحِقٌ بِهِمْ ، وَوَارِدٌ عَلَيْهِمْ ، وَيُصِيرُ رَكَامِي إِلَيْكُمْ ، فَلَا تَأْخُذُوا غَيْرَ سَبِيلِهِمْ ، وَلَا تَرْضِيَا غَيْرَ أَحْوَالِهِمْ ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمَا الزِيَادَةَ فَلَا نَفْسَكُمْ تَمْهِدُهُ ، وَلَا تَبْنِيَانُ ، وَلَا فَلَا تَقْصُرُوا عَنْ حَالِهِمْ .

(٣) وَأَوْلَى مَا أَوْصَيْتُكُمْ (٧٤ بـ) بِهِ مَا أَوْصَى بِهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِهِ وَيَعْقُوبَ «يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِي لِكُمُ الدِّينِ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»<sup>(١)</sup> وَأَنْهَا كَمَا عَنِّي عَنْهُ لِقَاءُنَّ لِأَبْنَئِهِ وَهُوَ يَعْظِهُ «يَا بَنِي لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِنَّ الشَّرِكَةَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»<sup>(٢)</sup> .. وَأَوْكَدَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ وَصِيتَى وَأَكْرَرَهَا حَرِصًا عَلَى تَعْلِقَكُمْ وَتَمْسِكَكُمْ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي تَفْضِلُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِهِ ، فَلَا يَسْتَرِلَكُمْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِ الدِّينِ ، وَابْدَلَا دُونَهُ أَرْوَاحَكُمْ ، فَكَيْفَ بِدِنَّكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ خَيْرُ بَعْدِهِ الْخَلْوَدُ فِي النَّارِ ، وَلَا يَضُرُّ صُرُّّ بَعْدِهِ الْخَلْوَدُ فِي الْجَنَّةِ «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»<sup>(٣)</sup> فَإِنْ مَا تَعْلَمْتُمْ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَصْطَفَهُ اللَّهُ وَاخْتَارَهُ وَحْرَمَ مَا سَوَاهُ ، فَأَرْجُو أَنْ تُلْتَقِيَ حِيثُ لَا تَخَافُ فِرْقَةً ، وَلَا تَنْتَقِعُ إِزَالَهُ ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى شَوْقَ إِلَى ذَلِكَ وَحْرَصِي عَلَيْهِ ، كَمَا يَعْلَمُ إِشْفَاقِي مِنْ أَنْ تَزُلَّ بِأَحْدَكُمْ قَدْمًا أَوْ تَعْدِلَ بِهِ فِتْنَةً ، فَيَحْلُّ عَلَيْهِ مِنْ سَخْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَحْلِهُ دَارُ الْبَوَارِ ،

(١) سورة البقرة (٢) آية رقم ١٣٢

(٢) سورة لقمان (٣) آية رقم ١٣

(٣) سورة آل عمران (٣) آية رقم ٨٥

ويوجب له الخلود في النار ، فلا يلتقي مع المؤمنين من سلفه ، ولا ينفعه الصالحون من آبائه «يَوْمَ لَا يُنْفَنِي وَاللَّهُ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٌ عَنْ وَالدِّهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبُنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يُغْرِبُنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ»<sup>(١)</sup>.

(٤) وتنقسم وصيتي للكما قسمين : فقسم فيها يلزم من أمر الشريعة أبين لكما منه ما يجب معرفته ويكون فيه تنبية على ما بعده . وقسم فيها يجب أن تكونا عليه في أمر دنيا كاما (١٧٥) وتجريان عليه بينكما .

(٥) فأما القسم الأول : فالإيمان بالله عن وجل ، وملائكته وكتبه ورسله ، والتصديق بشرائعه ، فإنه لا ينفع مع الإخلال بشيء من ذلك عمل ، والتمسك بكتاب الله تعالى جده ، والثابرة على تحفظه وتلاوته ، والمواظبة على التفكير في معانيه وأياته ، والامتناع لأوامرها ، والانتهاء عن نواهيه وزواجه ، روى عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله تعالى وسنتى عضواً عليها بالتواجذ . . . وقد نصح لنا — صلى الله عليه وسلم — وكان بالمؤمنين رحيم ، وعليهم مشفقاً ، وهم ناحماً ، فاعملوا بوصيتي ، وأقبلوا من نصحه ، وأثبتنا في أنفسكم الحبة له ، والرضى بما جاء به ، والاقتداء بسننته والاتقاد له والطاعة لحكمه والحرض على معرفة سننته وسلوك سبيله ، فإن محبتكم تقود إلى الخير ، وتنجى من الملة والشر ، وأشربوا قلوبكم محبة أصحابه أجمعين ، وتفضيل الأئمة منهم الطاهرين ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم . والزما أنفسكم حُسْن التأويل لما شجر بينهم ، واعتقاد الجليل فيها نُقل عنهم . فقد روى عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : لا تسبووا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه . فمن لا يبلغ نصف مُدّه مثل أحُد ذهباً فكيف يُوازن فضله أو يُدْرِكُ شاؤه ؟ وليس (٧٥ ب) منهم — رضي الله عنه

(١) سورة آل عمران (٣) آية رقم ٨٥

عنهـم — إلـا من أـنفق الكـثير . ثـم تـفضـيل التـابـعين وـمن بـعـدـهم من الأـمـةـ والـعـلـمـاءـ — رـحـمـهـمـ اللهـ — وـالـعـظـيمـ لـقـهـمـ ، وـالـاقـتـداءـ بـهـمـ وـالـأـخـذـ بـهـدـيـهـمـ ، وـالـاقـتـفاءـ لـآـثـارـهـمـ ، وـالـتـحـفـظـ لـأـقـوـلـهـمـ ، وـاعـتـقادـ إـصـابـتـهـمـ .

(٦) وـإـقـامـ الصـلـاـةـ فـإـنـهـاـ عـمـودـ الدـيـنـ ، وـعـمـادـ الشـرـيـعـةـ ، وـآـكـدـ فـرـائـضـ المـلـةـ ، فـمـرـاعـاـةـ طـهـارـتـهاـ ، وـمـرـاقـبـةـ أـوـقـاتـهاـ ، وـإـتـامـ قـرـاءـتـهاـ ، وـإـكـالـ رـكـوعـهـاـ وـسـجـودـهـاـ ، وـاسـتـدـامـةـ الـخـشـوـعـ فـيـهـاـ ، وـالـإـقـبـالـ عـلـيـهـاـ ، وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ أـحـكـامـهـاـ ، وـآـدـابـهـاـ فـيـ الـجـمـاعـاتـ وـالـمـسـاجـدـ فـإـنـ ذـلـكـ شـعـارـ الـمـؤـمـنـينـ ، وـسـنـ الـصـالـحـينـ ، وـسـبـيلـ التـقـيـنـ .

(٧) ثـمـ أـدـاءـ زـكـةـ الـمـالـ ، لـاـ تـؤـخرـ عنـ وـقـتهاـ ، وـلـاـ يـبـخلـ بـكـثـيرـهـاـ ، وـلـاـ يـغـفلـ عنـ يـسـيرـهـاـ — وـلـتـخـرـجـ مـنـ أـطـيـبـ جـنـسـ وـبـأـوـفـ وـزـنـ ، فـإـنـ اللهـ تـعـالـىـ أـكـرـمـ الـكـرـماءـ ، وـأـحـقـ مـنـ اـخـتـيرـ لـهـ ، وـلـتـعـطـ بـطـيـبـ نـفـسـ ، وـتـيـقـنـ أـنـهـ بـرـكـةـ فـيـ الـمـالـ وـتـطـهـيـرـ لـهـ ، وـتـدـفـعـ إـلـىـ مـسـتـحـقـهـاـ دـوـنـ مـحـابـةـ وـلـاـ مـتـابـعـةـ هـوـيـ وـلـاـ هـوـادـةـ .

(٨) ثـمـ صـيـامـ رـمـضـانـ فـإـنـهـ عـبـادـةـ السـرـ وـطـاعـةـ الرـبـ ، وـيـحـبـ أـنـ يـزـادـ فـيـهـ مـنـ حـفـظـ الـلـاسـانـ ، وـالـاجـتـهـادـ فـيـ صـالـحـ الـعـمـلـ ، وـالـتـحـفـظـ مـنـ الـخـطاـ وـالـزـلـلـ ، وـيـرـاعـيـ فـيـ ذـلـكـ لـيـالـيـهـ وـأـيـامـهـ ، وـيـتـبعـ صـيـامـهـ قـيـامـهـ وـقـدـ سـُـنـ فـيـ الـاعـتـكـافـ .

(٩) ثـمـ الـحـجـ إـلـىـ بـيـتـ اللهـ الـحـرـامـ مـنـ اـسـتـطـاعـ إـلـيـهـ سـبـيلاـ ، فـهـوـ فـرـضـ وـاجـبـ ، وـقـدـ روـيـ عـنـ النـبـيـ — صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ — أـنـهـ قـالـ : الـحـجـ الـمـبـرـورـ لـيـسـ لـهـ جـزـاءـ عـنـ اللهـ (١٧٦) إـلـاـ الجـنـةـ .

(١٠) ثـمـ الـجـهـادـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ إـنـ كـانـتـ بـكـماـ قـوـةـ عـلـيـهـ ، أـوـ عـونـ مـنـ يـسـطـيعـ إـنـ ضـعـفـتـاـعـهـ ، فـهـذـهـ ثـمـدـ فـرـائـضـ الـإـسـلـامـ وـإـنـ كـانـ الـإـيمـانـ حـافـظـاـ عـلـيـهـ ، وـسـائـقاـ إـلـيـهـ ، تـحـوـزاـ الـخـيـرـ الـعـظـيمـ ، وـتـفـوزـاـ<sup>(١)</sup> بـالـأـحـرـ الـجـسـيمـ ، وـلـاـ تـضـيـعـاـ حـقـوقـ اللهـ فـيـهـ وـأـوـاصـرـهـ بـهـ ، فـتـهـلـكـاـ مـعـ الـخـاسـرـينـ ، وـتـنـدـمـاـ مـعـ الـمـفـرـطـينـ .

(١) وـرـدـتـ فـيـ الـأـصـلـ نـحـوـزـ وـنـفـوـزـ بـغـيـرـ أـلـفـ .

(١١) واعلموا أنكم إنما تصلان إلى اداء هذه الفرائض ، والإيتان بما يلزمكم منها ، مع توفيق الله لكم بالعلم الذي هو أصل الخير ، وبه يتوصل إلى البر ، فعليكم بطلبه ، فإنه غنى لطالبه ، وعزيز حامله ، وهو مع هذا السبب الأعظم إلى الآخرة ، به تُحْتَمَل الشبهات وتصح القربات ، فكم من عامل يبعده عمله من ربه ، ويكتب ما يتقرب به من أكبر ذنبه . قال الله تعالى : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَهْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْفًا »<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَدَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ »<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : « إِنَّمَا يَنْخَشِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءِ »<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : « يَرْفَعُ [اللَّهُ] الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »<sup>(٤)</sup> .. والعلم سبيل لا يفضي بصاحبه إلا إلى السعادة ، ولا يقتصر به عن درجة الرفعـة والكرامة ، قليله ينفع ، وكثيره يعلى ويرفع ، كنز يذكر على كل حال ، ويكثر مع الانفاق ، ولا يغصبه غاصب ، ولا يخاف عليه سارق ولا محارب ، فاجتهدا في طلبـه ، واستعدـبا التعب (٧٦ بـ) في حفظه ، والشهرـ في درسه ، والنـصب الطويل في جمعـه ، وواظـبا على تقـيـده وروـاـيـته ، ثم انتـقاـ إلى فـهمـه ودرـايـته ، وانـظـراـ أـى حـالـةـ من أحـوالـ طـبقـاتـ النـاسـ تـختـارـانـ ، وـمـنـزـلـةـ أـى صـنـفـ مـنـهـمـ تـؤـثـرـانـ<sup>(٥)</sup> ، هل تـريـانـ أـحـدـاـ أـرـفـعـ حـالـاـ مـنـ الـعـلـمـاءـ ، وـأـفـضـلـ مـنـزـلـةـ مـنـ القـهـاءـ؟.. يـحـتـاجـ إـلـيـهـمـ الرـئـيسـ وـالـمـرـءـوسـ ، وـيـقـتـدـيـ بـهـمـ الـوـضـيعـ وـالـنـفـيـسـ – يـرـجـعـ إـلـيـهـمـ فـأـقـوـاـهـمـ فـأـمـورـ الـدـنـيـاـ وـأـحـكـامـهـ وـحـمـةـ عـقـودـهـ وـبـيـاعـهـاـ ، وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ تـصـرـفـهـاـ ، وـإـلـيـهـمـ يـلـجـأـ

(١) سورة الكهف (١٨) آية رقم ١٠٣

(٢) سورة الزمر (٣٩) آية رقم ٩

(٣) سورة فاطر (٣٥) آية رقم ٢٩

(٤) سورة المجادلة (٥٨) آية رقم ١١ ، سقط لفظ [الله] من الأصل . (التحرير)

(٥) وردت في الأصل يؤثران .

في أمور الدين ، وما يلزم من صلاة وزكاة وصيام وحلال وحرام ، ثم مع ذلك السالمـة من التبعـات ، والحظـوة عند جـمـيع الطـبقـات — والعلم ولاية لا يـعزـلـ عنها صاحبـها ، ولا يـعـرـى من جـمالـها لـابـسـها . وكل ذـي ولاـية وإن جـلتـ ، وحرمة وإن عـظـمتـ ، إذا خـرـجـ عن ولاـيـتهـ أو زـالـ عن بلدـتـهـ أصبحـ من جـاهـهـ عـارـياـ ، ومن حـالـهـ عـاطـلاـ غـيرـ صـاحـبـ الـعـلـمـ ، فإنـ جـاهـهـ يـصـحـبـهـ حيثـ سـارـ ، ويـتـقدـمـ إـلـىـ جـمـيعـ الـآـفـاقـ وـالـأـطـارـ ، وـيـقـيـ بـعـدـهـ فـيـ سـائـرـ الـأـعـصـارـ .

(١٢) وأفضل العلوم علم الشريعة ، وأفضل ذلك لمن وفق أن يجود قراءة القرآن ، ويحفظ حديث النبي — صلى الله عليه وسلم — ويعرف صحيحه من سقيمه ، ثم يقرأ أصول الفقه ، فيتفقه في الكتاب والسنة ، ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل عن العلماء ، ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج ، فهذه الغاية القصوى (١٧٧) والدرجة العليا .

(١٣) ومن قصر عن ذلك فليقرأ بعد تحفظ القرآن ورواية الحديث المسائل على مذهب مالك — رحمه الله — فهى إذا انفردت أفعى من سائر ما يقرأ مفردا في باب النفقـهـ ، وإنما خـصـصـناـ مـذـهـبـ مـالـكـ — رـحـمـهـ اللهـ — لأنـهـ إـمامـ في الحديث وإـمامـ في الرأـيـ وليس لأـحدـ منـ العـلـمـاءـ منـ اـبـسـطـ مـذـهـبـهـ ، وكـثـرـتـ فيـ المسـائـلـ أـجـوبـتـهـ ، درـجـةـ الإـمامـةـ فـيـ الـعـنـيـنـ ، وإنـماـ يـشـارـكـهـ فـيـ كـثـرةـ المسـائـلـ وـفـرـوعـهـ ، وـالـكـلـامـ عـلـىـ معـانـيـهـ وأـصـوـلـهـ أبوـ حـنـيفـةـ وـالـشـافـعـيـ ، وـلـيـسـ لأـحـدـهـ إـمامـةـ فـيـ الـحـدـيـثـ وـلـاـ درـجـةـ مـتوـسـطـةـ .

(١٤) وإـيـاكـاـ وـقـرـاءـةـ شـيـءـ مـنـ المـنـطـقـ وـكـلـامـ الـفـلـاسـفـةـ فـإـنـ ذـلـكـ مـبـنىـ عـلـىـ الـكـفـرـ وـالـإـلـحـادـ وـالـبـعـدـ عـنـ الشـرـيـعـةـ . وأـحـذرـ كـمـاـ قـرـاءـتـهـ مـاـ لـمـ تـقـرـأـ مـنـ كـلـامـ الـعـلـمـاءـ مـاـ تـقـوـيـاـنـ بـهـ عـلـىـ فـهـمـ فـسـادـهـ وـضـعـفـ شـبـهـهـ وـقـلـةـ تـحـقـيقـهـ ، مـخـافـةـ أـنـ يـسـبـقـ إـلـىـ قـلـبـ أـحـدـكـ مـاـ لـاـ يـكـوـنـ عـنـدـهـ مـنـ الـعـلـمـ مـاـ يـقـوـىـ بـهـ عـلـىـ رـدـهـ ، وـلـذـلـكـ أـنـكـ أـنـكـرـ جـمـاعـةـ الـعـلـمـاءـ الـمـقـدـمـينـ وـالـمـتأـخـرـينـ قـرـاءـةـ كـلـامـهـمـ لـمـ يـكـنـ مـنـ أـهـلـ الـمـرـزـلـةـ وـالـمـعـرـفـةـ بـهـ خـوفـاـ عـلـيـهـمـ جـمـاـ خـوفـتـهـاـ مـنـهـ ، وـلـوـ كـنـتـ أـعـلـمـ أـنـكـ تـبـلـغـانـ

منزلة المَيْزِ والمعرفة والقدرة على النظر والمقدرة ، لحضرتكما على قراءته ، وأمرتكما بمحالعته ، لتحققها ضعفه وضعف المعتقد له ، وركاكة المفتر به ، وأنه من أقبح (٧٧ ب) المخاليق والموهبات ، ووجوه الحيل والخزعبلات التي يغتر بها من لا يعرفها ، ويستعظمها من لا يميزها ، ولذلك إذا حقق من يعلم عند أحد منهم وجده عارياً من العلم بعيداً عنه ، يدعى أنه يكتم عالمه وإنما يكتم جهله ، وهو قيم عليه ، ويروم أن يستعين به وهو يعين عليه . وقد رأيت ببغداد وغيرها من يدعى منهم هذا الشأن مستحقاً مستهجنًا مستضعفًا لا يناظره إلا المبتدئ . وكفالك بعلم صاحبه في الدنيا مرموق مهجور ، وفي الآخرة مدحور مبشر . وأما من يتعاطى ذلك من أهل بلدنا فليس عنده منه إلا اسمه ، ولا وصل إليه إلا ذكره .

(١٥) وعليكما بالأمر بالمعروف وكوننا من أهله ، وانهيا عن المنكر واجتنبا فعله ، وأطليعا من ولاه الله أمركما ما لم تدعيا إلى معصية فيجب أن تختنعا منها وتبدلوا الطاعة فيها سواها . وعليكما بالصدق فإنه زين ، وإياكما والكذب فإنه شين ، ومن شُهِرَ بالصدق فهو ناطق محمود ، ومن عُرف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم ، وأقل عقوبات الكذاب ألا يقبل صدقه ولا يتحقق حقه ، وما وصف الله تعالى أحداً بالكذب إلا ذاماً له ، ولا وصف الله تعالى أحداً بالصدق إلا مادحاً له ومرفعاً به . وعليكما بأداء الأمانة ، وإياكما والإلام بالخيانة ، أدي الأمانة إلى من ائتمنكما ، ولا تخونا من خانكم . «أوفيا بالعهد (١٧٨) إنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْوِلًا»<sup>(١)</sup> .. أوفيا الكيل والوزن ، فإن النقص فيه مقت ، لا ينقص المال ، بل ينقص الدين والحال .. وإياكما والعون على سفك دِم بكلمة ، أو المشاركة فيه بلفظة ، فلا يزال الإنسان في فسحة من دينه ما لم يغمض يده

(١) سورة الإسراء (١٧) آية رقم ٣٤

أو لسانه في دم أمرى مسلم ، قال الله تعالى : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا سَبِّحَةً جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَصِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » <sup>(١)</sup> .. واجتناب الزنا من أخلاق الفضلاء ، ومواقعته عار في الدنيا وعذاب في الأخرى ، قال الله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنَاءِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » <sup>(٢)</sup> .. وإياكَا وشرب الخمر فإنها أُمُّ الكبائر وال مجرية على المآثم ، وقد حرمتها الله تعالى في كتابه العزيز فقال عَزَّ من قائل : « إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاؤَ وَالْبَغْضَاءِ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهُنَّ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ » <sup>(٣)</sup> .. وحسبكما بشيء يذهب العقل ويفسد اللب ، وقد تركها قوم في الحالية تكْرِرًا ، فإياكَا ومقاربتها والتندس برجسها ، وقد وصفها الله تعالى بذلك وقرنها بالأنصاب والأزلام ، فقال عَزَّ مِنْ قائل : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَلَمَّا جَنَّبْتُمُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » <sup>(٤)</sup> . فبين تعالى أنها من عمل الشيطان ووصفها بالرجس ، وقرن الفلاح باجتنابها ، فهل يستحيي عاقل بصدق الباري في خبره — تبارك اسمه — ويعلم أنه (٧٨ ب) أراد الخير لنا فيما حذرنا عنه منها أن يقربها [ <sup>(٥)</sup> حين شاه ، وإياكَا والربا ، فإن الله تعالى قد نهى عنه ، وتوعد بمحاربة من لم يتبع منه ، قال عَزَّ من قائل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقَى مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَادْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » <sup>(٦)</sup> وقال تعالى : « يَمْحُقُ اللَّهُ

(١) سورة الإسراء (١٧) آية رقم ٣٢

(٢) سورة الإسراء (١٧) آية رقم ٣٠

(٣) سورة المائدة (٥) آية رقم ١٩

(٤) سورة المائدة (٥) آية رقم ١٠

(٥) توجد عنها كلة غير مقرودة تلتف في الصحيفة .

(٦) سورة البقرة (٢) آية رقم ٢٧٨

الرَّبَا وَيُرِبِّي الصَّدَقَاتِ »<sup>(١)</sup> .. ولا تأكلا مال أحد بغير حق ، وإياكما ومال اليتيم ، فقد قال عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا »<sup>(٢)</sup> .. وعليكما بطلب الحلال واجتناب الحرام فإن عدمها الحلال فالجاء إلى المتشابه . وإياكما والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيمة ، والظلم مذموم الأخلاق بعض إلى الأخلاق . وإياكما والنمية ، فإن أول من يمقت عليها من تُنْقَلُ إِلَيْهِ ، وقد روى عن النبي — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّانٌ<sup>(٣)</sup> . وإياكما والحسد ، فإنه داء يهلك صاحبه ، ويعطب تابعه . وإياكما والفواحش ، فإن الله تعالى حرم ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق . وإياكما والغيبة فإنها تحبط الحسنات ، وتکثر السيئات ، وتبعده من الخالق ، وتغضنه إلى الخالق . وإياكما والبکر فإن صاحبه في مقت الله متقلب ، وإلى سخطه منقلب ، وإياكما والبخل ، فإنه لا داء أدوا منه ، لا تسلم عليه ديانة ، ولا تم معه سيادة . وإياكما ومواقف الخزي وكل ما كرهتما أن يظهر عليكما فاجتنباه ، وما علمتما أن الناس يعيونه في الملا . فلا تأتياه في الخلاء .

(١٦) فإن بلغ أحدكم أن يسترعيه الله أمّةً بحكم أو فتوى فليتمثل العدل جهده ، ويتجنب الجور وغدره ، فإن المعاشر مضاد الله في حكمه ، كاذب عليه في خبره مغير بشر بيته ، مخالف له في خليقته ، قال الله تعالى : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »<sup>(٤)</sup> . وقد روى أن الخلق كلهم عيال الله وإن أحب الخلق إلى الله أحبو لهم لعياله ، وروى ما امرء استرعى رعية فلم

(١) سورة البقرة (٢) آية رقم ٢٧٦

(٢) سورة النساء (٤) آية رقم ١٠

(٣) قتات = نعام للحديث وناقل له

(٤) سورة المائدة (٥) آية رقم ٤٧

يجعلها بنصيحة إلا حرم الله تعالى عليه الجنة . وإياكَا وشهادة الزور فإنها تقطع ظهر صاحبها ، وتفسد دين متقلدها ، وتخلد قبيح ذكره — وأول من يمتهنه ويئم عليه المشهود له ، وإياكَا والرشوة فإنها تعنى عين البصيرة ، وتحطّ قدر الرفيع . وإياكَا والأغانى فإن الغناء ينبع الفتنة في القلب ويولد خواطر السوء في النفس . وإياكَا والشطرين والزند فإنه شغل البطالين ، ومحاولة المترفين ، يفسد العمر ويشغل عن الفرض ، ويحجب أن يكون عمركم أعزّ عليكم وأفضل عندكم من أن تقطعه بمثل هذه السخافات التي لا تجدى ، وتفسد بهذه المخالفات التي تصرّ وتردى . وإياكَا والقضاء بالنجوم والتکهن فإن ذلك (٧٩ ب) من صدقه مخرج عن الدين ومدخل له في جملة المارقين .

(١٧) وأما تعديل الكواكب وتبين أشخاصها ومعرفة أوقات طلوعها وغروبها وتعيين منازلها وبروجها ، وأوقات نزول الشمس والقمر بها ، وترتيب درجاتها للاهتماء به ، وتعرف الساعات وأوقات الصلوات بالظلال وبها ، فإنه حسن مدرك ذلك كله بعلم الحساب مفهوم ، قال الله تعالى : «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظَلَامَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»<sup>(١)</sup> . وقال عن من قائل : «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ»<sup>(٢)</sup> .

(١٨) وأما القسم الثاني مما يجب أن تكوننا عليه ونتمسك به ، فإن يتلزم كل واحد منكما لأنبيائه الإخلاص والإكراه ، والرعاة في السر والعلنية ، والمراقبة في المغيب والشاهد ، وليلزم أكبركما لأنبيائه الإشفاق عليه ، والمسارعة إلى كل ما يحبه ، والمعاضدة فيما يؤثره ، والمساحة لكل ما يرغبه ، ويلزم

(١) سورة الأنعام (٦٣) آية رقم ١٧

(٢) سورة يونس (١٠) آية رقم ٥

أصغر كـما لأخيه تقديمـه عليه ، وتعظيمـه في كل أمر بالرجوع إلى مذهبـه ، والاتـبعـ له في سره وجـهـه ، وتصوـيـبـ قوله وفـعلـه ، وإنـ أنـكـرـ منهـ في المـلـاـ أـمـراـ يـريـدـهـ ، أوـ ظـهـرـ إـلـيـهـ خطـأـ فـيـماـ يـقـصـدـهـ ، فـلاـ يـظـهـرـ إنـكـارـهـ عـلـيـهـ ، وـلاـ يـحـمـرـ فـيـ المـلـاـ بـتـخـطـتـهـ ، وـلـيـبـنـ لـهـ ذـالـكـ عـلـىـ اـنـفـرـادـهـ مـنـهـماـ ، وـرـفـقـ مـنـ قـوـهـماـ ، فـإـنـ رـجـعـ إـلـىـ الـحـقـ وـإـلـاـ فـلـيـتـبعـ عـلـىـ (١٨٠) رـأـيـهـ فـإـنـ الـذـيـ يـدـخـلـ عـلـيـكـمـاـ مـنـ الـفـسـادـ بـاـخـتـلـافـكـمـاـ أـعـظـمـ مـاـ يـحـدـرـ مـنـ اـخـطـأـ مـعـ اـنـفـاقـكـمـاـ مـاـ لـمـ يـكـنـ اـخـطـأـ فـيـ أـمـرـ الـدـيـنـ — فـإـنـ كـانـ فـيـ أـمـرـ الـدـيـنـ فـلـيـتـبعـ الـحـقـ حـيـثـ كـانـ ، وـلـيـثـابـرـ عـلـىـ نـصـحـ أـخـيـهـ وـتـسـدـيـدـهـ مـاـ اـسـطـاعـ وـلـاـ يـحـلـ يـدـهـ عـنـ تـعـظـيمـهـ وـتـوـقـيرـهـ ، وـلـاـ يـؤـثـرـ أـحـدـكـمـاـ عـلـىـ أـخـيـهـ شـيـئـاـ مـنـ عـرـضـ الـدـيـنـاـ ، فـيـخـلـ بـأـخـيـهـ مـنـ أـجـلـهـ ، وـيـعـرـضـ عـنـهـ بـسـبـبـهـ ، أوـ يـنـافـسـهـ فـيـهـ ، وـمـنـ وـسـعـ عـلـيـهـ مـنـكـمـاـ فـيـ دـنـيـاهـ فـلـيـشـارـكـ بـهـ أـخـاهـ ، وـلـاـ يـنـفـرـ بـهـ دـوـنـهـ ، وـلـيـحـرـصـ عـلـىـ تـشـمـيرـ مـالـ أـخـيـهـ كـمـاـ يـحـرـصـ عـلـىـ تـشـمـيرـ مـالـهـ . وـأـظـهـرـاـ التـعـاـضـدـ وـالـتـواـصـلـ وـالـتـعـاـفـ وـالـتـنـاـصـرـ حـتـىـ تـعـرـفـ بـهـ ، فـإـنـ ذـالـكـ مـاـ تـرـضـيـانـ بـهـ رـبـكـمـاـ وـتـغـيـظـانـ بـهـ عـدـوـكـمـاـ ، وـإـيـاـكـمـاـ وـالـتـنـافـسـ وـالـتـقـاطـعـ وـالـتـدـابـرـ وـالـتـحـاسـدـ وـطـاعـةـ النـسـاءـ فـيـ ذـالـكـ فـإـنـهـ مـاـ يـفـسـدـ دـيـنـكـمـاـ وـدـنـيـاـكـمـاـ ، وـيـضـعـ مـنـ قـدـرـكـمـاـ ، وـيـحـطـ مـنـ مـكـانـكـمـاـ ، وـيـحـقـرـ أـمـرـكـمـاـ عـنـدـ عـدـوـكـمـاـ ، وـيـصـغـرـ شـأـنـكـمـاـ عـنـدـ صـدـيقـكـمـاـ . وـمـنـ أـسـدـيـ مـنـكـمـاـ إـلـىـ أـخـيـهـ مـعـرـوفـاـ أوـ مـكـارـمـةـ أوـ مـوـاـصـلـةـ فـلـاـ يـنـتـظـرـ مـقـارـضـةـ عـلـيـهـاـ ، وـلـاـ يـذـكـرـ مـاـ أـتـيـ مـنـهـاـ ، فـإـنـ ذـالـكـ مـاـ يـوـجـبـ الصـفـائـنـ وـيـسـبـبـ التـبـاغـضـ ، وـيـقـبـحـ الـمـعـرـوفـ ، وـيـحـقـرـ الـكـبـيرـ ، وـيـدـلـ عـلـىـ الـمـقـتـ وـالـفـسـادـ وـدـنـاءـةـ الـهـمـةـ .

(١٩) وإنـ أحـدـكـمـاـ زـلـ وـتـرـكـ الأـخـذـ بـوصـيـتـيـ فـيـ بـرـ أـخـيـهـ وـمـرـاعـاتـهـ فـلـيـتـلـافـ الآـخـرـ ذـالـكـ بـتـمـسـكـهـ بـوـصـيـتـيـ ، وـالـصـبـرـ لـأـخـيـهـ ، وـالـرـفـقـ بـهـ ، وـتـرـكـ المـقـارـضـةـ لـهـ عـلـىـ جـفـوـتـهـ ، وـالـمـتـابـعـةـ لـهـ عـلـىـ سـوـءـ مـعـالـمـتـهـ (٨٠ بـ) فـإـنـهـ يـحـمـدـ عـاقـبـةـ صـبـرـهـ ، وـيـفـوزـ بـالـفـضـلـ فـيـ أـمـرـهـ وـيـكـونـ لـمـاـ يـأـتـيـهـ أـخـوـهـ كـبـيرـ تـأـثـيرـ فـيـ حـالـهـ .

(٢٠) واعلمـا أـنـى قد رأـيـت جـمـاعـة لم تـكـن لـهـم أحـوـالـ وـلـاـ أـقـدـارـ ، أـقـامـ أحـوـالـهـمـ ، وـرـفـعـ أـقـدـارـهـمـ اـنـقـافـهـمـ وـتـعـاـضـدـهـمـ ، وـقـدـ رـأـيـتـ جـمـاعـةـ كـانـتـ أـقـدـارـهـمـ سـامـيـةـ ، وـأـحـوـالـهـمـ نـامـيـةـ ، مـحـقـ أـحـوـالـهـمـ ، وـوـضـعـ أـقـدـارـهـمـ اـخـتـلـافـهـمـ ، فـاحـذـرـاـ أـنـ تـكـوـنـاـ مـنـهـمـ . ثـمـ عـلـيـكـمـ بـمـوـاـصـلـةـ بـنـىـ أـعـمـامـكـمـ وـأـهـلـ بـيـتـكـمـ وـالـإـكـرـامـ لـهـمـ ، وـالـمـوـاـصـلـةـ لـكـبـيرـهـمـ وـصـغـيرـهـمـ ، وـالـمـشـارـكـةـ لـهـمـ بـمـالـ وـالـحـالـ ، وـالـمـثـابـرـةـ عـلـىـ مـهـادـاتـهـمـ ، وـالـمـتـابـعـةـ لـزـيـارـتـهـمـ ، وـالـتـعـاهـدـ لـأـمـورـهـمـ ، وـالـبـرـ لـكـبـيرـهـمـ ، وـالـإـشـفـاقـ عـلـىـ صـغـيرـهـمـ ، وـالـحـرـصـ عـلـىـ نـمـاءـ مـالـ غـنـيـهـمـ ، وـالـحـفـظـ لـعـيـبـهـمـ ، وـالـقـيـامـ بـحـوـاجـهـمـ دـوـنـ اـقـضـاءـ لـجـازـاـةـ ، وـلـاـ اـنـتـظـارـ مـقـارـضـةـ ، فـإـنـ ذـلـكـ مـاـ تـسـودـانـ بـهـ فـيـ عـشـيرـتـكـمـ ، وـتـعـظـيـانـ بـهـ عـنـدـ أـهـلـ بـيـتـكـمـ . وـصـلـاـ رـحـمـكـمـ وـإـنـ ضـعـفـ سـبـبـهـاـ ، وـقـرـبـاـ مـاـ بـعـدـ مـنـهـاـ ، وـاجـتـهـداـ فـيـ الـقـيـامـ بـحـقـهـاـ ، وـإـيـاـكـمـ وـالـتـضـيـعـ لـهـاـ ، فـقـدـ روـىـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ — أـنـهـ قـالـ : مـنـ أـحـبـ الذـسـأـ فـيـ الـأـجـلـ وـالـسـعـةـ فـيـ الرـزـقـ فـلـيـصـلـ رـحـمـهـ . وـهـذـاـ مـاـ يـشـرـفـ بـهـ مـلـزـمـهـ ، وـيـعـظـمـ عـنـدـ النـاسـ مـعـظـمـهـ ، وـمـاـ عـلـمـتـ أـهـلـ بـيـتـ تـقـاطـعـوـاـ وـتـدـابـرـوـاـ إـلـاـ هـلـكـوـاـ وـانـقـرـضـوـاـ . وـلـاـ عـلـمـتـ أـهـلـ بـيـتـ تـوـاـصـلـوـاـ وـتـعـاطـفـوـاـ إـلـاـ نـمـواـ وـكـثـرـوـاـ وـبـُرـكـهـ لـهـمـ فـيـاـ حـاـولـوـاـ .

ثـمـ الـجـارـ عـلـيـكـمـ بـحـفـظـهـ (١٨١) وـالـكـفـ عنـ أـذـاهـ ، وـالـسـتـ لـعـورـتـهـ ، وـالـإـهـداءـ إـلـيـهـ ، وـالـصـبـرـ عـلـىـ مـاـ كـانـ مـنـهـ ، فـقـدـ روـىـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ — أـنـهـ قـالـ : لـاـ يـؤـمـنـ مـنـ لـاـ يـأـمـنـ جـارـهـ بـوـاقـتـهـ . وـروـىـ عـنـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ — أـنـهـ قـالـ : مـاـ زـالـ جـبـرـيلـ يـوـصـيـنـيـ بـالـجـارـ حـتـىـ ظـنـنـتـ أـنـهـ سـيـوـرـهـ . وـاعـلـمـ أـنـ الـجـوـارـ قـرـابـةـ وـنـسـبـ ، فـتـحـبـيـاـ إـلـىـ جـيـرانـكـمـ كـمـ تـتـحـبـيـاـ إـلـىـ أـقـارـبـكـمـ — اـرـعـيـاـ حـقـوقـهـمـ فـيـ مـشـهـدـهـمـ وـمـغـيـبـهـمـ ، وـأـحـسـنـاـ إـلـىـ قـفـيرـهـمـ ، وـبـالـغاـ فـيـ حـفـظـ غـيـبـهـمـ ، وـعـلـمـاـ جـاهـلـهـمـ . ثـمـ مـنـ عـلـمـتـاـ مـنـ إـخـوـانـيـ وـأـهـلـ مـوـدـتـيـ فـإـنـهـ يـتـعـينـ عـلـيـكـمـ مـرـاعـيـهـمـ وـتـعـيـظـهـمـ ، وـبـرـهـمـ وـإـكـرـامـهـمـ وـمـوـاـصـلـهـمـ ، فـقـدـ روـىـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ اـبـنـ عـمـ أـنـهـ حـدـثـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ — أـنـهـ قـالـ : إـنـ أـبـرـ الـبـرـ

أن يصل الرجل أهل ود أبيه . ثم إخوانكما عاملاهم بالإخلاص والاكرام وقضاء الحقوق ، والتباين عن الذنب ، والكمان للأسرار . وإياكما أن تحدثا أنفسكما أن تنتظرا مقارضة من أحستنا إليه وأنعمتنا عليه ، فإن انتظار المقارضة تمسح الصنيعة ، وتعيد الأفعال الرفيعة وضيعة ، وتقلب الشكر ذمًا ، والمد مقنًا ، ولا يجب أن تعتقدا معادة أحد ، واعتمدا التحرز من كل أحد ، فمن قصدكما بطالبة أو تكرر عليكما بأذية فلا تقاربوا جهدهما ، والتزموا الصبر له ما استطعتما ، فما التزم أحد الصبر والحلم إلا عز ونصر ، ومن بنى عليه (٨١ ب) لينصرنه الله ، وقد استعملت هذا — بفضل الله — مراراً فحمدت العاقبة ، واغبطة بالكف عن المقارضة ، ولا تستعظاما من حوادث الأيام شيئاً ، وكل أمر يقرض حquier ، وكل كبير لا يدوم صغير ، وكل أمر ينقضي قصير . وانتظروا الفرج ، فإن انتظار الفرج عبادة ، وعلقا رجاءكما بربكما وتكللا عليه ، فإن التوكيل عليه سعادة ، واستعينا بالدعاء والجئنا إليه في اليساء والغراء ، فإن الدعاء سفيه لا تعطى ، وحزب لا يغلب وجند لا يهرب .

(٢٢) وإياكما أن تستحيلوا عن هذا المذهب ، أو تعتقدا غيره ، أو تتعلقا بسواء ، فتلهلكما وتختروا الدين والدنيا ، وربما دعوتما في شيءٍ فنالكما مع الدعاء معرة ، ووصلت إليكما مضررة ، فازدادا حرضاً على الدعاء ، ورغبة في الإخلاص والتضرع والبكاء ، فإن (١) نالكما من المضررة بما سلف من ذنوبكما ، واكتسبتماه من سيء أعمالكما ، ومع ذلك فالذى ألمهمكما إلى الدعاء ووقفوكما لابد أن يحسن العاقبة لكما ، وقد نجاكما بدعايتكما عن الكثير ، وصرف به عنكما من البلاء الكبير .

(٢٣) وإذا أنتزعكما ربكم بنعمة فتلقيها بالإكرام لها ، والشكر عليها ، والمساهمة فيها ، واجعلها عوناً على طاعته ، وسبباً إلى عبادته ، والخذل الخذر

(١) ربما تكون كلمة (ما) ساقطة من الناسخ لأن السياق يتقتضيها .

من أَنْ تَهِينَا نَعْمَةَ رَبِّكُمَا فَتَرَكُكُمَا مَذْمُومِينَ ، وَتَزُولُ عَنْكُمَا مَقْوِتِينَ ، رَوَى عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ : يَا عَائِشَةَ أَحْسَنِي جَوَارِ نَعَمَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهَا قَلَ (١٨٢) مَا زَالَتْ مِنْ قَوْمٍ فَعَادُتْ إِلَيْهِمْ . وَإِيَّاكُمَا أَنْ تَطْغِيَكُمَا النَّعْمَةَ فَتَنْقُصُرَا عَنْ شَكْرِهَا أَوْ تَنْسِيَا حَقَّهَا ، أَوْ تَظْنَا أَنَّكُمَا نَلَمَاهَا بِسْعِكُمَا ، أَوْ وَصَلَتْ إِلَيْهَا بِاجْتِهَادِكُمَا ، فَتَعُودُ نَعْمَةً مَؤْذِيَّةً ، وَبَلِيَّةً عَظِيمَةً .

(٢٤) وَعَلَيْكُمَا بطاعة من ولاد الله أمركم فيما لا معصية فيه لله تعالى فإن طاعته من أفضل ما تتمسكان به وتعصمان به من عادكم ، وإياكم والتعريف للخلاف لهم ، والقيام عليهم ، فإن هذا فيه العطب العاجل ، والخزي الآجل ، ولو ظفرتما في خلافكم ، ونفذتما فيما حاولتما لكان ذلك سبب هلاكم لما تكتسبانه من المأثم ، وتحدثان على الناس من الحوادث والخطائم ، ثم من سعيتما له ووقفتما به لا يقدم شيئاً على إهلاكم ، والراحة منكم ، فإنه لا يأمن أن تحدثان عليه ما أحدهما له ، وتهضسان بغيره كما تهضسان به — فالترنم الطاعة وملازمته الجماعة ، فإن السلطان الجائر الظالم أرفق بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة . فإن رابكم أمر من ولـيـلكـمـا ، أو وصلـتـ منهـ أـذـيـةـ إـلـيـكـمـا فـاصـبرـاـ واقـبـضاـ ، وـتخـيلـاـ لـصـرـفـ ذـلـكـ عـنـكـمـاـ باـالـسـتـرـزـالـ وـالـاحـتمـالـ وـالـإـجـمـالـ وـالـفـارـجـاـ عن بلده إلى أن تصلح لكم جهته ، وتعود إلى الإحسان إليـكـمـاـ نـيـتـهـ .

(٢٥) وَإِيَّاكُمَا وَكَثْرَةِ التَّنْزِيلِ مِنْهُ وَالتَّعْرُضُ لِذَكْرِهِ بِقَبِيحِ يَوْمِرِ عَنْهُ فَإِنْ ذَلِكَ (١٨٢ بـ) لَا يَرِيدُهُ إِلَّا حَنْقًا وَبَغْضَةً فِيـكـمـاـ ، وَرَضِيـ بـأـضـرـارـهـ بـكـمـاـ ، وَابـدـئـ بـعـدـ سـدـ هـذـهـ الـأـبـوـبـ عـنـكـمـاـ بـتـرـكـ مـنـافـسـكـمـاـ ، وـمـطـالـبـهـ مـنـ طـالـبـكـمـاـ ، فـإـنـهـ قـدـ يـبـدـأـ بـهـذـهـ الـمـعـانـيـ مـنـ يـعـتـقـدـ أـنـهـ لـاـ يـتوـصـلـ مـنـهـ إـلـىـ مـحـظـورـ ، وـلـاـ يـتـشـبـثـ مـنـهـ بـمـكـرـرـوـهـ ، ثـمـ يـفـضـيـ الـأـمـرـ إـلـىـ مـاـ لـاـ يـرـيـدـهـ وـلـاـ يـعـتـمـدـ مـنـ مـخـالـفـةـ الرـئـيـسـ الـذـيـ يـقـهـرـ مـنـ نـاوـهـ وـيـغـلـبـ مـنـ غـالـبـهـ وـعـادـهـ ، وـإـنـ رـأـيـتـمـاـ أـحـدـاـ قدـ خـالـفـ مـنـ وـلـيـ عـلـيـهـ ، أـوـ قـامـ عـلـىـ مـنـ أـسـنـدـ أـمـرـهـ إـلـيـهـ فـلـاـ تـرـضـيـاـ فـعـلـهـ ، وـاقـبـضاـ عـنـهـ ،

وأغلقا على أنفسكما الأبواب ، واقطعا بينكما وبينه الأسباب حتى تنجلى الفتنة وتنقضى الحنة .

(٢٦) وإياكما والاستكثار من الدنيا وحطامها ، وعليكما بالتوسط فيها ، والكافف الصالح الوافر منها ، فإن الجم لها ، والاستكثار منها مع ما فيه من الشغل بها ، والشغب بالنظر فيها ، يصرف وجوه الحسد إلى صاحبها ، والطعم إلى جامعها ، والحنق على المنفرد بها ، فالسلطان يتمنى أن يزل زلة يتسبب بها إلى أخذ ما عظم في نفسه من ماله ، والفاقد مرصد لخيانته واغتياله ، والصالح ذام له على استكثاره منه واحتفاله ، يخاف عليه صديقه وحبيبه ، ويبغضه من أجله أخوه شقيقه ، إن منعه لم يعد لأئمأ ، وإن بذلك لم يهد راضيا ، ومن رزق منكما مالا فلا يجعل في الأصول إلا أقله ، فإن شغبها طويل ، وصاحبها (١٨٣) ذليل ، وليس بمال على الحقيقة إن تغاب على الجهة عدو وحال بينه وبينها ، وإن احتاج إلى الانتقال عنها تركها أو ترك أكثرها .

(٢٧) ومن احتاج منكما فليجمل في الطلب فإنه لا يفوته ما قدر له ، ولا يدرك ما لم يقدر له ، وقد ذكر الله — تعالى — ما وعظ به العبد الصالح ابنه في مثل هذا فقال : « يَا بْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَبِيرٌ »<sup>(١)</sup> واجتبنا صحبة السلطان ما استطعنا ، وتحرياً البعد منه ما أمكنكما ، فإن البعد عنه أفضل من العز بالقرب منه ، فإن صاحب السلطان خائف لا يأمن ، وخائن لا يؤمن ، ومسى إن أحسن ، يخاف منه ويخاف بسيبه ، ويتهمه الناس من أجله ، إن قرب فتن ، وإن بعد أحذن ، يحسدك الصديق على رضاه إذا رضى ، ويتبرأ منك ولدك ووالدك إذا سخط ، ويكثر لائموك إذا منع ، ويقل

(١) سورة لقمان (٣١) آية رقم ١٦

شاكروك<sup>(١)</sup> إذا شبع — فهذه حال السلامة معه ، ولا سبيل إلى السلامة من يأتي بعده ، فإن امتحن أحدكما بصحبته ، أو دعوه إلى ذلك ضرورة فليقلل من المال والحال ، ولا يقترب عنده أحداً ، ولا يطالب عنده بشرا ، ولا يعص له في المعروف أمراً ، ولا يستنزله إلى معصية الله تعالى ، فإنه يطلب بمثلها ، ويصير عنده من أهلها ، وإن حظى عنده بمثلها في الظاهر (٨٣ ب) فإن نفسه تمقته في الباطن .

(٢٨) ولا يرغب أحدكما في أن يكون أرفع الناس درجة ، وأتمهم جاهًا ، وأعلاهم منزلة ، فإن تلك حال لا يسلم صاحبها ، ودرجة لا يثبت من احتلها . وأسلم الطبقات الطبقات المتوسطة ، لا تهتم من دعوة ، ولا ترقى من رفعة ، ومن عيب الدرجة العليا أن صاحبها لا يرجو المزيد ولا كنه يخاف النقص ، والدرجة الوسطى يرجو الازدياد ، وبينها وبين المخاوف حجاب ، فاجعلوا بين أيديكم درجة يستغل بها الحسود عنكم ، ويرجوها الصديق لكم .

(٢٩) ولا يطلب أحدكما ولاية فإن طلبها شين ، وتركتها لمن دعى إليها زين ، فمن امتحن بها منكما فلتكن حاله في نفسه أرفع من أن تحدث فيه بأوا ، أو يبدى بها زهوا ، وليعلم أن الولاية لا تزيده رفعة ، ولا كنه فتنه ومحنة ، وأنه معرض لأحد أمرين : إما أن يعزل فيعود إلى حالته ، أو يسيء استدامة ولاليته فيصبح ذكره ، ويُثقل وزره ، وإن استوت عنده ولاليته وعزله كان جديراً أن يستديم العمل فيبلغ الأمل ، أو يعزل لاحسانه فلا يحيط بذلك من مكانه ، وأقل ما زحمة الإخوان وملابستهم ، والمتابعة في الاسترسال معهم ، فإن الأعداء أكثر من هذه صفتة ، وقل من يعاديك من لا يعرفك ولا تعرفه ،

(١) وردت في الخطوط هكذا — يحسدك الصديق على رضاه إذا رضى ، ويتبرأ منك ولدك ووالدك إذا سخط ويكثر لايوك إذا منع ، ويقل شاكروك إذا شبع — بكاف المخاطب ، وأعتقد أن الصواب أن تكون بهاء الغائب حتى يكون الكلام على وتبدة واحدة .

فهذا الذى يجب أن تبتلاه وتلتزم به ولا تتركه لعرض ولا لوجه طمع ، فربما (١٨٤) عرض وجه أمر يروق فيستنزل عن الحقائق بغير تحقيق ، وآخره يظهر من سوء العاقبة ما يوجب الندم حيث لا ينفع ، ويتمني له التلافي فلا يمكن فإن فقدت وصيتي هذه ونسيناها فعليكما بما ذكر الله تعالى في وصية لقمان لابنه فان فيها جماع الخير . وهى : « يَا بْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ . عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصْرِفْ<sup>(١)</sup> حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمِشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقِصِدْ فِي مَسْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمْيِرِ<sup>(٢)</sup> . وإنى لاؤصيكما وأعلم أنى لن أغنى عنكما من الله شيئاً . « إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلُونَ<sup>(٣)</sup> ». وهو حسبنا ونعم الوكيل .

### كلمات الوصية المباركة والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين وصحابته المنتخبين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم [الدين] ، وذلك في يوم الخميس السابع لشهر ذي الحجة مختتم عام تسعه وأربعين وسبعين

جودة عبد الرحمن هلال

(١) وردت في الأصل تصاعر . (التحرير)

(٢) سورة لقمان (٣١) آية رقم ١٧

(٣) سورة يوسف (١٢) آية رقم ٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

## كتاب العمل بالاسطرلاب وذكر آلاته وأجزائه لابن الصفار

أول ذلك الحلقة وتسمى العلاقة وهي التي يُعلق الأسطرلاب بها لأخذ الارتفاع ثم العروة وهي المتصلة بها ثم الكرسي ثم الأم وهي الصفيحة الكبرى الجامعية للصفائح وفيها الطوق تسمى<sup>(١)</sup> الحجرة وهي مقسمة بثلاث مائة وستين درجة دور الفلك ثم الصفائح داخلها وفي كل صفيحة منها ثلاثة دوائر على مركز الصفيحة فالصغرى منها مدار رأس السرطان والوسطى مدار رأس الحمل والميزان والكبرى مدار رأس الجدى ثم المقتنطرات وهي الدوائر الخاططة في النصف الأعلى الظاهر إلينا وأولها الأفق وهو فرق ما بين ما يرى وبين ما لا يرى والقطة التي في وسط هذه المقتنطرات سمت الرؤوس ثم السموت وهي قطع دوائر مقاطعة للمقتنطرات ثم الساعات وهي الخاططة في القطعة الشملية الخفية عنا وفيها بين الساعات ثلاثة خطوط للظهور والعصر وأخر العصر وخutan لطلع الفجر ومغيب

. (١) تسا El ms. dice .

لاحظنا عند مراجعة الخطوط أن الكاتب لم يحر على قاعدة واحدة في رسم بعض الكلمات خاءت بذلك مخالفة المعروف فثلا كتاب مرة الاسطرلاب بالصاد بدلا من السين (الاسطرلاب ورقة ١٠ ب ) وأضاف في مرات أخرى وأوأ بعد الطاء ( الاسطورلاب ورقة ٤ - ٤ ب - ١٥ - ١٦ ) وذلك علاوة على كتابتها على النحو المنثور الآن . وكذلك أسقط لاماً من أول لفظ الليل فجاءت هكذا الليل ( ورقة ٨ ب - ١٠ ب - ١١ - ١٢ ب - ١٦ ) . وسيلاحظ القارئ اضطراباً في بعض العبارات ، ولقد فضلنا تركها على النحو الذي وردت عليه في هذا الخطوط إذ لا توجد تحت أيدينا الآن نسخ أخرى مخطوطة من هذا الكتاب نعتمد عليها في المقارنة لاجراء التصويبات الالزمة . واكتفينا بإثبات وجاهة نظرنا في المامش ( التحرير ) .

الشفق ثم خط وسط السماء وهو الخط الآخذ من موضع العلاقة مارًّا على مركز دائرة وتقسم الصفيحة بنصفين فما كانت منه فوق الأفق فهو خط وسط السماء ويسمى<sup>(١)</sup> خط نصف النهار وخط الزوال وما كان منه تحت الأفق فهو خط وتد الأرض ويسمى خط نصف الليل وهو (fol. 4 r.) خط الزوال أيضاً ثم العنكبوت وهى الشبكة الموضوعة فيها البروج والكواكب ومنطقة البروج منها دائرة المتضمنة لدرجات البروج وهى طريقة الشمس والشالية من هذه البروج ما كان داخل مدار رأس الحمل وهي ستة من أول الحمل إلى آخر العذرى والجنوبية ما كان خارج من<sup>(٢)</sup> مدار رأس الحمل وهى الستة الباقية ثم المرى وهى الزيادة التي في رأس الجدى ثم المحور وهى الثقبة التي في وسط الشبكة وفيها القطب الممسك للصفائح والفرس وهو الداخل في القطب الممسك له ثم ظهر الاسطرلاب (sic) دائرة تعديل الشمس ودائرتان أحدهما مقسومة بعدد أيام السنة وذلك ثلاتمائة وخمسة وستون يوماً وعليها الشهور مكتوبة والأخرى مقسومة بثلاثمائة وستين درجة عدد درج الفلك وعليها البروج مكتوبة ثم ربعأخذ الارتفاع وهو الربع الذى يلى الشمس إذا علق الاسطرلاب لأخذ الارتفاع ثم الربع وفيه ضلعان مقسومتان كل واحدة اثنا عشر قسماً وكل قسم منها يسمى اصبعاً ثم العضادة وهى المتحركة على ظهر الاسطرلاب وفيها شطبيتان متقويتان يؤخذ بها ارتفاع الشمس بالنهار والكواكب بالليل .

#### باب في تعديل الشمس وهو موضعها من فلك البروج

إذا أردت أن تعلم في أي برج تكون الشمس وكم درجة قطعت منه فاعرف ما صر لشهر العجمى من الأيام فضم العضادة على ذلك اليوم من الشهر فى دائرة الشهور فإذا فعلت ذلك وقعت (fol. 4 v.) العضادة في دائرة البروج على الدرجة

(١) يسمى El ms. dice .

(٢) لعل من هنا زائدة (التحرير)

التي الشمس فيها من البروج<sup>(١)</sup> الذي<sup>(٢)</sup> فيه إن شاء الله وتحصل أيضاً إلى معرفة اليوم من قبل درجة الشمس بأن تضع العصادة عليها في البروج<sup>(٣)</sup> الذي هي فيه فستريك اليوم الذي تريد معرفته كأراك اليوم الدرجة إن شاء الله .

#### باب معرفة وضع درجة الشمس في فلك البروج المخطوطة في الشبكة ومعرفة النظير

تعديل الشمس على ما تقدم فإذا علمت ما قطعت من درجات البروج<sup>(٤)</sup> الذي هي فيه فعلم على مثل ذلك العدد من ذلك البروج<sup>(٥)</sup> (a) كذا (u) في فلك البروج الموضوعة في الشبكة بنقطة على الدرجة التي أقيمت الشمس فيها وكان في النقطة فيها تريد من الاستدلال بها في الشمس ثم اعلم ما نظير البرج الذي فيه الشمس من سائر البروج وتحصل إلى ذلك بأن تعد البرج الذي فيه الشمس وما يليه من البروج إلى تمام سبعة برج فالسابع هو النظير فإذا عاشرته خذ من درجته عددها أخذت الشمس من برجها وضع على ذلك الموضع علامة فهي نظير درجة الشمس إن شاء الله .

#### باب في أخذ ارتفاع الشمس وارتفاع الكواكب

إذا أردت ارتفاع الشمس فعلى الاسطرلاب ييدك من حلقته ول يكن غير صرود وقابل برأس العصادة الشمس حتى يدخل ضياؤها عليها على الثقب الذي تقابلها به (fol. 5 r.) من الشطبة العليا وتقع على الذي تقابلها من الشطبة

(١) البرج (التحرير)

(٢) الصواب : الذي هي فيه (التحرير)

(٣) البرج (التحرير)

(٤) «

(٥) «

Entre lineas (u)-(a)

العليا<sup>(١)</sup> وتقع على الذى يقابلها من الشطبة السفلی فإذا فعلت ذلك فاعلم كم درجة ارتفعت العضادة في المربع الموضوع لأنذ الارتفاع فما كان من الدرجات فهو ارتفاع الشمس على الأفق فيما يقابل منه وتعرف ارتفاع الكواكب بالليل بتعلق الاسطرلاب على ما تقدم وتنظر إلى الكواكب في ثقب الشطبة السفلی حتى تراه من ثقب الشطبة العليا فإذا فعلت ارتك العضادة ارتفاعه على حسب ما ارتك ارتفاع الشمس .

#### باب في معرفة أوقات النهار وما صر من ساعات زمانية ومعرفة الطالع في الأوقات

إذا أردت معرفة ذلك فخذ ارتفاع الشمس على ما تقدم واحفظه ثم ادر الشبكة عليه حتى تضع النقطة التي هي درجة الشمس في المقنطرات على مثل عدد الارتفاع الذي أخذت فإذا فعلت ذلك فانظر نقطة النظير فما وقعت عليه في الأسفل من الساعات الموضوعة فهو ما صر من ساعات النهار وتضع درجة الشمس على مثل ارتفاعها من أول النهار إلى وقت الزوال في مقنطرات المشرق ومن بعد الزوال إلى غروب الشمس في مقنطرات المغرب وتستدل على أوقات النهار بنظير درجة الشمس وعلى أوقات الليل بدرجة الشمس وما وقع على الأفق الشرقي من درجات البروج فهو طالع بذلك الوقت ونظيره الغارب وما وقع على خط وسط السماء فهو درجة وسط السماء لذلك الوقت ونظيره وتد الأرض فإن كان ارتفاع الشمس الذي أخذت (fol. 5 r.) واقعاً بين مقنطرتين واردت وضع موضع درجة الشمس عليه بالحقيقة فاعرف كم يزيد الارتفاع على ارتفاع المقنطرة

(١) كان العرف السائد عند الخطاطين في كتابة الخطوطات هو أن يكتبوا الكلمة الأولى من النص الواردة في السطر الأول في أوراق الخطوط في المأمش السفل للاوراق السابقة لها مباشرة ليسهل الاستدلال على تتابع وتسلاسل الأوراق . غير أن كاتب هذا الخطوط قد خالف هذه القاعدة بأن أدمج هذه الكلمات « الدالة » في صلب المتن بدلا من كتابتها في المأمش ومن هنا تبع التكرار في بعض الكلمات بل وفي بعض العبارات على النحو الوارد هنا وفي صحيفة ٢٠ ( التحرير )

التي قبله وسم ذلك من عدد ما بين كل مقطورتين إن كان الاسطرلاب نصفياً فن اثنين أو ثنتيَا فن ثلاثة أو سدسياً فن ستة واحفظ تلك النسبة ثم ضع درجة الشمس على المقطورة التي قبلها وانظركم قطع المري من الحجرة وعلم على موضع المري من الحجرة علامه ثم حرك درجة الشمس حتى يقع على المقطورة التي فوقها وانظركم قطع المري من أجزاء الحجرة وخذ من تلك الأجزاء مثل النسبة التي حفظت مما كان حركت المري من العلامه التي علّمت في الحجرة مثل تلك الأجزاء التي أخذت فإذا فعلت هذا وقعت درجة الشمس بين المقطورتين على مثل الارتفاع الذي أردت وكذلك تصنع في وضع الكواكب بالليل إذا وقعت لك الارتفاع بين مقطورتين فأعلمه .

#### باب معرفة أوقات الليل وما من ساعه زمانية (١) ومعرفة الطالع

إذا أردت أن تعلم معرفة ما من الليل من ساعاته الزمانية فخذ ارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة في الشبكة فاحفظه ثم ادر الشبكة حتى تصم طرف الكوكب في المقطورات على مثل عدد ارتفاعه فإن كان في حين أخذك ارتفاعه في المغرب وضعيته على مثل عدده في مقطورات المغرب وإن كان في المشرق وضعيته على مقطورات المشرق وإن كان الكوكب في وسط السماء تركته وأخذت من (fol. 6 r.) الكواكب مشرقاً أو مغرباً ثم تنظر درجة الشمس فما وقعت عليه من الساعات فهو ما من ساعات زمانية والطالع ما كان على الأفق الشرقي على ما تقدم ووسط السماء ما كان على خط نصف النهار .

#### باب معرفة وقت الظهر والعصر وأخر العصر ومنيب الشفق وطلوع الفجر

إذا أردت معرفة وقت الظهر والعصر فخذ ارتفاع الشمس وضع درجتها في المقطورات على مثال ارتفاعها كما تقدم في معرفة الساعات فسيريك النظير هذه

(١) زمانية « التحرير » .

الأوقات بوقوعه على الخطوط الموضوعة لها كما أراك الساعات إن شاء الله وإذا أردت معرفة مغيب الشفق وطلوع الفجر فخذ ارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة في الشبكة وضعه في المقطورات على مثل ارتفاعه في الناحية التي هو فيها كما تقدم لك فيأخذ أوقات الليل فإن وقع نظير درجة الشمس على مقاطرة مغيب الشفق الموضوع في الاسطر<sup>(١)</sup> (sic) فقد غاب وإن وقع دونها فلم يغب وكذلك الفجر إذا وقع النظير على المقطورة الموضوعة له فهو بدور طلوعه وما لم يقع عليها ولا يصل إليها فلم يطلع بعد وتعرف أيضاً مغيب الشفق وطلوع الفجر بوقوع درجة الشمس على الخطين الموضوعتين لها في حين الساعات إذا كانوا مخطوطين في الاسطرباب .

#### باب معرفة قوس الليل وقوس النهار

إذا أردت إستخراج قوس الليل أو قوس النهار وها من ثلاثة مائة (fol.6 v.) وستين درجة دور الفلك فأعترف درجة الشمس في البروج<sup>(٢)</sup> الذي هي فيه وضع عليها نقطة وكذلك تقدرها الشمس لما ت يريد من الاستدلال بها ثم ضعها على أفق المشرق وانظر ما يقابل المرى من العدد في الحجرة قبل حركة النقطة من الأفق فاحفظه وعلم عليه عالمة ثم أدر الشبكة إلى أن تصعد النقطة إلى أفق المغرب ثم انظر ما قطع المرى من العدد من مكان تحريك النقطة من المشرق إلى المغرب فما كان فهو قوس النهار وباقى العدد في الحجرة قوس الليل والأكثر عدداً أفسح زماناً وإن أردت إستخراج قوس الليل قبل قوس النهار فضع النقطة على أفق المغرب وادر الشبكة إلى أن تصعدها على أفق المشرق واصنع ما صنعت في قوس النهار والأعداد الموضوعة على جميع الحجرة هي قسمة ما تقطعه الشمس في يوم

(١) من الواضح أنها الاسطرباب (التعريب)

(٢) البرج (التعريب)

وليلة وقسم ذلك على ثلاثة وستين درجة إتفاقاً وهذا يعرف قوس نهار كل كوكب من الكواكب الموضعة في الشبكة وقوس ليها أعني زمان ظهورها فوق الأرض ومجيئها تصنف بالكواكب ما صنعت بدرجة الشمس .

#### باب في معرفة أجزاء ساعة واحدة زمانية من ساعات النهار والليل

إذا أردت ذلك فاستخرج قوس الليل والنهار واقسم أيها شئت على إثنى عشر جزءاً وذلك عدة الساعات الزمانية للليل أو النهار فما خرج فهو عدد درجات ساعة واحدة من الليل إن قسمت قوسه ومن النهار إن كنت قسمت قوسه وإذا عرفت أبداً درجات (fol. 7 r.) ساعة أحدها فانقسمها من ثلاثين فما بقي فهي عدد درجات ساعات الآخر وإنما نقصت من ثلاثين لأن عدد درجات ساعتي الليل والنهار إذا جمعاً ثلاثة درجة وذلك عدد درجات ساعتين معتدلتين لأن ما نقص أحدهما<sup>(١)</sup> من ساعة معتدلة زاد في الأخرى وتصل إلى معرفة درجات الساعة بغير معرفة القوس على مقاربة وذلك أن تضع نظير درجة الشمس على أول ساعة من أي الساعات شئت ثم تعلم على موضع المري من الحجرة علامه ثم تردها إلى آخر الساعة ثم انظر ما قطع المري من الموضع الذي كان عليه المري في أول الساعة إلى الموضع الذي صار إليه في آخرها فما كان فهو درجات الساعة الواحدة من النهار فإن أردت علم الساعة الواحدة من الليل فاصنع بدرجة الشمس ما صنعت بنظيرها ومتى نقصت درجات أحدهما من ثلاثين فالباقي درجات ساعات الأخرى على ما تقدم .

#### باب في معرفة ما من كسر الساعة على الحقيقة

إذا من الساعة بعضها وأردت على<sup>(٢)</sup> ما منها على الحقيقة فعلم على موضع المري من الدرجات في الحجرة علامه ثم ضع نقطة النظير على أول الساعة واعرف

(١) ربما كان الصواب من أحدهما (التحرير)

(٢) علم (التحرير)

ما يتحرك المرى من الدرجات من موضع العلامة فأنسبه من درجات الساعة الواحدة من الليل والنهار في أيها كانت فما كان فهو ما مر من الساعة إن شاء الله تعالى وإن كان الباقي من الساعة أقلها علمت على موضع المرى أيضاً علامة وحركت الدليل إلى آخر الساعة وعرفت ما قطع (fol. 7 v.) المرى من الدرجات ونسبت ذلك من درجات الساعة الواحدة فما كان فهو ما بقي من الساعة على الحقيقة.

#### باب معرفةكم ساعة معتدلة في الليل والنهار متى شئت

إذا أردت أن تعلمكم ساعة معتدلة في الليل والنهار متى شئت من الزمن فعدل الشمس واعلم بدرجتها قوس النهار والليل أيها أردت واقسم قوس ما أردت على خمسة عشر وذلك عدد درجات الساعة الواحدة المعتدلة فما خرج فهو عدد ساعات ما قسمت ليلاً كان أو نهاراً ومتي عامت ساعات احدها المعتدلة فانقصها من أربعة وعشرين فما بقي فهو ساعات ما لم يقسم .

#### باب معرفةكم ساعة معتدلة تمر بالليل والنهار

إذا أردتكم ساعة معتدلة تمر من النهار فخذ ارتفاع الشمس ثم ضع درجتها على ارتفاعها في المقطرات على ما تقدم فيأخذ الساعة الزمانية ثم علم على موضع المرى علامة ثم اصرف درجة الشمس حتى تضعها على الأفق الشرقي وهو مكان طلوعها في أول النهار ثم انظر ما قطع المرى من درجات المجرة من موضع العلامة إلى أن صيرت الدرجة على أفق المشرق فما كان من الدرجات فهو ما دار من الفلك من وقت طلوع الشمس إلى حين وقت الارتفاع الذي أخذت فاقسم ذلك على خمسة عشر فما خرج فهو عدد ساعة معتدلة من النهار وهكذا تصنع بالليل تأخذ ارتفاع كوكب وتضعه على مثل (fol. 8 r.) ارتفاعه في المقطرات وتعلم على موضع المرى علامة وترد درجة الشمس إلى أفق المغرب وهو مكان

غروبها في أول الليل وتقسم ما دار من الدرجات في الحجرة على خمسة عشر فاخرج فهو ما من الليل من ساعة معتدلة وإذا أردت أن تعلم كم من ساعة في الليل معتدلة بين الوقت الذي أنت فيه وبين طلوع الفجر فخذ ارتفاع كوكب على ما فعلت فوق هذا وضعه على مثل ارتفاعه وعلم على موضع المري من الحجرة علامه ثم حرك نظير درجة الشمس حتى تضع<sup>(١)</sup> على مقنطرة الفجر وتعرف ما تحرك المري من الدرجات وتقسم ذلك على خمسة عشر فاخرج فهو ما بين وقتك وطلوع الفجر من الساعات المعتدلة إن شاء الله .

#### باب في معرفة صرف الساعات الزمانية إلى المعتدلة وصرف المعتدلة إلى الزمانية

إذا أردت أن تعلم ما في ساعة زمانية من أي يوم شئت من ساعة معتدلة فاقعرف درجة الشمس لذلك اليوم ثم ضع النظير على أفق المغرب إن كانت الساعة الزمانية من النهار ثم علم على موضع المري علامه من الحجرة وأدبر نظير درجة الشمس إلى آخر الساعة التي أردت أن تعلم صرفها فإذا أردت ذلك فاقعرف ما تحرك المري من أجزاء الحجرة فاقسمه على خمسة عشر فما خرج فهو عدد ساعة معتدلة استوفت الساعة الزمانية من الليل فاصنع بدرجة الشمس ما صنعت بنظيرها وإن أردت أن تعلم ما في ساعة معتدلة من ساعة زمانية في أي ليل شئت أو نهار فاقعرف درجة (fol. 8 v.) الشمس فإن كانت الساعة المطلوبة نهارية فضع النظير على أفق المغرب ثم علم على موضع المري من الحجرة علامه ثم صير ساعتك المعتدلة درجات كلها وذلك بضربيها في خمسة عشر فما اجتمع من الدرجات فحرك المري من موضع العلامه عدد تلك الدرجات في الحجرة ثم انظر ما قطع النظير من الساعات الزمانية وكسرها فهو عدد ساعات زمانية من النهار

(١) تقع (التحرير)

استوفت الساعات المعتدلة المعلومة وإن صرفت المعتدلة إلى زمانية ليلية فضم  
درجة الشمس على أفق المغرب واصنع كما نعت لك فوق هذا .

باب في معرفة ارتفاع الشمس في نصف النهار  
وارتفاع الكواكب فيه وذلك أرفع ما يكون

وإذا أردت أن تعلم ارتفاع الشمس في نصف النهار وهو أول وقت الزوال  
فضم درجة الشمس على خط نصف النهار في الصفيحة التي عرضها كعرض بلدك  
وانظر ما وقعت عليه الدرجة من الارتفاع في المقطورات فذلك هو ارتفاعها نصف  
النهار في بلدك وكذلك تفعل بالكوكب الذي تريد معرفة ارتفاعه بوقوعه على خط  
نصف النهار فضمه على الخط المذكور وتتنظر ما وقع عليه من الارتفاع في المقطورات  
فذلك أرفع ما يكون الكوكب في بلدك .

#### باب منه آخر

إعلم أن فلك البروج ينقسم بنصفين من رأس الجدي إلى رأس السرطان  
ونصف من رأس السرطان إلى رأس الجدي ورأس الجدي يسمى المقلب الشتوي  
ورأس السرطان يسمى المقلب الصيفي واعلم أن كل درجتين من هذين ( fol. 9 r.)  
النصفين يكون بعدها من أحد المقلبين بعدها واحداً فيليها ميلاً واحداً إلى ناحية  
الشمال أو إلى ناحية الجنوب وعظم نهار كل درجتين مساو لعظم نهار الأخرى  
و كذلك عظم الليل وظل الزوال وارتفاعها في نصف النهار مساو أبداً ومثل ذلك  
آخر برج الجدي وأول برج القوس وبعدها من المقلب الشتوي بعد واحد وكآخر  
الدلو وأول العقرب وكذلك ما بينها من الدرجات وكذلك أول الجوزا وأخر  
السرطان بعدها من المقلب الصيفي واحد وكذلك حكم درجات البرج<sup>(١)</sup> كلها .

(١) لعلها البروج ( التحرير )

باب في معرفة درجة الشمس المجهولة من قبل ارتفاع نصف النهار العلوم ومعرفة اليوم الذي يكون ذلك فيه

إذا أردت معرفة ذلك فعلم في المقطورات على خط نصف النهار عالمة على مثل ذلك الارتفاع العلوم ثم حرك الشبكة فلا بد أن تقع على العالمة درجتان من فلك البروج يكون بعدها من أحد المنقلين بعد واحد على ما تقدم ذكره إلا أن يكون ذلك الارتفاع لأحد المنقلين فيليس يقع عليه إلا درجة واحدة وهو أحد المنقلين فإذا كانت الشمس في كل واحدة من هاتين الدرجتين الموجودتين فإن ارتفاعها من نصف النهار يكون مثل الارتفاع العلوم وإذا أردت في أي يومين يكون ذلك من أيام الشهر عرفتها بالدرجتين على ما تقدم في باب التعديل .

باب في معرفة يوم مجهول مساو لنهاي يوم معنوم

إذا أردت ذلك فعل (fol. 9 r.) الشمس لليوم المعلوم واعرف درجتها من البرج الذي هي فيه ثم خذ الدرجة الأخرى التي بعدها من المنقلب كبعد هذه الدرجة المعلومة وهي التي ارتفاع نصف نهارها كارتفاع نصف نهار الأخرى فإذا عرفتها بها اليوم المجهول على ما تقدم في باب تعديل الشمس .

باب في معرفة ما تجمله من كواكب السماء الم موضوعة في الشبكة من قبل ما تعلمه (١) منها

إذا أردت معرفة ذلك فخذ ارتفاع كوكب معلوم وضعه على مثل ارتفاعه في الناحية التي هو فيها فإذا فعلت ذلك فانظر الكوكب الذي تريد معرفته على كم وقع من الارتفاع في المقطورات وما وافقه من السمت الذي وقع عليه في الربع الذي من فيه فاحفظ ذلك وضع العضادة على مثل ارتفاعه وعلق الاسطرلاب

(١) صوابها تعلمه (التجزير)

من يدك وانظر من ثقبتي الشطبين في تلك الناحية التي وجدته فيها فأى كوكب تراه من الثقبى في تلك الناحية دون حركة العصادة فهو الكوكب المطلوب .

باب في معرفة وقت طلوع أى درجة شئت من البروج وأى كوكب أردت من الكواكب الموضوعة في الشبكة

إذا أردت معرفة ذلك فضع الدرجة أو الكوكب أصل الذى تريده معرفة ذلك له على الأفق من ناحية المشرق ثم (fol. 10 r.) انظر إلى درجة الشمس فإن وقعت فوق الأفق فهو نهار فاعرف بنظير درجة كم من النهار وإن وقعت درجة الشمس تحت الأفق فهو ليل فاعرف بدرجة الشمس كم من الليل فهو يكون وقت طلوعها وكذلك إن أردت وقت غروبها وضعتها على الأفق الغربى وإن أردت معرفة وقت توسط السماء فوق الأرض أو تحتمها وضعتها على الخط الذى هو دليل ما أردت وتعرف بوقوع درجة الشمس أو نظيرها على الساعات أى وقت يكون ذلك من ليل أو نهار على ما تقدم .

باب معرفة أى درجة توسط السماء مع أى كوكب شئت ومع أى درجة يطلع وينترب

إذا أردت معرفة الدرجة التى يتوسط الكوكب السماء معها فضع الكوكب على خط نصف النهار ثم انظر أى درجة وقعت من البروج على ذلك الخط فذلك<sup>(۱)</sup> هي الدرجة التى يتوسط الكوكب السماء معها وإن أردت معرفة الدرجة التى تطلع معه جعلت الكوكب طالعاً ونظرت ما يطلع معه من البروج وكذلك تجعله غارباً<sup>(۲)</sup> وإن أردت معرفة الدرجة التى تغرب معه إن شاء الله .

(۱) فذلك (التحرير)

(۲) غارباً (التحرير)

باب في معرفة سمت الشمس بالنهار والكواكب بالليل

إذا أردت معرفة سمت الشمس فخذ ارتفاعها في الوقت الذي تريد معرفته<sup>(١)</sup> ذلك فيه وضع درجتها على مثل ذلك الارتفاع من المقاطعات في الناحية التي هي فيها من شرق أو غرب على ما تفعل فيأخذ الساعات ثم انظر ما وافق درجة الشمس من السمات المقاطعة من المقاطعات وعلى كم درجة (fol. 10 v.) يكون السمت من الربع الذي قابلها ولا يخلو ذلك الربع أن يكون أحد أرباع الأفق الأربعة إما أن يكون جنوبياً شرقياً أو شمالياً شرقياً أو جنوبياً غربياً أو شمالياً غربياً على نحو قسمة الأفق الأربعة أقسام وكذلك تعلم بالليل سمت الكواكب الموضعة في الشبكة بأخذ ارتفاع الكواكب وتعمل به ما عملت بدرجة الشمس فيخرج لك سنته من الربع الذي قابل وإن أردت أن تعرف سمت مطلع الشمس أو أحد الكواكب الموضعة في الشبكة فضع درجة الشمس أو الكوكب على الأفق الشرقي ثم انظر ما وافقه من السمت في الربع الذي عليه سمت الطلوع وعلى مثل ذلك السمت يكون الغروب في مثل الربع شمالياً كان أو جنوبياً .

باب في معرفة القبة بالليل والنهار

إذا أردت ذلك نهاراً فاعرف سمت الشمس لوقتك الذي أنت فيه على ما تقدم ثم ضع الاسطرلاب على وجه الأرض وخذ من الدائرة المشبهة بالأفق مثل عدد تلك الدرجات في مثل ذلك الربع وضع طرف العضادة عليها ثم قابل بالشطبة التي يلي<sup>(٢)</sup> طرف العضادة على عدد تلك الدرجات ضوء الشمس وحرك الاسطرلاب يمنة ويسره حتى يعتدل ظل الشطبة على العضادة دون أن تحرك

(١) لعلها معرفة (التحرير)

(٢) تلي (التحرير)

العضادة على موضعها فإذا اعتدل الظل فامسك الاسطرلاب ولا يتحركه عما هو عليه فسيكون القطر الذي قسم الدائرة بنصفين من موضع العلاقة آخذًا من وسط الجنوب إلى وسط الشمال والقطار الثاني الذي قسمتها أيضًا<sup>(١)</sup> بنصفين وقاطعه على مركز (fol. 11 r.) الدائرة هوأخذ من وسط المغرب إلى وسط المشرق فهذا القطران قسمان الدائرة أربعة أقسام رباعي منها شماليان واحد إلى بعين الجنوبيين شرق والآخر غرب<sup>(٢)</sup> فإذا فعلت هذا وأردت القبلة فحرك العضادة حتى تضع أحد طرفيها على ثلثين درجة من الربع الجنوبي الشرقي دون أن يتحرك الاسطرلاب فما قبلت الشطبة فهو القبلة بقرطبة وما قارب منها فيها نذكره بعد ذكر<sup>(٣)</sup>.

#### باب الطول والعرض

وإن أردت أخذ القبلة بالليل فخذ ارتفاع كوكب من كواكب الاسطرلاب وأعرف سمتته على ما تقدم ثم حول الاسطرلاب وضع في ظهره طرف العضادة على مثل عدد تلك الدرجات في مثل ذلك الربع كما صنعت في النهار بسمت الشمس ثم امسك الاسطرلاب مرسوًّا في يديك باطنك ما يلي الأرض وقابل بالشطبة التي يلي<sup>(٤)</sup> الطرف الموضوع على عدد درجات سمت الكوكب الذي أخذت ارتفاعه وارفع الاسطرلاب حتى ترى الكوكب من ثقبتي الشطبين وتكون العضادة مقيدة على العدد الذي وضعت فإذا فعلت هذا فضع الاسطرلاب من يدك على وجه الأرض على بطنه دون أن تميل به إلى ناحية من النواحي فيميل الاسطرلاب عن جهته من السمت فإذا فعلت هذا فقد أخذت لك الجهات الأربع

(١) قسمها (التحرير)

(٢) من الواضح أنه سقطت من الناسخ بعض الكلمات ولعل العبارة هكذا «... أربعة أقسام رباعي منها شماليان واحد شرق والآخر غرب ورباعي جنوبيان أحدهما شرق والآخر غرب» (التحرير)

(٣) لعلها ذلك (التحرير)

(٤) تلى (التحرير)

بالقطرين على ما تقدم ذكره فضم العصادة على سمت القبلة في بذلك وهو بقرطبة وما قرب بثلاثين درجة من الربع الجنوبي الشرقي فما قابلت الشطبة فهو القبلة .

باب في معرفة ميل أى درجة (fol. 11 v.) شئت من درجات البروج عن دائرة معدل النهار وميل أى كوكب أردت من الكواكب وميلها هو بعدها منه

إذا أردت معرفة ميل أى درجة شئت من درجات البروج فضم الدرجة التي تريده معرفة ميلها على خط نصف النهار واعرف على كم وقعت من الارتفاع في المقطورات فاحفظه ثم اعرف على كم هي دائرة معدل النهار التي هي مدار رأس الحمل وال Mizan من الارتفاع وخذ ما بين الارتفاعين فما كان فهو ميل الدرجة عن معدل النهار فإن كانت الدرجة من البروج الشمالية فالميل شمالي وإن كانت الدرجة من البروج الجنوبية فالميل جنوبياً وأعلم أن درجات البروج الشمالية تكون أبداً في نصف النهار ارفع من دائرة معدل النهار بقدر ميلها عنها ودرجات البروج الجنوبية تكون أبداً في نصف النهار أخفض ارتفاعها<sup>(١)</sup> من دائرة معدل النهار بقدر ميلها عنها حاشي أول الحمل وأول الميزان فلا ميل لها إذ دائرة معدل النهار مدار لها لا يمیلان عنها وأكثر الميل إنما يكون في أول السرطان وأول الجدي وذلك أربع وعشرون درجة وكذلك تأخذ ميل كل كوكب شئت من كواكب الاسطراط بوضع الكوكب على خط نصف النهار وتعرف ارتفاعه فيه وأخذ ما بين ارتفاعه وارتفاع دائرة معدل النهار كذلك ميله جنوبياً كان أو شماليًّاً .

باب في معرفة أخذ عرض كل بلد

إعلم أن عرض البلد هو بعد سمت رؤوس أهله عن دائرة معدل (fol. 12 r.) النهار التي هي مدار رأس الحمل ورأس الميزان ومثل ذلك يكون ارتفاع القطب

(١) ارتفاعاً (التحرير)

الشمالي عن الأفق والنخاض القطب الجنوبي عن الأفق أيضاً فهذا<sup>(١)</sup> الأبعاد الثلاثة يكون<sup>(٢)</sup> أبداً متساوية وكل واحد يسمى عرض البلد فإن كنت في بلد لا تعرف عرضه وأردت معرفته فارتقب الشمس حتى تصير في وسط السماء وهي أرفع ما تكون فإذا كانت كذلك أخذت ارتفاعها فإن كانت في أول العمل أو في أول الميزان وذلك يكون في يوم الاعتدال صرطان في العام وهذا في ذلك النهار على دائرة معدل النهار ونقص الارتفاع الذي أخذت من تسعين فما بقي فهو ما بين الشمس وسمت الرؤوس وهو عرض ذلك البلد وإن كانت الشمس في غير أول العمل وأول الميزان فخذ ميل الدرجة التي هي فيها عن دائرة معدل النهار على ما تقدم فإن كان الميل شماليًّا فانقصه من الارتفاع الذي أخذت وإن كان الميل جنوبيًّا فزده فما كان بعد الزيادة أو النقصان فهو ارتفاع دائرة معدل النهار على الأفق في ذلك البلد فانقصه من تسعين فما بقي فهو عرض البلد فإن أردت أخذ العرض بالليل فخذ ارتفاع الكوكب إذا صار في وسط السماء وهو أرفع ما يكون فاحفظ ذلك ثم خذ ميله عن دائرة معدل النهار واصنع كما صنعت بالشمس في النهار وتصل إلى معرفة عرض البلد بالكواكب التي تقرب من القطب الشمالي الذي لا يغيب في ذلك البلد وذلك بأن تأخذ ارتفاع كوكب منها أرفع ما يكون ثم تأخذ ارتفاعه أخفض ما يكون وتحجم العددان وتأخذ نصف ما اجتمع فما يكون فهو عرض البلد .

#### باب معرفة أخذ الساعات في بلد لا عرض له (v. ١٢ fol.) في الصفائح

إإن سُكت في بلد عرضه غير موافق لعروض الصفائح المرسومة فخذ من الصفائح عرضين يكون أحدهما أكثر من عرض بلدك والأخر أقل منه وخذ ما

(١) فهذه (التحرير)

(٢) تكون (التحرير)

بين عرض بلدك والعرض الأقرب إليه من العرضين الذين أخذت وسم ذلك من فضل ما بين العرضين فاحفظ تلك النسبة فيها<sup>(١)</sup> تعرف كل ما يأتى وصفه إن شاء الله تعالى فإن أردت ذلك فاعرف كم ساعات مضى النهار في الصفيحة التي عرضها أقرب إلى بلدك واحفظ تلك الساعات وكسر إن كان معك وكذلك تفعل بالصفيحة الأخرى وخذ من الفضلة مثل النسبة التي حفظت فما كان من كسر ساعة فاحفظ ثم انظر فإن كان عدد ساعات العرض الأقرب أقل من عدد ساعات العرض الثاني فزد ذلك الكسر من الساعات على عدد ساعات العدد الأقرب التي مضت<sup>(٢)</sup> النهار وإن كان أكثر فاقص فما كان من بعد الزيادة أو النقصان فهو ما من ساعات نهار بلدك بالارتفاع الذي أخذت وكذلك تصنع في ساعات الليل بالكواكب ومعرفة سمت الشمس بالنهار والكواكب بالليل وإن أردت معرفة قوس النهار أو الليل في بلدك أخذت القوس من العرضين جيئاً وصنعت بفضل ما بين القوسين ما صنعت بفضل ما بين الساعتين وكذلك تعرف ارتفاع نصف بلدك بارتفاع نصف النهار في العرضين .

#### باب في معرفة ساعات النهار بالرسوم الموضعة على ظهر العضادة

إذا أردت ذلك فاعرف ارتفاع الشمس في نصف النهار لذلك اليوم في ذلك البلد ثم أضع العضادة في ربع الارتفاع على مثله (fol. 13 r.) وعلق الاسطرلاب من الحلقة وقابل الشمس بالشطبة العليا كما تصنع فيأخذ الارتفاع وحرك الاسطرلاب حتى ينطوى في ظل الشطبة على العضادة ولا يخرج عنها كما تصنع فيأخذ السمت فما انتهى إليه الظل من رسوم الساعات فما من

(١) لعل الصواب فيها (التحرير)

(٢) أهل الكلمة «من» هنا ساقطة (التحرير)

ساعات النهار إن كان أخذك قبل نصف النهار وإن كان بعده أراك الظل برجوعه ما بقي من ساعات النهار .

#### باب في معرفة الطول وأخذته

إعلم أن الطول من بين نصف نهار ونصف نهار بلد آخر من درجات دائرة معدل النهار فإن أردت ما بين البلدين من الطول فلا بد من رصد ابتداء كسوف قر واجلائه في البلدين جمِيعاً واخذ بعد وقت ابتدائه أو اجلائه من النهار الذي تعلوه ليلة الكسوف ساعة معتدلة فإذا عرفت كم بين وقت إبتداء الكسوف واجلائه وبين نصف النهار في البلدين جمِيعاً من ساعات معتدلة فصييرها درجات وذلك أن تضربها في خمسة عشر فما اجتمع لك من العدد فهو طول البلدين وقد جمع بطليموس في ذلك كتاباً سماه بكتاب الجغرافيا جمع فيه أطوال المدائن المشهورة وعرضها بجعل العرض ما زايل سمت الرؤوس عن معدل النهار إلى الشمال وجعل الطول بعد خط نصف نهار البلد عن خط نصف نهار بلد آخر .

باب في معرفة على كم يكون سمت بلد يسأل عنه عن سمت بلدك  
وكم بعد رؤوس أهله (fol. ١٣ v.) من سمت رؤوس أهل بلدك

إذا أردت أن تعلم على كم يكون بلد معروف الطول والعرض من بلدك فاعرف عرض البلد المسؤول عنه وعلم في صفيحة بلدك في خط نصف النهار على مثل ذلك علامة إلى ناحية الشمال عن معدل النهار أبداً يكون بعد العلامة منه مثل عرض البلد المسؤول عنه فإذا فعلت هذا فحرك الشبكة حتى يقع شيء منها على العلامة أيضاً فان تم علم في ذلك الشيء الواقع من الشبكة على خط نصف النهار علامة ينقل العلامة من الخط إلى ما يقابل موضعها من

الشبكة لتدبرها فيما تزيد من الاستدلال بهـا فإذا فعلت هذا فاعرف ما بين طول البلد المفروض على حسب ما وقع من ذكر الأطوال في كتاب الجغرافيا فانـ كان طول البلد أـكثـر من طول بلدك فهو منك شرقـ لا محـالة فـركـ مـرىـ الأـجرـاءـ فيـ الحـجـرةـ منـ موـضـعـهـ إـلـىـ نـاحـيـةـ الـمـشـرقـ بـقـدـرـ العـدـدـ الـذـيـ بـيـنـ الطـولـينـ وـإـنـ كانـ طـولـ الـبـلـدـ أـقـلـ مـنـ طـولـ بلدـكـ فهوـ غـربـ منـكـ لـاـ محـالـةـ فـركـ المـرىـ منـ موـضـعـهـ إـلـىـ نـاحـيـةـ الـمـغـربـ بـقـدـرـ ماـ بـيـنـ الطـولـينـ ثـمـ انـظـرـ إـلـىـ النـقـطةـ الـتـيـ عـامـتـ فـيـ الشـبـكـةـ مـاـ وـاقـفـهـاـ مـنـ السـمـوـتـ وـفـيـ أـيـ رـبـعـ هوـ مـاـ كـانـ فـعلـيـ مـثـلـ ذـلـكـ يـكـونـ سـمـتـ الـبـلـدـ الـمـسـؤـولـ عـنـهـ مـنـ أـفـقـ بلدـكـ وـكـذـلـكـ أـيـضاـ تـنـظـرـ عـلـىـ كـمـ وـقـعـتـ النـقـطةـ مـنـ الـارـتـفـاعـ فـيـ الـمـقـنـطـرـاتـ وـتـنـقـصـ ذـلـكـ مـنـ تـسـعـيـنـ فـماـ بـقـيـ فـهـوـ بـعـدـ مـاـ بـيـنـ سـمـتـ (fol. 14 r.) الرـؤـوسـ فـيـ بلدـكـ وـبـيـنـ سـمـتـ الرـؤـوسـ فـيـ الـبـلـدـ الـمـسـؤـولـ عـنـهـ وـذـلـكـ هوـ الـبـعـدـ الـذـيـ بـيـنـهـاـ وـبـهـذاـ الـعـلـمـ تـلـمـ فـكـلـ بلدـ عـلـىـ كـمـ يـكـونـ سـمـتـ مـكـةـ إـذـاـ عـرـفـتـ طـولـهاـ وـعـرـضـهاـ وـطـولـ بلدـكـ وـصـنـعـتـ بـذـلـكـ كـلـ ذـكـرـ فـيـ صـفـيـحةـ عـرـضـهاـ كـعـرـضـ بلدـكـ وـالـثـلـاثـلـونـ درـجـةـ مـنـ الـرـبـعـ الـشـرقـ الـجـنـوـبـيـ الـتـيـ هـيـ سـمـتـ الـقـبـلـةـ بـقـرـبـةـ وـمـاـ قـرـبـ مـنـهـاـ وـإـنـ أـرـدـتـ أـنـ تـلـمـ مـاـ بـيـنـ بلدـكـ وـالـبـلـدـ الـمـسـؤـولـ عـنـهـ مـنـ الـأـمـيـالـ عـلـىـ الـمـسـلـكـ الـقـاصـرـ فـخـذـ الـدـرـجـاتـ الـذـيـ خـرـجـتـ لـكـ مـنـ بـيـنـ سـمـتـ رـأـسـكـ وـبـيـنـ سـمـتـ رـؤـوسـ أـهـلـ الـبـلـدـ فـاعـطـ لـكـ درـجـةـ وـنـصـفـ مـنـ الـدـرـجـاتـ مـائـةـ مـيـلـ فـهـوـ بـعـدـ مـاـ بـيـنـ الـبـلـدـيـنـ مـنـ الـأـمـيـالـ

إن شاء الله تعالى :

#### باب في معرفة الظل من قبل ارتفاع الشمس

إـلـمـ أـنـ الـرـبـعـ الـمـوـضـعـ فـيـ ظـهـرـ الـاسـطـرـلـابـ فـيـ ضـلـعـانـ كـلـ قـسـمـ بـأـصـبـعـ فالـضـلـعـ السـفـلـيـ الـمـواـزـيـ لـلـأـرـضـ هـيـ مـكـانـ الـظـلـ الـمـبـسـوـطـ وـالـضـلـعـ الثـانـيـ الـقـائـمـةـ عـلـيـهـاـ هـيـ مـكـانـ الـظـلـ الـمـنـكـوـسـ إـذـاـ أـرـدـتـ أـنـ تـلـمـ كـمـ أـصـبـعـ يـكـونـ فـيـ الـظـلـ

خذ ارتفاع الشمس فإن كان في الارتفاع خمساً وأربعين درجة فالظل المسوط من اثني عشر أصبعاً<sup>(١)</sup> والمنكوس كذلك أيضاً وظل كل شيء مثله وإن كان الارتفاع أزيد من خمسة وأربعين درجة فالعضادة واقعة أبداً على الضلع التي هي ظل المسوط فانظر على كم أصبع منه وقعت العضادة بذلك هو عدد أصابع المسوط وإن كان الارتفاع دون خمسة وأربعين درجة فالعضادة واقعة أبداً (fol. 14 v.) على الضلع التي هي ظل المنكوس فإن أردت ظل المسوط لهذا فاقسم مائة وأربعة وأربعين على ما معك من أصابع ظل المنكوس فما خرج من القسمة فهو عدد أصابع ظل المسوط لذلك الارتفاع أكثر من خمسة وأربعين درجة وأردت معرفة أصابع ظل المنكوس فاقسم على ما معك من أصابع ظل المسوط مائة وأربعة وأربعين فما خرج فهو عدد أصابع ظل المنكوس لذلك الارتفاع إن شاء الله تعالى وإنما قسمت مائة وأربعة وأربعين على عدد أصابع أحد الضلعين وخرجت أصابع الآخر لأن ضرب أصابع ظل المسوط لكل ارتفاع في أصابع ظل المنكوس له يكون مائة وأربعة وأربعين وهذه المائة والأربعة والأربعين<sup>(٢)</sup> التي قسمت أيضاً هي من ضرب اثني عشر التي هي عدد أصابع القامة في نفسها فإن أردت أن تعلم كم قامة يكون في ظل فاقسم عدد أصابعه على اثني عشر فما خرج فهو كم قامة يكون فيه وإن كان ظل أقل من قامة سميتها من إثنى عشر فيكون نسبة منها وإن وقعت العضادة على كسر من أصبع وأردت معرفة حقيقة ذلك الكسر منه فعلم على الموضع الذي وقعت عليه العضادة في الربع الأسفل لقربه من الربع عالمة ثم حرك العضادة حتى تقع على أول الأصبع وعلم على طرف العضادة أيضاً عالمة وانظر ما بين العلامتين من الدرجات فاحفظه ثم حرك العضادة من أول الأصبع حتى

(١) كلمة غير مقرؤة إذ تقصصها بعض الحروف : واد . . . (التحرير) .

(٢) والأربعون (التحرير)

يقع على آخر ثم انظر كم تحرك طرفها من الدرجات وسم منها التي حفظها<sup>(١)</sup> أولاً فما كان فهو الكسر الذي تريد معرفته من الأصبع إن شاء الله تعالى .

(fol. ١٥ v.) باب في معرفة ارتفاع الشمس من قبل الظل

إذا أردت أن تعلم كم ارتفاع الشمس من قبل الظل فاعرف كم عدد أصابعه فان كانت إثني عشر أصبعاً فما دون ذلك فضع العضادة على هذه الأصابع في الصلم التي فيها الظل المبسوط وانظر على كم وقع طرفها من الارتفاع في الربع الأعلى الذي يؤخذ فيه الارتفاع فما كان فهو ارتفاع الشمس لذلك الظل وبمعرفة الارتفاع يعرف الوقت إن أردت ذلك وإن كانت أصابع الظل أكثر من إثني عشر أصبعاً فاقسم عليها مائة وأربعة وأربعين فما خرج فهو عدد أصابع الظل المنكوس للارتفاع المطلوب فضع العضادة على عدد الأصابع في الصلم التي هي الصلم المنكوس فما وقع عليه طرف العضادة في ربع الارتفاع فهو ارتفاع الشمس لذلك الظل فان كان الظل منكوساً وكان عدد أصابعه إثني عشر أصبعاً فما دون ذلك وأردت معرفة الارتفاع فضع العضادة على عدد الأصابع في الصلم التي هي الظل المنكوس بشبر يد طرفها الارتفاع وإن كانت الأصابع أكثر من إثني عشر أصبعاً فاقسم عليها مائة وأربعة وأربعين فما خرج فهو عدد أصابع الظل المبسوط للارتفاع المطلوب فضع العضادة على هذه الأصابع في الصلم التي هي الصلم المبسوط وانظر ما يقع عليها طرفها في ربع الارتفاع على ما تقدم فإذا عرفته عرفت الوقت إن شئت ذلك فان كان في أصابع الظل كسراً وأردت أن تضع العضادة عليه بالحقيقة فاجعل العضادة على أول الأصبع التي الكسر منها وتعلم على طرفها علامه في الربع الأسفل على ما تقدم ثم تحرك العضادة إلى آخر الأصبع وتعرف ما قطعت من الدرجات من أول الأصبع إلى آخرها<sup>(٢)</sup> (fol. 15 v.)

(١) حفظتها (التحرير)

El ms. repite este pasaje (٢)

وتأخذ من تلك الدرجات من أول الأصبع إلى آخرها وتأخذ من تلك الدرجات مثل ذلك الكسر ثم تضرب العضادة من العلامة الأولى وتأخذ من تلك الدرجات مقدار الكسر الذي معك فتقطع لك العضادة على الكسر المطلوب .

باب في معرفة ظل نصف النهار الذي هو ظل الزوال ومعرفة ظل وقت الظهر وقت العصر في أي يوم شئت من أيام السنة

إذا أردت معرفة ظل نصف النهار ليوم فعدل الشمس لذلك اليوم فإذا عرفت درجتها فاعرف كم ارتفاع نصف نهار تلك الدرجة على ما تقدم ثم تعرف كم ظل ذلك الارتفاع فما كان فهو أصابع ظل الزوال في ذلك اليوم فاما معرفة أصابع الظل بوقت الظهر وأول وقت العصر وآخر وقته فهو أن تزيد على ظل نصف النهار الذي هو ظل الزوال ثلاثة أصابع وهو ربع القامة فما اجتمع من الأصابع فهو وقت الظهر وتزيد على ظل نصف النهار الأول لوقت العصر إثنا عشر أصبعاً والآخر<sup>(١)</sup> الوقت أربعاً وعشرين وتعرف أيضاً أصابع الظل المبسوط لوقت الظهر والعصر وآخر العصر بالخطوط الموضوعة على الاسطراب لهذه الأوقات وهو أن تضع نظير درجة الشمس على خط الظهر وتنظر درجة الشمس على كم وقعت من الارتفاع في المقاطرات فذلك يكون ارتفاع الشمس الأول وقت الظهر فتعرف به أصابع الظل على ما تقدم وكذلك تفعل الأول وقت العصر والآخر وقته الظهر فيعرف من الارتفاع الذي عرفت به الظل المبسوط تعرف الظل المنكوس بهذه الأوقات متى شئت ذلك .

(١٦ r.) باب في معرفة ارتفاع الشمس ومعرفة سميتها ومعرفة أي ساعة أردت من ساعات النهار ولأي يوم شئت ذلك من أيام السنة

إذا أردت ذلك فعدل الشمس لذلك اليوم وضع نظير درجتها على الساعة

(١) ولآخر (التحرير)

التي أردت معرفة الارتفاع والسمت لها ثم انظر على كم وقعت درجة الشمس من الارتفاع في المقاطرات وعلى كم هي من السمت فصح ذلك بالمرى في أجزاء الحجرة على ما تقدم في تصحيح كسر الساعة وكسر الأصبع في بابه فيكون ما أردت معرفته من الارتفاع والسمت فإن أردت معرفة الظل لذلك الوقت عرفت من الارتفاع الذى خرج وكذلك تعرف الارتفاع والظل والسمت في وقت الظهر بالخطوط الموضوعة لهذه الأوقات وكذلك تعرف ارتفاع الكوكب بالليل وسمته لأى ساعة أردت ذلك إلا أنك تضع درجة الشمس على الساعة إذ هي دليل الساعات بالليل وتنظر ما وقع عليه الكوكب من الارتفاع والسمت وذلك ما أردت معرفته .

باب في معرفة درجة الشمس المجهولة من قبل الارتفاع والسمت المعلومين ومعرفة اليوم الذي يحکوّن ذلك فيه

إذا أردت معرفة ذلك فاعرف الاستطراب من السمات الموضوعة فيه ما يكون على مثل العدد المعلوم من الربع الذى هو منه وعلم في المقاطرات المقاطعة لذلك السمت علامة على مثل الارتفاع المعلوم ثم حرك الشبكة فلا بد أن تقع على موضع العلامة درجتان من فلك البروج بعدها (fol. 16 v.) من أحد المنقبين بعد واحد على ما تقدم ذكره فاعرف من الدرجتين اليومين اللذين يكون ذلك فيها على ما صر فان كان <sup>(١)</sup> الظل والسمت معلومين وأردت علم الدرجة فاعمل على كم ارتفاع الشمس لذلك الظل فاعمل بالارتفاع والسمت المعلومين على ما تقدم فان لم يقع على العلامة شيء من درجات فلك البروج فان المسئلة مستحيلة .

(١) نرى أن أحد كلامي : كان : هنا زائدة (التحرير)

باب في معرفة ارتفاع الصوامع والتخيل وغير ذلك مما يقع فوق الأرضين

إذا أردت معرفة ذلك فضع العضادة على ارتفاع خمسة وأربعين درجة من ربع الارتفاع وإنما تفعل ذلك لتقسم المربع بنصفين وتقسم وتتأخر حتى ترى أعلىه دون تحرك العضادة عما هي عليه فإذا فعلت ذلك فاقسم البعد الذي من مكان قدميك إلى أصل ذلك الشيء المرتفع ورد عليه ما اجتمع ما من بصرك إلى الأرض فما اجتمع لك من العدد كلها فهو ارتفاع الشيء الذي أردت ارتفاعه دون أن تزول من مكانك فترك العضادة وخذ ارتفاع الشيء كما تصنع بالكتواب ثم انظر فان وقعت العضادة على المربع على ضلع الظل المنسوب فخذ الأصبع الذي <sup>(١)</sup> وقعت عليها واقسم عليها إثنى عشر من عدد الأصبع التامة فما خرج فهو نسبة ارتفاع الشيء من بعد الذي بينك وبينه فالحافظها ثم امسح ذلك بعد واضرب في النسبة التي جمعت ثم زد على ما اجتمع ما من بصرك إلى الأرضين فما كان فهو ارتفاع الشيء فان وقعت العضادة على الظل المنكس فاعرف كم نسبة الأصبع التي وقعت عليها العضادة من (fol. 17 r.) إثنى عشر فما كان فهو نسبة ارتفاع الشيء من بعد الذي بينك وبينه فالحافظها وتزيد على ما خرج ما من بصرك إلى الأرض على ما تقدم فما اجتمع فهو ارتفاع الشيء الذي أردت وأعلم أن العضادة إذا وقعت على القطر المربع فارتفاع الشيء مثل بعد ينقصان قامتك فزدها وإن وقعت على ضلع الظل المنسوب فارتفاعه أعظم من بعد وإن وقع على ضلع الظل المنكس فارتفاع الشيء أصغر من بعد ولا بد من زيادة قامتك بعد المسح واضرب ما كان منه في النسبة التي معك إن كنت أخذت الارتفاع قائماً وإن كنت أخذته جالساً زدت ما من بصرك إلى الأرض وإن أردت معرفة بعض الشيء المرتفع من موضع إلى أعلىه فلا بد من معرفة جميعه ثم معرفة ارتفاع ما من الموضع إلى أسفله ثم تأخذ فضل ما بين الارتفاعين

(١) التي (التحرير)

وذلك يكون بعد ما من الموضع الذي أردت إلى أعلىه وبهذا تعلم في كل متعلق لا يصل إلى الأرض إن أردت أن تعلم بعده من تعلقه على ما تقدم فإن أردت معرفة ارتفاع شئ لا يوصل إلى أصله كالخليل وغير ذلك مما يحيل بينك وبين ارتفاعه من الوصول إلى أصله مانع فخذ ارتفاعه من مكان ما ثم ارتفاعه ثانية واعرف من الأصابع التي وقعت عليها العصادة من أي الصلطعين كانت كم نسبة بعد من ارتفاع الشئ فإن وقعت على الظل المبسوط نسبة تلك الأصابع التي وقعت عليها العصادة من إثنى عشر فما كان فهو نسبة بعد من ارتفاع الشئ وإن وقعت العصادة على الضلع المنكوس (fol. 17 v.) قسمت إثنى عشر على عدد الأصابع ما خرج فهو نسبة بعد من مكان وقوفك الثاني من الشئ المرتفع ثم تأخذ فضل ما بين النسبتين وتحفظه ثم تمسح ما بين وقوفك الأول والثاني وتقسم عدد الأذرع التي قسمت على ما حفظت من فضل ما بين النسبتين بما خرج فهو ارتفاع الشئ بمقاصد فامتلك فزدتها بما كان فهو ارتفاع الشئ فإن أردت أن تعلم كم بعد ما بين أصل الشئ المرتفع من المكانين فخذ من ارتفاع<sup>(١)</sup> الذي خرج لك قبل زيادة القامة مثل النسبة التي حفظت لذلك المكان الذي تريد معرفة ما منه إلى أصل الشئ فما خرج فهو بعد ما بينهما.

#### باب آخر في معرفة ما بين مكаниن وما يزيد الأعلى منها على الأدنى

إذا أردت أن تعلم ما بين مكانين في أرض معتدلة فتقف في أحد المكانين وعلق الاسطرلاب من شمالك لتقع العصادة على المربع الموضع فيه ولا بد من هذا إلا أن يكون في الاسطرلاب مرباعان فتعلقه من يمينك حينئذ ثم تنظر من ثقبتي الشطبين حتى ترى المكان الآخر فإذا فعلت ذلك فانظر العصادة فإذا وقعت على ضلع الظل المبسوط فخذ الأصابع وتعرفها<sup>(٢)</sup> نسبة من إثنى عشر

(١) الارتفاع (التحرير)

(٢) وتعرف (التحرير)

فما كان فهو نسبة ما بين المكانين من قامتك مثلاً كان أو نصفاً أو ربعاً أو غير ذلك وإن وقعت العضادة على ضلع الظل المنكوس فاقسم إثنى عشر على عدد الأصابع التي معك فما خرج فهو ما بين المكانين من أمثال قامتك فاعرف ما في قامتك من الأذرع بذلك ما بين المكانين من الأذرع (fol. 18 r.) وذلك أن تضرب عدد أمثال القامة التي معك أو أكسر<sup>(١)</sup> منها في عدد ما فيها من الأذرع فيكون ما أردت فإن أردت أن تعلم ما بين مكان في سبك البيت إلى مكان آخر فيه فاجعل العضادة على قطر الاسطرلاب الآخر من العلاقة إلى أسفله ثم قف تحت المكان الواحد أولاً ثم انظر إليه من ثقبتي الشطبين دون تحريك العضادة وإنما تكون أنت التحرك فإذا فعلت ذلك فعلم في الأرض في وسط مكانك ثم قف تحت المكان الآخر وانظر إليه كما فعلت بالأول وامسح ما بين المكانين في الأرض فما كان فهو بعد ما بين المكانين في السبك فإن أردت أن تعلم كم يزيد ارتفاع مكان على مكان آخر فخذ قصبة ووافقها مع قامتك وعلم فيها قابل بصرك منها فإذا فعلت ذلك ووقفت في آخر المكانين ووقف القصبة في المكان الثاني معتدلة غير مائلة وعلق الاسطرلاب من يدك واجعل العضادة على القطر الموازي لسطح الأرض حيث يبدو الارتفاع ثم انظر من ثقبتي الشطبين القصبة دون تحريك العضادة مما هي عليه فإن وقع بصرك بالعلامة في القصبة فالمكانان معتدلان وإن وقع فوق علامتك فمكانك أرفع من مكان القصبة بقدر ما من رفع نظرك في القصبة إلى العلامة وإن وقع نظرك تحت العلامة فمكانك أخفض من مكان القصبة بقدر بصرك إلى العلامة وبهذا العمل يجلب المياه من مكان إلى مكان يعلم البعد الذي في المكانين ويعلم ما يزيد ارتفاع المكان الذي فيه الماء على مكان<sup>(٢)</sup> الذي تريد جلبه إليه في

(١) كسر؟ (التحرير)

(٢) المكان (التحرير)

الارتفاع وتقسم ذلك على بعد كله وتعلم ما يقع منه لكل عشرة أذرع أو أكثر فيكون ذلك (fol. 18 v.) صبياً لها وأقل ما يكون الصبب ذراعاً لكل صباية ذراع من بعد .

باب في معرفة ما يطلع (١) به البروج من درجة دائرة معدل النهار في الفلك المستقيم وهو مثل طلوعها في خط في نصف النهار

إذا أردت ذلك فضع أول البرج الذي تريه معرفة ذلك له على خط نصف النهار وعلم على موضع المري من الحجرة علامه ثم أدر الشبكة حتى يقع أول البرج على الخط فما تحرك المري من الحجرة من الدرجات فهى درجات طلوع ذلك البرج في الفلك المستقيم وكذلك تفعل إذا أردت طلوع (٢) برجين أو ثلاثة أو ما شئت من البروج أو بعض درجات برج تضع أول الدرجات على خط نصف النهار ثم أدر الشبكة حتى تقع آخر الدرجات عليه فما تحرك المري من الدرجات في الحجرة هو ما أردت معرفته وإنما أخذنا ذلك في خط نصف النهار لأن أفق أهل النهار في الاسطرلاب خط مستقيم بخط وسط السماء .

باب في معرفة ما تطلع به البروج من درجات دائرة معدل النهار في أى بلد شئت

إذا أردت ذلك فخذ الصفيحة المرسومة لذلك العرض واجعلها تحت الشبكة ثم ضع أول ذلك البرج على الأفق الشرقي وعلم على موضع المري علامه ثم أدر الشبكة حتى يقع آخر البرج على الأفق وعلم علامه فما تحرك المري من الدرجات فهو طلوع ذلك البرج في ذلك البلد وكذلك تصنع ما كان أكثر من برج وأقل على ما تقدم في الباب الذى قبل هذا (fol. 19 r.) فإن أردت ما يقرب به البرج في ذلك البلد فاصنع به ما صنعت في الأفق الشرقي .

(١) تطلع (التحرير)

(٢) لعل الصواب هو إذا أردت معرفة طلوع (التحرير)

باب في معرفة موضع القمر من البروج ومواقع الكواكب السيرية<sup>(١)</sup> فيها على المقاربة

إذا أردت معرفة موضع القمر من البروج على المقاربة فأخذ<sup>(٢)</sup> ارتفاعه واحفظه ثم تأخذ في ذلك الوقت ارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة في الشبكة وضعه في المقطورات على مثل ارتفاعه ثم انظر درجة<sup>(٣)</sup> من درجات البروج وقعت في المقطورة على مثل ارتفاع القمر في الناحية التي هو فيها من شرق أو غرب فتلك درجة القمر وإن أردت معرفة موضعه بالنهار إذا ظهر إليك خذ ارتفاعه وارتفاع الشمس واصنع بالارتفاعين ما صنعت بالليل وبهذا تعرف مواقع الكواكب السيارة إذا رأيتها تأخذ ارتفاعها وارتفاع كوكب من الكواكب الموضوعة في الشبكة ويكون ذلك في وقت واحد وتصنع على ما تقدم ذكره في القمر وإن أردت أن تعلم أن الكواكب السيارة<sup>(٤)</sup> راجعاً أو مستقيماً خذ الارتفاع يعني ارتفاعه واحفظه ثم خذ في ذلك الوقت ارتفاع كوكب من الكواكب الثابتة واحفظه أيضاً فإذا كان بعد ليلتين أو ثلاثة على قدر ما يبين لك النقصان أو الزيادة فارصد الكوكب الثابت على مثل ارتفاع الكوكب السيار فإن كان الكوكب في ناحية الشرق ووجدت ارتفاعه الثاني أقل من ارتفاعه الأول هو<sup>(٥)</sup> مستقيم فإن نقص فهو راجع وبالضر<sup>(٦)</sup> في الغرب إذا كان يتزايد مستقيم<sup>(٧)</sup> وإن تناقص فهو راجع إن شاء الله تعالى .

(١) السيارة (التحرير)

(٢) خذ (التحرير)

(٣) أي درجة (التحرير)

(٤) الكوكب السيار (التحرير)

(٥) فهو (التحرير)

(٦) لم تستطع الاهتداء إلى صواب المقصود (التحرير)

(٧) فهو مستقيم (التحرير)

(fol. ٢٩ v.) باب في معرفة تسوية البيوت الائنة عشر

إذا أردت ذلك فخذ درجة الطالع التي هي ابتداء البيت الأول وضعها على خط وتد الأرض الذي هو خط الزوال ثم ادر الشبكة ساعتين حتى تقع درجة الطالع على آخر الساعة الثامنة ثم انظر أى درجة من البروج وقعت على خط وتد الأرض فهو ابتداء البيت الثاني ثم ادر الشبكة أيضاً ساعتين حتى تقع درجة الطالع على آخر الساعة العاشرة وانظر أى درجة من البروج وقعت على خط وتد الأرض فهي ابتداء البيت الثالث ثم ادر الشبكة أيضاً ساعتين حتى تقع درجة الطالع على الأفق الشرقي ونظيرها على الأفق الغربي وانظر أى درجة وقعت على خط وتد الأرض فهي ابتداء البيت الرابع ثم ادر الشبكة ساعتين أيضاً حتى يقع نظير درجة الطالع على آخر الساعة الثانية وانظر أى درجة وقعت على خط وتد الأرض فهي أيضاً ابتداء البيت الخامس ثم ادر الشبكة أيضاً ساعتين حتى يقع نظير درجة الطالع على وتد الأرض وذلك النظير هو أول البيت السابع وتعرف ما بقى من البيوت بما ذكر منها وذلك البيت الثامن هو نظير البيت الثاني والتاسع نظير الثالث والعasier (fol. 20 r.) نظير الرابع والحادي عشر نظير الخامس والثاني عشر نظير السادس .

تمت تسوية البيوت الائنة عشر على الطالع المعلوم

باب تحويل سنى العالم (١) وسنى المولاد وطوالها

إذا أردت أن تحول طالع سنة ما فخذ درجة طالع سنة قد خلت وضعها على الأفق الشرقي وعلم على موضع المري في الحجرة علامه ثم اعرف السنة

(١) العام (التحرير)

التي ت يريد تحويل طالعها إن كانت بعد السنة التي قد علمت طالعها فحرك المري من موضع العالمة ثلاثة وتسعين درجة لكل سنة وإن كانت الثالثة فحرك المري مثل ذلك العدد وكذلك تحركه من موضع العالمة لكل سنة تامة ثلاثة وتسعين درجة وإن كثرت السنون فاضرب عددها في ثلاثة وتسعين واطرح ما اجتمع إذا واراحتى<sup>(١)</sup> تبقى أقل من ثلاثة مائة وستين ثم حرك المري من موضع العالمة مثل ذلك الباقي فإذا فعلت ذلك فما وقع على الأفق الشرقي من درجات البروج فتلك درجة طالع ذلك العام الذي ت يريد تحويله فإن أردت أن تعلم كم بين وقت العام الحالى وبين الوقت الذى تحولت فيه السنة التي ت يريد من ساعات معتدلة فاعط كل سنة تامة ست ساعات معتدلة وخمس ساعة مما اجتمع من ذلك من ساعات معتدلة أو أيام وساعات فزده على أصل السنة الأولى مما اجتمع فى ذلك التاريخ يكون التحويل وإن أردت معرفة متى يكون ذلك بالساعات (fol. 20 v.) الزمانية من ليل أو نهار فاقرئ درجة الشمس لذلك الأصل ونظيرها فاعلم بدرجة الشمس الساعة إن كانت ليلاً أو نظيرها نهاراً إن شاء الله تعالى.

#### باب في معونة المشارق

ضع أى درجة شئت على الأفق الشرقي وتعلم ما وافق من السمت فهو سعة مشرقاً فان وافق داخل دائرة الحمل فهو من المشرق الصيفية وإن وقع خارجاً فهو من المشرق الشتويه إن شاء الله تعالى هذا باب ليس من الأصل .

كملت رسالة الاسطراطاب بحمد الله تعالى وحسن عونه  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم تسليماً كثيراً أثيراً

(میاس بیاکروزا)

(١) لم ينتمي إلى المقصود من هذه العبارة (التجريح)

## النزعه العالميه في التراث العربي

كان للعرب أساليب يسيرون عليها في الكتابة ، وقد أصاها تطور وتحور فهى في صدر الإسلام غيرها في العصر العباسي حين أخذ العباسيون ينادرون الحركات العلمية ويعملون على ازدهارها . وكان للثقافة الإغريقية والهنديّة والثقافات الأخرى التي أخذ العرب عنها أثر كبير على الأساليب . وكذلك كان للحديث وللأسس العلمية التي سار عليها (علماء الحديث) في تحري الأحاديث النبوية أثر في إيجاد روح الدقة في الكتابة وأسلوبها . ولسنا بحاجة إلى القول أن أصول النطق الذي اقتبسه العرب عن اليونان دخل في الأسلوب أيضاً ، فسيطر إلى حد على الكثيرين من العلماء ، فكانوا يسيرون في كتاباتهم على قواعده وقوانينه ، وقد غالب على كثيর منها روح علمي صحيح وإخلاص للحق والحقيقة . ومن الطبيعي أن تختلف الأساليب باختلاف العلماء والباحثين ، فمن العلماء من كان يجمع في أسلوبه بين الأدب والعلم ، ومنهم من كان طابعه الدقة والوضوح . وسار آخرون في كتابة البحوث في مختلف الفروع على أسس عالمية تقرب من الأسس الحديثة ، فقد حوت من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج ما هو محل تقدير العلماء المحدثين . وسيتجلى لنا أن العرب عرفوا الطريقة العلمية الحديثة التي تعد من مبتكرات هذا العصر ، كما يتبيّن أن من العرب من سار عليها ومن سبق (بيكون Bacon) في إدراكها ، بل من سما عليه ، إذ أدرك من عناصرها ما لم يدركه (بيكون) من بعده .

وكذلك سار بعض العلماء في البحوث الدينية على أساس علمي ، فوضعوا الرسائل في ذلك ، ووقفوا في عرضها عرضاً رائعاً هو في الواقع بداية للتأليف العلمي المنظم .

لقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلوم والأدب وفاقوا في هذا غيرهم . فنجده بين علمائهم من وقف على روائع الأدب وغاص في دقائق العلم وجمع بينهما . ومن يطلع على كتاب الخوارزمي في الجبر يجد أن المؤلف جمع بين الجبر والأدب وجعلها متممين أحدهما للأخر ، فالمادة الرياضية مفرغة في أسلوبأخذ لا ركاكه فيه ولا تعقيد ، يتم عن أدب رفيع وإحاطة بدقائق اللغة . ونظرة في كتب البيرونى تبين كيف يتعانق الأدب والرياضيات بما فيها الفلك والطبيعيات وليس أدل على ما قلت من كتاب التهيم لأوائل صناعة التسليم للبيرونى . فالأسلوب في هذا الكتاب سلس خال من الإلتواء يخرج منه القارئ بثروتين : أدبية وعلمية . ويشعر بذلكين : لذة الأسلوب العلمي ولذة المادة العلمية . ومنهم من جمع في كتبه بين الأدب والنواحي الأخرى من المعرفة كالفلسفة والعلوم والتاريخ وغيرها . فالجاحظ مثلاً كان له فضل على الأدب والفلسفة جيغاً « ... في الأدب كان فضله أن أغزر معانيه وجعل له موضوعاً بعد أن كاد يكون شكلابحثاً . فتقرا رسائله فتجدها ناصعة الأسلوب غزيرة المعنى ، لها موضوع لها شكل . هذه رسالة في القيان ، وهذه رسالة في المعلمين ، وهذه رسالة في الفناء ، حتى رسالة في الهجاء استطاع أن يجعل لها موضوعاً عالياً ، بل لعلها أحسن رسائله من شاء أن يعرف أي العقلية العامية والأدبية والفلسفية كانت تشغل الناس في عصر الجاحظ . . . وفضله على الفلسفة أنه صاغها صياغة أدبية قريبة إلى الذهان ، فهو يمزج كلام أرسطو بأشعار الجاهلين وقول الفلسفه بأقوال الأدباء ويخرج من ذلك كله إلى نتيجة تلذ القارئ وتنذرى العقل . . . »

وكذلك أبو حيان التوسي يمتاز في الجمع بين الأدب والحكمة وأصناف العلوم وال المعارف ، وقد وفق في ذلك مع الحافظة على الحقيقة في أصدق مظاهرها . وأرسل إلى الدكتور نيكيل المستشرق التشيكى قبل تسعه عشر عاماً كتاباً قدماً في الجبر لابن بدر . وقد عثر عليه في مدريد . وبعد دراسته وجدت فيه

نظاماً وتسلسلاً في ترتيب البحوث وشروحًا ضافية للمبادئ، وإبداعاً في حلول المسائل وعرض خطوات حلها عرضًا ظريفيًا فيه متعافٌ فكري ولذة عقلية . ونظرة في كتاب الفهرست لابن النديم نجد أنه سار على أسلوب خاص إقتصادي ، لا إطالة فيه ودون لغو أو مقدمات ، وهو يقول في ذلك : « ... والنفوس تشرب إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى العرض القصود دون التطويل في العبارات ... » وهو ي يأتي إلى الفكرة فيعرضها بلا موارية أو تمهيد . ويندفع إلى صميم الموضوع في دقة وإنجاز وضبط وإحكام ، ويسطير على ذلك كله روح على صحيح . وهذا ما يجعلنا نرى أن ابن النديم يتجرى الصدق في كتابه العظيم ويسير في أمانة النقل إلى أبعد الحدود . ومن يتتصفح الكتاب ومقدمته يتبيّن له صحة ما ذهبنا إليه .

وكذلك امتاز أسلوب الفارابي بالإيجاز والعمق . وقد اعترف له بذلك (كارادي فو) . والفارابي مبتكر لا مقلد . فقد أنتج عقله الخصب نظريات جديدة فيها ابتكار وفيها عمق . آلف بين عناصر الفكر اليوناني القديم وزعزعات المسلمين الحديثة . واعترف (مونك Munk) بان العرب قد انتخبوا أرسطو وفضلوا على غيره لأن طريقته التجريبية كانت أقرب إلى تزعامهم العلمية من مذهب أفلاطون الخيالي ولأن منطقه كان سلاحاً نافعاً في المسائل الخلافية القائمة بين المدارس اللاهوتية المختلفة . وكان ابن سينا يسير في أسلوبه على أساس منطقي لأن المنطق على رأيه « ... الآلة العاسمة للذهن عن الخطأ فيما تتصوره وصدق به ، والموصولة إلى الاعتقاد الحق بإعطاء أسبابه ونهج سبله ... » . وفوق ذلك فأسلوبه علمي دقيق . يتجلّى هذا في تعريفه الحكمة وتقسيمهما جاعلاً المنطق آلة لها ، فعلى أصوله سار وعلى قواعده اعتمد في بحثه ودرسه . إن انغمس ابن سينا في الحياة العامة وتعرّضه لنقباً منها وأندماجه في صميم مجتمعه ورحلاته المتعددة — كل ذلك قد أثر في آرائه ونظرياته لجعل في فلسفته مسحة من العملية . وكانت أميل إلى الناحية العقلية منها إلى الناحية الروحية والتصوفية .

كان ابن سينا يقدس العقل ويرى فيه أعلى قوى النفس . والعقل يقاوم الوقوف وي العمل على الارتفاع ويفوز النفس . ولهذا قال ابن سينا بسلطان العقل . وقد تغلب هنا السلطان على سلطان الروح حتى أنه يرى في العقل سبيلا إلى الوصول إلى الملكوت .

وخالف ابن سينا أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان في كثير من النظريات والأراء فلم يتقييد بها ، بل أخذ منها ما وافق مزاجه وانسجم مع تفكيره وزاد عليه . وقال أن الفلسفه يصيرون وينخطئون كسائر الناس . وهم ليسوا معصومين عن الزلل والخطأ . وهذا ما لم يجرؤ على التصریح به إلا النادر من الذين يملكون عقلا راجحا وبصيرة نافذة واستقلالا في التفكير . ولا شك في أن موقف ابن سينا هذا يدل على شجاعته ونزعته إلى الإستقلال في الرأى ورغبتـه في التحرر العقلي فهو لا يتقييد بأراء من سبقه ، بل يبحث فيها ويدرسها ويعمل فيها العقل والمنطق والخبرات التي اكتسبها . فأن أوصلته هذه كلها إلى تلك الآراء أخذ بها وإن أوصلته إلى غير ذلك نبذها وبين فسادها .

وجعل ابن سينا للتجربة كذلك مكاناً عظيماً في دراسته وتحرياته وجأ إليها في طبه ، وتوصل عن طريقها إلى ملاحظات دقيقة . كما توقف إلى تشخيص بعض الأمراض وتقرير علاجها .

ولهذا لا عجب إذا رأينا يحارب التنجيم وبعض نواحي الكيمياء بحجج العقل وحده . خالق معاصريه ومن تقدموه فيما يختص بتحويل الفلزات الخمسية إلى الذهب والفضة ونفي إمكان إحداث هذا التحويل في جوهر الفلزات «... لأن لكل منها تركيئاً خاصاً لا يمكن أن يتغير بطرق التحويل المعروفة ...» وإنما المستطاع تغيير ظاهرى في شكل الفلز وصورته . واحتاط ابن سينا فقال : «... وقد يصل هذا التغيير حدّاً من الاتقان يُظن معه أن الفلز قد تحول بالفعل وبجوهره إلى غيره ...»

وتجلى سلطان العقل عند ابن سينا في رأيه في الخوارق ، ويدرك في تعامله

لها إلى أسباب وأمور تجري على قانون طبىعى يتصل بالجسم والنفس والعقل . كما يتجلى سلطان العقل في شرحه معنى «العنایة الإلهیة» فهو — بعد أن تأمل في نظام العالم — أدرك أن صانعه مدبر حكيم عالم بما عليه هذا الوجود من نظام الخير والكمال . وهذا في رأيه معنى العنایة الإلهیة . فالظواهر الطبيعية إنما تحدث حسب القوانين الطبيعية التي وضعها الصانع الحكيم وقيّد الوجود بها . فالعنایة الإلهیة تعنى جريان القوانين الطبيعية في العالم على أدق ما يمكن . «... وليس معناها الاهتمام بالأفراد والشعوب ...»

والإنسان في رأى ابن سينا يقترب من الكمال إذا اتسعت معرفته بالوجود وأدرك حقائق العالم واستغرق في تفهمها . ولا يتم ذلك إلا عن طريق الإرادة والعقل . وعلى الرغم من تقدير ابن سينا للعقل ومن إيمانه بسلطانه إلا أنه في مواضع كثيرة يؤكّد نقص العقل الإنساني — وهذا النقص يجعله في حاجة إلى القوانين المنطقية . ولهذا نرى أن ابن سينا قد اعتبر المنطق من الأبواب التي يدخل فيها إلى الفلسفة كأنه الموصى إلى الاعتقاد الحق .

وكان ابن سينا يميل إلى التجدد والتحرر يدلنا على ذلك قوله : «... حسبنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء . وقد آن لنا أن نضع فلسفة خاصة بنا...». وعالج ابن سينا موضوع السعادة وأتى بآراء تدل على تفاؤله وإيمانه بأن الخير موجود في كل شيء . وهو لا يرى السعادة في اتباع كل لذة بل يراها في الخير والكمال . وكان يدعوا إلى التجرد عن المادة وشواغلها للوصول إلى السعادة الحقيقية . ولا يعني هذا أنه كان يدعو إلى الجمود والروحية البحتة . بل أنه كان يؤمن بالعقل والعلم ، وحسبه أن يعتقد أن السعادة القصوى لا تكون إلا عن طريق العلم . وكان لابن سينا مثل يهيم بها وقد سخر عقله وموهبه للدعوة إليها . وكان يؤمن بالفکر ويقدسه كما كان كثير الثقة بالفطرة الإنسانية .

\* \* \*

وفي علماء العرب من سار — فيما بعد — في أسلوبه على أساس التوفيق

بين الشريعة والفلسفة كابن رشد ، وهو الذي كان يعتقد بالنظر العقلي . وقد غالى في هذا الاعتداد إلى درجة جعلته يحيى مخالفة الإجماع . وفي كتابه ( تهافت التهافت ) نراه يبحث بقوة على معرفة الحق لصاحبه وشكره من أجله ، وعلى وجوب نبذ الهوى والتعصب بغير حق فذلك أجمل بالإنسان وأدعى إلى الإنصاف . وهو يحاول دائمًا أن يفسر المعجزات والنبوة تفسيرًا يطابق العقل والقوانين الطبيعية العامة . ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نرى ابن رشد يتمتع بالوضوح وكثرة التفاصيل والحرية في العرض والتوسيع فيه ورعاية العقل والوحى . لقد أطلع ( ييكون ) على مؤلفات ابن رشد ودرستها دراسة عميقة واستفاد منها فوائد جليلة كان لها أثر كبير في نتاجه واتجاهات تفكيره . وكان معجبًا بابن رشد إيجاباً دفعه إلى الاعتراف بأن « ... ابن رشد فيلسوف متين معمق . صحيح كثيراً من أغلاط الفكر وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى عنها بسوها . وأدرك كثيراً مما لم يكن قبله معلوماً لأحد . وأزال الغموض من كثير من الكتب التي يتناولها بحثه ... »

واشتهر ابن رشد بالنقد . وكان أثره بالغاً عند اليهود والمسيحيين . فقد نقد شروح اسكندر فردوس واغستيوس . وكذلك نقد ابن سينا وهاجمه وردّ على الفارابي والغزالى . وكان شديداً في نقاده ورده فاسى المهمة . ولكن القلم سما به في هذا إلى أعلى درجات الكمال الفكري .

لقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكلماتها وكان من حسناتها أن حلت عقال الفكر الأوروبي وفتحت أمامه أبواب البحث والمناقشة على مصاريعها . وعلى ذلك « ... لم يكن من المستغرب أن يعجب مفكرو القرون الوسطى بشرح ابن رشد وباصابة آرائه ... » وهكذا نشأ مذهب الرشيدية للأخذ بالعقل عند البحث ، وعدم الاعتماد على الروايات الدينية .

كان ابن رشد مخلصاً للحق إلى أبعد الحدود ، يسعى إلى الحقيقة ويعمل جاداً على الوصول إليها والأخذ بها دون اعتبار القائل أو الدين . وكان يدعو

إلى قبول الآراء الصحيحة سواء جاءت من مسلم أو غير مسلم . فقال في هذا الشأن في كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال : « ... يجب علينا إذا ألقينا لمن تقدمنا في الأمم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم . فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكروناهم عليه . وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم . وعلىنا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك . . . وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا في الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة . . . » ويرى كثيرون من الفلاسفة وأعيان الفكر أن فلسفة ابن رشد تركت أكبر الأثر في أوروبا وأخرجتها من ظلمات التقليد إلى نور العقل والفكر . ولهذا نجد them يضعونه مع أفلاطون وأرسطو وكانت في صف واحد في الفلسفة العقلية .

ويتبين من الآراء التي بُثّها في كتبه أنه كان بعيداً عن التصوف ، يتقييد بالعقل ولا يسير إلا على هداه . وكان من ذلك أن اصطدم بوجهة النظر الدينية في بعض المسائل فنشأ عداء بينه وبين رجال الدين أدى إلى اضطهاده في أواخر أيام حياته .

\* \* \*

ومن أساليب العرب ما يمتاز بطبع خاص هو الإخلاص للحق والحقيقة ، والدعوة إلى ذلك وإلى جعل البرهان دليلاً شاهداً . ولقد تضمنت بعض الرسائل القديمة نصائح وإرشادات إلى الكتاب ليسروا عليها حين الكتابة هي في الواقع الأساس الذي يجب أن يسلكه أصحاب الأقلام في كل زمان .

ومن الطريف أن الدعوة إلى الإنصاف وإلى الحق والصدق والمعرفة كانت تدخل في مقدمات الكتب القديمة . جاء في أول كتاب الرسالة العذراء لابراهيم ابن المدبر ما يلي : « ... فتق الله بالحكمة ذهنك وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك وشرف به بيانك . . . »

وابتدأ الماحظ كتابه الشهير الحيوان بما يلي : « ... جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسباً وبين الصدق سبباً وحب إليك التثبت وزين في عينك الإنفاق وأذافك حلاوة النقوى وأشعر قلبك عن الحق وأودع صدرك البر واليقين وطرد عنك ذل اليأس وعَرْفُك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل من القلة ... »

وقال ابن الهيثم في مقدمة كتابه المناظر ، بأن غرضه في جميع ما يستقر به ويتصف به (استعمال العدل لا اتباع الهوى) وأنه يتحرى في سائر ما يميزه وينتقد (طلب الحق لا الميل مع الآراء) حتى يظفر بالحقيقة ويصل إلى اليقين . وقد بين ابن الهيثم أن من الغايات التي توخاها في تصنيف الكتب والرسائل إفاده من يطلب الحق ورؤيه في حياته وبعد مماته .

وفوق ذلك يتجلى لنا من مصنفاته أنه كان متواضعاً منصفاً دفعه إخلاصه للحق إلى الاعتراف بالفضل لنبوته ، وتقدير العلماء السابقين حق التقدير . وقد ذكر البيهقي أن ابن الهيثم قال : « ... إذا وجدت كلاماً حسناً لغيرك فلا تنسبه إلى نفسك واكتف باستفادتك منه ... »

وذهب بعض الكتاب إلى أكثر من هذا بخاؤها بالصفات التي يجب أن يتحلى بها والشروط التي عليه أن يتقيدها . وقد وردت هذه بالتفصيل في كتاب (الرسالة العذراء) .

ومن العلماء الذين امتازوا بروح علمي صحيح البيروني . وهو من أكبر الباحثين الذين تركوا مآثر خالدة في العلوم والتاريخ ساح في الهند أربعين عاماً بقصد البحث والدرس وخرج من ذلك بوقوفه على علوم الهند وفلسفتها وقد استطاع أن يسدى إلى اللغة العربية خدمة جليلة إذ أكسّبها صرامة على التعبير عن دقائق التفكير الهندي .

كان البيروني باحثاً ملخصاً للحقيقة والحق نزيهاً . وقد بين أن التعصب عند الكتاب هو الذي يحول دون تقريرهم للحق . يتجلى ذلك في مقدمة كتابه

النبيس القيم ( الآثار الباقية عن القرون الخالية ) حيث يقول « ... وبعد فقد سألني أحد الأدباء عن التواريخ التي تستعملها الأمم والاختلاف الواقع في الأصول التي هي مبادئها والفرع التي هي شهورها وأسباب الداعية لأهلها إلى ذلك . وعن الأعياد الشهورة والأيام المذكورة للأوقات والأعمال ... » إلى أن يقول « ... وأبتدىء فأقول إن أقرب الأسباب إلى ما سئلت هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية لأن أكثرها أحوال عنها ورسوم باقية من رسومهم ونوماميسهم ولا سبيل إلى التوصل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات ، والقياس بما يشاهد من المحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل المستعملين لذلك وتصيير ما هم فيه أستاً ، يعني عليه بعده ، ثم قياس أقاويلهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها بعض بعد تنزيه النفس عن العوارض المرددة لأكثر المخلق وأسباب المعنية لصاحبها عن الحق وهي كالعادة المأولة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتعالب بالرئاسة وأشباه ذلك ... » ويتبين من الآثار التي خلفها البيروني في مختلف ميادين العلوم ومن كتاباته الشهير الآثار الباقية إنه كان باحثاً دقيق الملاحظة وناقداً صائب النقد يعتمد على المشاهدة ولا يأخذ إلا ما يوافق العقل . يكتب رسالته وكتبه مختصرة ومنقحة وبأسلوب مقنع وبراهين مادية .

وقد انتقد البيروني المنهج الذي أتبعه الهندود لأنه على رأيه غير علمي وحاصل بالأوهام . واستطاع بأسلوبه أن يبين أحسن بيان وجود التوافق بين الفلسفة الفيشاغورية والأفلاطونية والحكمة الهندية والكثير من مبادئ الصوفية . ويمكن القول أن البيروني يرى ( أن العلم اليقيني لا يحصل إلا من إحساسات يؤلف فيها العقل على نمط منطقي ) . وهذا هو الذي سيطر على طريقة البيروني . ومن هنا كان ينبع نهجاً علمياً تتجلى فيه دقة الملاحظة والفكر المنظم . والبيروني يمثل رغبة عصره في نقد الأمور والجرأة في الرأي . ويقول المستشرق شاخت : « ... والحق أن شجاعة البيروني الفكرية وحبه للاطلاع

العلمى وبعده عن التوهم وحبه للحقيقة وتسامحه وإخلاصه — كل هذه الخصال كانت عديمة النظير في القرون الوسطى ، فقد كان البيرونى في الواقع عبقرياً مبدعاً ذا بصيرة شاملة نافذة . . . »

وللبيرونى فوق ذلك رسالة سامية كانت تتجلى في ثنايا مؤلفاته وكتبه ومن سياحاته وسلوكه ، فهو يرى في وحدة الإتجاه العلمى في العالمين الإسلامى والغربي إتحاد الشرق والغرب وكأنه كان يدعو إلى إدراك وحدة الأصول الإنسانية والعلمية بين جميع الشعوب في عالم واحد . وهو يؤمن بانسانية العلم والوحدة الشاملة التي يؤدي إليها العلم فيوحد بين العقول ويزيل التناحر بينها ويقرب بعضها من بعض ويدعو إلى التفاهم على أساس المنطق والحقيقة .

\* \* \*

وما دمنا في صدد الأخلاص للحق وتوخي الحقيقة والدقة العلمية لا بد لنا من الإشارة هنا إلى الطرق التي أتبعها علماء الحديث في الوصول إلى تمييز الحديث الموضوع من الحديث الصحيح . فقد وضع جماعة منهم طرقاً وقواعد للتوصل إلى الحقيقة في الحديث « تتفق في جوهرها واتجاهها وأنظمة التي كشفها علماء أوروبا فيما بعد في بناء علم الميثودولوجية . . . »

وللقاضى عياض رسالة في علم المصطلح هى أنفس ما صنف فى مجموعها « وقد سما بها القاضى إلى أعلى درجات العلم والتدقيق » ويعترف الدكتور رستم بفضلها فيقول : « . . . وعلى الرغم من صرور سبعة قرون عليها فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ في أوروبا وأميركا أن يكتبوا أحسن منها في بعض نواحيها . وإن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان ، تحرى الرواية والمحى باللفظ ، يضافى أدق ما ورد في الموضوع نفسه في أهم كتب الإفرنج في المانيا وفرنسا وأميركا وإنكلترا . . . »

وقد ثبت أن المسلك الذى أتبعته العرب في تنقية الحديث وتمييز صحيحه من موضوعه قد أثر إلى حد في أساليب العماء إذ أبان لهم أهمية إتباع الطرق

التي تؤدي إلى الحق ، كـأوضح لهم منهاجاً دقيقاً لـالسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة وإلى الصحيح من الواقع والأخبار والأقوال . وكذلك كان للأساليب التي أتبعها علماء الحديث فضل كبير على التاريخ . « وأصبحت القواعد التي ساروا عليها في تحري الحقيقة هي المـعـول عليهـا لدى المؤرخـينـ المعاصرـينـ » و محل تقديرـهمـ و إعجابـهمـ .

\* \* \*

وسار المـعزـلةـ فيـ أـسـلـوبـهـمـ عـلـىـ أـسـاسـ العـقـلـ وـكـانـ العـقـلـ مـقـيـاسـهـمـ ،ـ وـهـذـاـ ماـ جـرـدـ كـتـابـاتـهـمـ وـأـرـاءـهـمـ مـنـ الـأـسـاطـيرـ الـخـارـفـيـةـ ،ـ وـفـيـ أـقـوـالـ بـعـضـ الـمـتـكـلـمـينـ مـنـ الـمـعـزـلـةـ نـجـدـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـمـ قـدـ وـضـعـواـ أـسـسـ الـتـيـ بـنـىـ عـلـيـهـاـ فـيـماـ بـعـدـ (ـ عـلـمـ الـبـحـثـ وـالـنـاظـرـةـ )ـ .ـ روـيـ الإـصـفـهـانـيـ قـالـ «ـ .ـ إـجـتـمـعـ مـتـكـلـمـانـ .ـ فـقـالـ أـحـدـهـاـ :ـ هـلـ لـكـ فـيـ الـنـاظـرـةـ ؟ـ قـفـالـ عـلـىـ شـرـائـطـ أـلـاـ تـغـضـبـ ،ـ وـلـاـ تـعـجـبـ ،ـ وـلـاـ تـشـغـبـ ،ـ وـلـاـ تـحـكـمـ ،ـ وـلـاـ تـقـبـلـ عـلـىـ غـيـرـيـ وـأـنـاـ أـكـلـيـكـ ،ـ وـلـاـ تـجـعـلـ الدـعـوـيـ دـلـيـلاـ وـلـاـ تـجـوزـ لـنـفـسـكـ تـأـوـيلـ مـثـلـهـ عـلـىـ مـذـهـبـ ،ـ وـعـلـىـ أـنـ تـؤـثـرـ التـصـادـقـ وـتـنـقـادـ لـالـتـعـارـفـ ،ـ وـعـلـىـ أـنـ كـلـاـ مـنـاـ يـقـيـقـ مـنـاظـرـتـهـ عـلـىـ أـنـ الـحـقـ ضـالـلـهـ وـالـرـشـدـ غـايـتـهـ .ـ .ـ أـلـيـسـ فـيـ هـذـهـ أـقـوـالـ الـجـامـعـةـ مـاـ يـتـجـلـيـ الـرـوـحـ الـعـلـمـيـ الصـحـيـحـ الـذـيـ كـانـ لـهـ أـكـبرـ الـأـثـرـيـفـ أـسـلـوبـ الـكـثـيرـيـنـ مـنـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـعـلـمـاءـ مـاـ جـعـلـ هـؤـلـاءـ يـتـخـونـ فـيـ كـتـابـاتـهـمـ الـحـقـيـقـةـ ،ـ وـالـوصـولـ إـلـىـ الـحـقـ ،ـ وـيـلـجـأـوـنـ فـيـ سـيـلـ ذـلـكـ إـلـىـ السـيـرـ عـلـىـ أـسـاسـ عـلـمـ دـقـيقـ .ـ لـقـدـ سـارـ النـظـامـ —ـ وـهـوـ ذـوـ عـقـلـيـةـ قـوـيـةـ سـابـقـةـ لـزـمـنـهـ —ـ كـمـ يـقـولـ الـأـسـتـاذـ أـحـمـدـ أـمـينـ —ـ فـيـ كـتـابـاتـهـ عـلـىـ الشـكـ وـالـتـجـربـةـ .ـ وـهـاـ الرـكـنـانـ سـيـبـاـ النـبـضـةـ الـحـدـيـثـةـ فـيـ أـورـوباـ ،ـ فـاعـتـبـرـ الشـكـ أـسـاسـاـ لـلـبـحـثـ .ـ وـقـدـ قـالـ فـيـ هـذـاـ الشـأنــ :ـ «ـ الشـكـ أـقـرـبـ إـلـيـكـ مـنـ الـجـاحـدـ .ـ وـلـمـ يـكـنـ يـقـيـنـ قـطـ حـتـىـ صـارـ فـيـهـ شـكـ .ـ فـلـمـ يـنـتـقـلـ أـحـدـ مـنـ اـعـتـقـادـ إـلـىـ اـعـتـقـادـ غـيـرـهـ حـتـىـ يـكـونـ يـنـهـمـ حـالـ شـكـ .ـ .ـ وـعـلـىـ ذـكـرـ الشـكـ نـذـكـرـ قـوـلاـ لـأـبـيـ هـاشـمـ الـبـصـرـيـ وـهـوـ (ـ الشـكـ ضـرـوريـ لـكـلـ مـعـرـفـةـ )ـ

واستخدم النظام التجربة كـما يستخدمها الآن الطبيعي والكيميائي في مختبره . وجاء في كتاب الحيوان للباحث ذكر تجارب كثيرة للنظام في الحيوان وغير الحيوان لا يتسع المجال لعرضها . وقد عرضناها بشيء من التفصيل في بعض مؤلفاتنا . وهذه التجارب هي أمثلة على البحث العلمي والتجربة الصحيحة القائمة على الدقة والمنطق .

ووضع النظام منهجاً بدليعاً للدرس ، فهو ينقد من يسير في تعليمه على طريقة حشو المعلومات في الذهن ، وأنه ينبغي على طالب العلم أن يتخير من الكتب الجيد النتقى ، لأن العلم ليس في جمع الكتب وحفظ ما فيها دائماً هو بالتعقل . وجاء الباحث بعد النظام وسار على غراره في منهج البحث وتحرير العقل وفي الشك والتجربة قبل الإيمان واليقين . قال الباحث : « ... تعلم الشك في المشكوك فيه تماماً ، فلو لم يكن إلا تعرف التوقف ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه ... » ويأتي بعد ذلك التفريق بين العوام والخواص في التفكير فيقول : « ... والعوام أقل شكوكاً من الخواص لأنهم لا يتوقفون في التصديق ولا يرتابون بأنفسهم ، فليس عندهم إلا الإقدام على التصديق المجرد أو على التكذيب المجرد ... »

قال سلطان العقل ، لا يسلم بشيء إلا إذا إستساغه العقل ، فالأدب عنده خاضع للنقد وكذلك فلسفة أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان . حتى الحديث نقدمه ولم يقبل الأخذ به إلا على أساس العقل . وإذا اختلف الناس فالحكم للعقل لا لغيره . ومن يطلع على كتابه الشير الحيوان يتبين له صحة ما ذهبنا إليه وأنه هاجم رجال الحديث لأنهم على رأيه جماعون لا يشغلون عقولهم . وقد قال عنهم : « ... ولو كانوا يرون الأمور مع عللها وبرهاناتها خفت المؤونة ، ولكن أكثر الروايات مجردة ، وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ودون الإخبار عن البرهان ... »

وفي هذا الكتاب تتجلّى دقة الملاحظة والتحقيق ، فهو يلتجأ إلى التجربة

ليتحقق من صحة نظرية أو رأي من الآراء . يجرب بنفسه في الحيوان والنبات ويشك ويستمر في الشك بل ويدعو إليه حتى تثبت صحة النظريات والآراء . وكان يفضل التجربة على كل نقل . ولا يأخذ بقول أحد حتى يتتحقق ذلك بنفسه والأمثلة على ذلك عديدة في كتاب الحيوان . وكان يجري في تفسيره للظواهر والطبايع حسب المعمول وطبع الأشياء . وأبان صراحة بأن العقل الصحيح يجب أن يكون أساساً من أسس التشريع .

وظهر من علماء العرب من دعى إلى الدقة في العمل وإجراء التجارب والاحتياط في الاستنتاج . من هؤلاء جابر بن حيان من أعلام علماء العرب الذين أدوا أجمل الخدمات إلى الكيمياء والعلوم الطبيعية .

لقد دعى جابر إلى الاهتمام بالتجربة وحث على إجرائها مع دقة الملاحظة . كما دعى إلى التأنى وترك العجلة وقال إن واجب المشغل في الكيمياء هو العمل وإجراء التجربة وأن المعرفة لا تحصل إلا بها . وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية أن لا يحاولوا عمل شيء مستحيل أو عديم النفع . وعليهم أن يعرفوا السبب في إجراء العملية وأن يفهموا التعليمات جيداً : « لأن لكل صنعة أساليبها الفنية » على حد قوله . وطالهم بالصبر والمثابرة والتأنى باستنباط التنتائج . وكان جابر هذا فضل كبير على من آتى بعده من كيميائي العرب والمسلمين حتى أن بعض العلماء يعتبر الكتابة غير دقيقة إن لم تسبقها تجربة . قال الجلدك عن الطغرائي : « ... كان الطغرائي رجلاً على جانب عظيم من الذكاء ولكنه لم يعمل إلا قليلاً من التجارب وهذا أمر يجعل كتاباته غير دقيقة ... »

ومن علماء العرب الذين اشتهروا بالتدقيق حين البحث في النبات رشيد الدين ابن الصورى . فقد كان يستصحب معه مصورة ( حين البحث عن الحشائش في منابتها ) ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها .

\* \* \*

وننتقل الآن إلى الدستور الذى وضعه بعض علماء العرب للبحث العلمى

والفلسفي ، وقد ورد في رسائل إخوان الصفاء . لقد وصف بعض العلماء المحدثين بأن هذا الدستور محكم ورائع . ويرى الباحثون أنه وليد النطق الذي اقتبسه العرب عن اليونان ويدلّون على ذلك بالمقارنة بين مواده والمقولات العشر المسماة عند اليونان (قاطيفورياس) . فلقد شرح الأستاذ مظہر في مقال ظهر له في كتاب (نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية) أبواب دستور البحث العلمي ، ثم أعقب ذلك بشرح المقولات فثبت له «أن أسلوب البحث عند أسلافنا أصله يوناني أو بالحرى مستمد من أصل يونياني» . ولا يخفى أن ليس في هذا ما يضر أو ينقص من قدر العرب العلمي فالإنسان دائماً وأبداً يأخذ ما عمله غيره ويزيد عليه إذا استطاع . وزيادات العرب في هذا الميدان أساسية وذات قيمة وأهمية .

ومن الرسالة السابعة من رسائل إخوان الصفاء التي تبحث في الصنائع العلمية يتبيّن أن العرب إتبعوا دستوراً محكماً في البحث العلمي ينحصر في تسعة أحكام . وهذا هي كما وردت في الجزء الأول :

**السؤال الأول : هل هو ؟** يبحث عن وجдан شيء أو عدمه والجواب  
نعم أو لا .

**السؤال الثاني : ما هو ؟** يبحث عن حقيقة الشيء .

**« الثالث : كم هو ؟** « في مقدار الشيء .

**« الرابع : كيف هو ؟** « عن صفة الشيء .

**« الخامس : أي شيء هو ؟** « عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .

**« السادس : أين هو ؟** « عن مكان الشيء أو عن رتبته .

**« السابع : متى هو ؟** « عن زمان كون الشيء .

**« الثامن : لم هو ؟** « عن علة الشيء المعلول .

**« التاسع : من هو ؟** « في التعريف للشيء .

وتدل هذه الأسئلة على الاتجاه العلمي الذي كان يسير عليه بعض علماء

العرب في بحوثهم وكتاباتهم . وهو يحصر اتجاهات العقل « ... ولكن لا يقر المتوجه الذي ينبغي أن يتوجه فيه العقل إزاء كل بحث بعينه ... »

ولا يقف الأمر عند هذه الحدود ، بل نجد أنه وجد في العرب وبين علمائهم من كشف عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن والتي تميز هذه الحضارة عن التي سبقتها . وقد جعلنا بحثنا يدور حول السؤال الآتي :

هل وجد في العرب من سار على الطريقة العلمية وسلك في أصولها ؟  
ما كنت أظن أن للعرب أثراً في كشف عناصرها والتهدى إلى أصولها حتى  
بحثت في مآثر العرب في الفيزياء وأطلعت على كتاب (الحسن بن الهيثم :  
بحوثه وكتشوفه البصرية للأستاذ مصطفى نظيف ) .

ويشتمل هذا الكتاب النفيس القيم على بحوث علم الضوء الموجودة في كتاب المناظر لابن الهيثم وفي مقالات أخرى . وقد أخذها الأستاذ مصطفى نظيف وتبين النظر واتجاهات التفكير فيها وبعد أن درسها ومحصها وأعمل فيها التحليل والموازنة والمناقشة ثبت له أن ابن الهيثم « ... قد توافرت فيه (ميزات التفكير العلمي الصحيح) وهي تدل على مدى نضج الفكر وعمق النظر في عصر ابن الهيثم . الواقع أنه لم يخطر ببال أن الطريقة العلمية الصحيحة قد عرفها ابن الهيثم على النحو الذي وردت في بحوثه في الضوء .

وأرى قبل التدليل عليها أن أفت النظر إلى أن علماء العرب لم يتسعوا في الطريقة ولم ينقلوها على النحو الذي توسع فيها واستغللها علماء أوروبا وأميركا الآن ، كما أنهم لم يدركوا ما لهذا الأسلوب من شأن خطير ، كما أدركه علماء هذا العصر . ولكن يمكن القول أن كتاب المناظر لابن الهيثم يدل على أنه وجد في العرب من سار في بحوثه على الطريقة العلمية ، كما وجد بين علمائهم من سبق بيكون Bacon في إنشائه ، بل ومن زاد على طريقته التي لا تتوافق فيها جميع العناصر الالزمة في البحوث العلمية .

أما العناصر الإسلامية في طريقة البحث العلمي الحديث فهي : الاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة أو التجربة والتلليل .

ولقد أدرك ابن الهيثم الطريقة المثلثي وقال بالأخذ بالاستقراء والقياس والتلليل وضرورة الاعتماد على الواقع الموجود على المنوال المتبوع في البحوث العلمية الحديثة : ففي كتاب المناظر عند البحث مثلاً في كيفية الإبصار واختلاف العلامة فيه يقول : « ... ونبتدى في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال البصارات وتميز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يختص البصر في حال الإبصار وما هو مطرد لا يتغير ظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس . ثم نترق في البحث والمقاييس على التدرج والتدريب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في التسائج ، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرره ويتضمنه وتصفحه باستعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء ... » إلى أن يقول : « ... ولعنة نتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثليج الصدر ونصل بالتدريج والتأطير إلىغاية التي عندها يقع اليقين وتظهر مع القديم والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسن به مواد الشبهات ... وما نحن مع ذلك براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية . ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية . ومن الله نستمد العون في جميع الأمور ... »

ومن أقواله هذه تتجلّى لنا الخطّة التي كان يسير عليها في بحوثه ، وإن غرضه في جميع ما يستقرره ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهوى) . وبعد ذلك نراه رسم الروح العلمية الصحيحة وبين أن الأسلوب العلمي هو في الواقع مدرسة للخلق العالى فقواعد التجدد عن الهوى والإنصاف بين الآراء فيكون قد سبق علماء هذا العصر في كونه لمس المعانى وراء البحث العلمي الحديث . وكان يرى في الطريق المؤدى إلى الحق والحقيقة (ما يثليج الصدر) على حد تعبيره — وهذا ما يراه باحثون هذا العصر من رواد الحقيقة العاملين على إظهار الحق . فإن وصلوا

إلى ذلك فهذا غاية ما يبغون ويؤملون . . . وابن الهيثم في طريقته العلمية التي اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية قد سبق (Bacon ييكون) في طريقته الاستقرائية . وفوق ذلك سما عليه . وكان أوسع منه أفقاً وأعمق تفكيراً . وهو وإن لم يعن كا عني (ييكون) بالفلسف النظري وبالتالي المؤلفات التي يعرض فيها الآراء النظرية في طرق البحث ويلزم العلامة بها إلزاماً خصبه أنه اتبع الطريقة الصحيحة في بحوثه وجرى عليها عملاً وفعلاً . وإن الأمر جاء منه عن بينة وروية وإمعان فكر وحسن تدبر .

ويذهب الأستاذ مصطفى نظيف إلى أكثر من هذا فيقول : « . . . بل وإن ابن الهيثم قد عمق تفكيره إلى ما هو أبعد غوراً مما يظن أول وهلة ، فأدرك ما قال به من بعده (ماك) و (كارل بيرسون) وغيرهما من فلاسفة العلم الحدثين في القرن العشرين . أدرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية وأدرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث . ويذكر القول أنه من نصوص أقوال ابن الهيثم يتبين أن تفكيره اتجه إلى الوجهة التي يتوجه إليها التفكير العلمي الحديث « . . . وأنه ليس من المغالاة أيضاً القول أنه قد أدرك عن بينة الطريقة الحديثة في البحث العلمي وأدرك الأوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية . . . »

وفعلاً سلك ابن الهيثم في بحوثه الطريقة الحديثة في البحث . وقد وصل بسلوكه إلى الحقيقة التي ينشدها بالمعنى الذي رأه . وهذا يتجلى بأجل بياني وأبلغ صورة في الكتاب النفيس « الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية » تأليف الأستاذ مصطفى نظيف .

ومن الحق أن أشير إشارة بسيطة إلى موضوعات كتاب المناظر . فلقد استدل ابن الهيثم في جميع بحوثه في الضوء على القواعد والقوانين الأساسية بتجارب واستعمال إجراء التجارب بالمعنى الذي يعنيه الآن . وذهب إلى أبعد من ذلك فقد أدرك قيمة التجربة في البحوث العلمية « فهو لا يعتمد على التجربة في إثبات القواعد أو القوانين الأساسية خسب ، بل يعتمد عليها أيضاً في إثبات النتائج التي تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك من تائماً لقواعد والقوانين . . . »

ومن ميزات ابن الهيثم أنه كان يشرح الجهاز وبين وظيفته أجزاءه المختلفة، واستعمل أجهزة مبتكرة لشرح الانعكاس والانعكاس . وتدل تجارييه وحساباته أنه استطاع أن يجمع بين مقدرته الرياضية وكفايته العلمية الممتازة «... يدل عليها صنع الأجهزة واستعمالها في الأغراض المختلفة...»

وكذلك يمتاز كتاب المناظر بعنية ابن الهيثم بالقياس . فهو بعد أن ثبت المبادئ الأولية بالتجربة يتخذ تلك المبادئ قضائياً يستنبط منها بالقياس النتائج التي تفضي إليها ، ويشرح على هذا النط كثيراً من الظواهر الهامة في الضوء . ويتبين من بحوث الكتاب أيضاً أن ابن الهيثم ادرك قيمة التمثيل في البحوث العلمية ، ولهذا إستعان به في بعض الموضع وكان فيها موفقاً وفي بعضها كان متبايناً وملهماً . والذى نستخلصه من مآثر ابن الهيثم ونتائج الفكرى ، أنه سلك فى البحث سبيلاً توافر فيه خصائص البحث العلمى . وقد خرج الأستاذ مصطفى نظيف من دراسته بحوث ابن الهيثم في الضوء بالقول الآتى : «... ليكن ابن الهيثم قد استفاد بمعلومات من تقدموه وبحوث من تقدموه ، فقد استفاد حتماً طوعاً أو كرهاً ، ولكنه أعاد البحث عن كل هذه الأمور من جديد ، ونظر فيها جيئاً نظراً جديداً لم يسبق إليه أحد من قبله . واتجه في هذا النظر وجة جديدة لم يولها أحد من المتقدمين . وأصلاح الأخطاء وأتم النقص وابتكر المستحدث من المباحث وأضاف الجديد من الكشفوف ، وسبق في غير قليل من ذلك الأجيال والعصور . واستوفى البحث إجمالاً وتفصيلاً ، وسلك في البحث سبيلاً توافر فيه خصائص البحث العلمى ، مع ما في هذه الطرق من قصور ومع ما فيها من ميزات . واستطاع أن يؤلف من كل ذلك وحدة مترابطة الأجزاء على قدر ما كان يمكن أن ترتبط به أجزاؤها في عصره . إن وجدنا فيها عيباً أو نقلاً فتلك سنة الله في المباحث العلمية . وهو فيها لم يبدع ولم يبتكر خسب بل هو أيضاً أقام بها الأسس التي ابني عليها صرح علم الضوء من بعده ...» .

### مصادر المقال

- ١ — الخوارزمي (محمد بن موسى) : الجبر والمقابلة ( تحقيق على مصطفى مشرف و محمد حسني أحمد — القاهرة ١٩٣٧ )
- ٢ — البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ( ليزغ سنة ١٨٧٩ ) التفهيم لأوائل صناعة النجيج ( مخطوط من طوان )
- ٣ — المحافظ : البيان والبين ( تحقيق السنديوي — القاهرة ١٩٣٦ ) الحيوان ( القاهرة — ١٣٢٣ هـ ) البخلاء
- ٤ — شفيق جبرى : المحافظ معلم العقل والأدب
- ٥ — ابن سينا : النجا ( القاهرة ١٩٣٨ ) حى بن يقطنان ( القاهرة سنة ١٩٥٢ )
- ٦ — ابن بدر : اختصار في الجبر والمقابلة ( مخطوط من مدريد )
- ٧ — ابن النديم : الفهرست ( القاهرة ١٣٤٨ هـ )
- ٨ — ابن الهيثم : المناظر ( تقييحاً للفارسي — مخطوط )
- ٩ — مصطفى نظيف : الحسن بن الهيثم ( القاهرة — ١٩٤٣ ) محاضرات ابن الهيثم التذكارية : الحاضرة الأولى « » « » الرابعة « » « » الخامسة
- ١٠ — جواشوت : فلسفة ابن سينا ( نقاہ لاونڈ — بيروت ١٩٥٠ )
- ١١ — جليل صليبا : من أفلاطون إلى ابن سينا
- ١٢ — أسد رستم : مصطلح التاريخ ( بيروت — ١٩٣٩ )

- ازفلد كولية : — ١٣  
المدخل إلى الفلسفة (ترجمة أبو العلا عفيفي — مصر ١٩٤٢)
- جولديشيهر : — ١٤  
المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن (ترجمة على حسن عبد القادر مصر — ١٩٤٤)
- دى بور : — ١٥  
تاريخ الفلسفة في الإسلام (ترجمة محمد عبد الهادي أبو زيد — القاهرة ١٩٣٨)
- ساوطون : — ١٦  
مقدمة تاريخ العلم ثلاثة أجزاء (برنسنون ١٩٣١ ، ١٩٤٧)
- عبد الحميد حدى : — ١٧  
محاضرات ابن الهيثم التذكارية (الحاضرنة الثالثة — جامعة القاهرة)
- الفارابي : — ١٨  
كتاب ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة
- رسالة في العقل (بيروت ١٩٣٨) — ١٩
- قدري حافظ طوقان : — ٢٠  
محاضرات ابن الهيثم التذكارية (الحاضرنة السابعة ١٩٤٥)
- الحالدون العرب (دار العلم للملائين — ١٩٥٤)
- تراث العرب العلمي (الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٥٤)
- مصطفى عبد الرازق — ٢١  
تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (مصر)
- مقالات فلسفية قديمة (نشرها الآباء اليسوعيون في بيروت) — ٢٢
- رسائل إخوان الصفاء (طبعة سنة ١٩٢٨) — ٢٣
- ابن رشد : — ٢٤  
تهاافت التهاافت
- أحمد أمين : — ٢٥  
ضحي الإسلام (الجزء الثالث)
- إبراهيم بن المديري : — ٢٦  
الرسالة العذراء (تصحيح وشرح الدكتور مبارك سنة ١٩٣١)

الدكتور قدري حافظ طوقان

## نصوص سياسية

عه فترة الانتقال من المرابطين إلى الموردين

أى من ١١٤٥ / ٥٢٠ إلى ١١٢٦ / ٥٢٠

أقدم في الصفحات التالية مجموعة ثالثة من تلك الوثائق الهامة التي اختارها من المخطوطين اللذين يحملان رقمي ٤٨٨ و ٥٣٨ بين مخطوطات القسم العربي من مكتبة الإسكندرية . وقد سبق أن وصفت هذين المخطوطين في مقدمة المجموعة الأولى التي نشرتها في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ( مجلد ١١ جزء ديسمبر ١٩٤٩ ) ودَلَّلتُ على إصالة النصوص الواردة بها وأهميتها كوثائق تاريخية يمكن التعويل عليها ، وأكَدت ذلك مرة أخرى في مقدمة المجموعة الثانية التي نشرتها بصحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ( مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ ص ٥٨ و ٥٩ ) ، ولهذا فلا أجد ما يدعو لتوسيع ذلك مرة أخرى بين يدي هذه المجموعة التي تتفضل صحيفة المعهد بنشرها بين دفتري هذا المجلد الثالث - الجزء الأول - من مجلاتها ، وسأكتفي في هذا المقال بأن أنشر صورتين شمسيتين إحداهما لصفحة العنوان من المخطوطة رقم ٥٣٨ والأخرى لصفحة التي يقرر فيها محمد بن أحمد بن عبد الله ... بن سيد الناس اليعمرى أنه كتب ما في المخطوطة رقم ٤٨٨ بخط يده ، وأنه سمع بعضه على الشيخ الفقيه الأستاذ أبي على عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشهير بابن الشلوبين ، وإقرار هذا العلامة الأخير بذلك بخط يده .

والمجموعة التي أقدمها فيما يلي تتكون من تسع قطع رأيت أن أختتم بها المجموعة السياسية من هذه الوثائق ، وتبقى بعد ذلك مجموعةأخيرة من ست رسائل إخوانية ذات أهمية تاريخية كبيرة ، نظراً لما فيها من الإشارات ذات

المغزى ، وما تكشف عنه من حقائق تتعلق بالحالة النفسية للناس وإحساسهم في ذلك العصر الذي لا نكاد نعلم عنه إلا الهيكل الخارجي لحوادث التاريخية ، دون أن يكون لدينا ما يلقي ولو بصيغة من التور على حياة الناس وأحساسهم ، وهي تزيد في الأهمية على الهيكل الرئيسية للحوادث .

وهذه الوثائق ليست كلها في موضوع واحد ، إذ ليس في المخطوطين أكثر من أربع وثائق في موضوع عينه ، وجميع ما فيها في الغالب صور متفرقة من وثائق سياسية ، أو نماذج أوامر ، أو خطابات رسمية ، أو مكتبات إخوانية ذات قيمة تاريخية أدبية . والجامع الوحيد بين القطع التي أقدمها في كل مرة هو أنها تلقي ضوءاً كائفاً على ناحية بعينها : سياسية أو اجتماعية أو فكرية من تاريخ الأندلس ، وجموعة هذه المرة بالذات تتعلق بفترة معينة لا نكاد نملك عنها شيئاً من قريب ، فهي فترة مضطربة تَقْلُّلَ فيها كل شيء في الأندلس الإسلامي حتى أسفى مرة أخرى على الزوال ، وزاد الأمر حرجاً أن الأمور في المغرب اضطربت اضطراباً دام نحو العشرين سنة ، حتى استقر الأمر للموحدين فعاد النظام إلى المغرب وإلى الأندلس تبعاً لذلك ، وأعني بذلك فترة انتقال السلطان في المغرب الإسلامي من المرابطين إلى الموحدين .

وهذه الفترة — على عكس غيرها من فترات الفتن والاضطراب — تبدو للناظر من بعيد وكأنها واحة العالم ، لأنها قصيرة الأمد من ناحية ، ولأن الحظ أسعفنا بطائفة طيبة من المعلومات عنها أوردها مؤرخون مجيدون يوثقون في كلامهم إلى حد بعيد من ناحية أخرى ، كأبي سروان بن صاحب الصلاة في « المن بالإمامية » ، وابن عذاري في مطلع الجزء الرابع من تاريخه الذي نشره أمبروزيو هويني سنة ١٩١٧ بعنوان « تاريخ الموحدين » وبضع صفحات من « أعمال الأعلام » لابن الخطيب ، وبضع مواد غاية في الأهمية أوردها ابن الأبار في « الحلة السيراء » ، وعلى أساس من هذه المادة الطيبة كتب

فراشيسكو كوديرا تاريجا مختصرًا هذه الفترة في كتابه المسمى « أضمحلال المرابطين ورثالة أمرهم »<sup>(١)</sup> .

ولكن الناظر من قريب لا يثبت أن يتبيّن أن هذا الوضوح ظاهري صرف ، وأنه لا يعدو الخطوط العامة للحوادث الرئيسية واللاماح الظاهرية للأشخاص الذين اشتراكوا فيها : أما أسباب هذه الفتنة وروابط هذه الأسباب بعضها بعض ، أما العوامل الحقيقة ، البعيدة والقريبة ، التي دفعت إليها ، أما طبيعة الأشخاص الذين نراهم يتحرّكون خلاها في سرعة تستوقف النظر ، أما أهدافهم من وراء هذا النشاط ، وأما علاقتهم بالمرابطين قبل الفتنة وصلاتهم بالموحدين بعدها ، كل ذلك وغيره كثير تقف المراجع دونه صامتة لا تقول شيئاً . ونحن هنا — كما نحن في معظم ما ندرس من فترات تاريخ الإسلام — أمام هيكل جامد ينقصه اللحم والمدم ومعظم مقومات الحياة .

\* \* \*

نستطيع أن نسمى هذه الفترة بعصر الصوائف الثاني ، ونستطيع — إذا نظرنا إليها في الإطار العام للتاريخ الأندلسي — أن نسميها « بالفتنة الرابعة » .

(١) أضطر الجزء الذي نشره دوزي من الحلقة السابعة في :

R. Dozy, *Notices sur quelques manuscrits arabes* (Leyde 1847 — 1851)

وأسأشر إلى هذا الجزء في البحث هنا بعبارة « ابن الأبار ، الحلقة » .

وأبا صروان بن صاحب الصلاة الباقي : أبن بالإمامية على المستضعفين ، بأن جعلهم الأئمة وجعلهم الوارثين (صورة شمسية لدينا من مخطوط أوكتوفورد) .

و « كتاب التواريف المعروف بابن بسام في أخبار متون أخضرة المراكشية وما جرى لهم في الجهاد مع النصارى في فتوح بلاد الأندلس وإفريقية وغيرها من المدائن » ، وهو المعروف باسم : الكتاب الجھوی المؤلف الموجود في مدريد وكوبنهاغن ، وقد نشره أمروزیو هویتی باسم : A. Huici, *El Anónimo de Madrid y Copenague*. (Valencia, 1917).

وقد تبيّن أن هذا هو الجزء الرابع من البيان المغرب لابن عذاري ، وهذا وأشار إلىه هنا بإسم : ابن عذاري ، البيان ، ج ٤

وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، طبعة ليفي بروفنسال . رباط سنة ١٩٣٤

فأما عن التسمية الأولى فأساسها التشابه بين ما حدث خلال تلك الفترة وما وقع عند انتشار عقد الجماعة الإسلامية الأندلسية عقب مقتل عبد الرحمن بن أبي عاصي المعروف بشنجلول في ٤ مارس سنة ١٠٠٩ ، فقد تقطعت أوصال الوحدة الأندلسية ووقف عمال النواحي — كل في ناحيته — يرقب تطور الصراع في العاصمة . ثم استقلت كل جماعة بناحية ، وببدأ عصر الطوائف الأول المعروف .

وحدث في هذه الفترة التي تتحدث عنها هنا شيءٌ قريب الشبه من ذلك ، فإن يوسف بن تاشفين المرابطى استطاع أن يوحد تحت لوائه ما بقى من الأندلس الإسلامي على أيامه ، وتمكن بعد جهد طويل باهظ التكاليف من أن يوقف تقدم النصرانية في غرب الأندلس بانتصاره الكبير في وقعة الزلاقة سنة ٤٧٩/١٠٨٦ وأن يحول بين السيد القميطرور وتوسيع مدى نشاطه المُخَرَّب إلى ما يلي بلنسية جنوباً . ثم تولى ابنه على بن يوسف سنة ٥٠٠/١١٠٦ قيادةً وواصل سياسة أبيه في حزم وإصرار على ما بناه في مقال سابق<sup>(١)</sup> ، وببدأ في آخريات أيامه أنه موجه قواه إلى طليطلة ، وببدأ بالفعل يوجه ضرباته نحوها ، لولا أن ظهرت طلائع الحركة الموحدية في الغرب ، وأخذ تاريخ الإسلام في الأندلس وجهة أخرى .

في هذه الظروف القاسية ، وبينما كان الصراع بين المرابطين والموحدين في الأندلس في أدواره الأولى ، اندلعت نيران هذه الفتنة الرابعة ، وقضت على ما كان للمرابطين في الأندلس من سلطان قبل أن يفرغ الموحدون من أمرهم في مراكش .

وقد حاول فرنسيسكو كوديرا أن يتعرف أسباب هذه الثورة ، ولكنه أكتفى بواحد من هذه الأسباب وجعله العلة الوحيدة التي نجم عنها الشر كله : هي

(١) انظر بحثنا : الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين . مجلة كلية الآداب ، مجلد ١١ ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ ، ص ١٠٦ وما يليها .

استخدام المرابطين لنفر من النصارى في جيوشهم — مثل «الرِّبُّتِير» ، فقد كان ذلك محركاً لجماعة «المريدين» إلى القيام على المرابطين ودافعاً لهم إلى دعوة الأندلسين إلى الثورة عليهم وقيام كبير أهل قرطبة أبي جعفر حمدين ابن محمد بن حمدين قاضي قرطبة — بإعلان نفسه صاحب الأمر في البلد ، على إثر قيام جماعات «المريدين» في غرب الأندلس قياماً عاماً تزعمه أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قَسٍّ تلميذ أبي العباس بن العريف ، واستعلن في اجتذاب الناس إلى دعوته بادعاء المداية «محرقة وتمويهاً على العامة»<sup>(١)</sup> . وليس في النصوص ما يدل على أنه استثار الناس على المرابطين أو رماهم بالمروق أو بالتراخي أو ما إلى ذلك ، ولكن الدلائل تدل على أن عماد الحركة كانوا نفراً من الطامعين في السلطان ، بعضهم من القضاة ، وبعضهم من القواد ، كلهم طامع في السلطان ، طامح إلى الانفراد بiamara لنفسه ، على مثال ما فعل أمراء الطوائف من قبل ، حاسبين أنهم يستطيعون مدارة ملوك النصرانية ، ومنتهزين فرصة الصراع بين المرابطين والموحدين في المغرب للتخلص من أولئك الأخيرين . وقد استغل ابن قسي حماس جماعة المريدين ، وهو طائفة من المتخمسين استولت على نفوسهم فكرة الجهاد . وكما يحدث كثيراً جداً في التاريخ الإسلامي ، يبدأ أولئك المجاهدون بالجهاد في بلاد الإسلام نفسها ، استيساراً للمؤونة وتعجلاً للوصول إلى الحكم بالطبع . وقد استعلن ابن قسي في قيادة أولئك المريدين رجال على شاكلته من أمثال محمد بن يحيى الشطبي المعروف بابن القابلة ، فتمكن من استيلاء على ميرتله في ١٢ صفر ١٤٥٩ / ١١٤٤<sup>(٢)</sup> ، وكان هذا إيذاناً بالتوپ العام على المرابطين فانتقضت عليهم يابرة وشلب وغيرها من بلاد غرب الأندلس ، وتواترت الثورات في كل مكان حتى خرج أمر

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٩

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٩

الأندلس من أيدي المرابطين عامّة ، فلا غرابة أن يسمى ابن الأبار السنة التي وقع فيها ذلك — وهي ١١٤٤/٥٣٩ — بـ«القارضة ملك الممتوبيين بمقتل تاشفين أميرهم في رمضان منها»<sup>(١)</sup> .

ولسنا نجد في تراجم أولئك التأثرين ما يدل على أن وجود البرتير<sup>(٢)</sup> وغيره من جند النصارى في جيوش المرابطين كان سبباً في ثورتهم ، أو أنه كان على الأقل سبباً من أسباب هذه الفتنة .

أما السبب الحقيقي في تلك الثورة فهو ما بدا على المرابطين في أواخر أيام على بن يوسف من عجز عن النهوض بعبء الدفاع عن الأندلس الإسلامي . وكان هذا العجز في ذاته نتيجة للتضحيات المتواصلة التي احتلها المرابطون في سبيل الزيادة عن الإسلام الأندلسي ، وقد سبق أن أشرنا إلى استهلاك المرابطين جنداً

(١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ١٩٩

Cf. F. Codera, *Decadencia y desaparición de los Almorávides en España* (٢)  
(Zaragoza, 1899) p. 30

أما الربرتير المذكور هنا ففارس نصراني قطلوني ، أسره قائد الأسطول المرابطي على ابن ميمون وأتي به إلى صراكس ، حيث دخل في خدمة المرابطين بعنوانه «قائد الزروم» أي قائد الفرقـة النصرانية من جيشهـم ، وكانت هذه الفرقـة من المرتقة . وقد أخلص الربرتـير — وإسمـه الأصـلي Reverteـr — للمرابطـين ، وقربـه على بن يوسف وأعلى مكانـه ، وهو مذكـور في مدونـة ألفـونـسو السـادس ، واستـمر في خـدمـتهم حتى قـتـل فـي مـعرـكة دـارـت بـين المرـابـطـين وـالـموـحـدـين ذـكرـها اليـدقـ . وأـنـجـبـ وـلـدـاً أـسـلـمـ وـتـسـمـيـ عـلـيـاً وـدـخـلـ في خـدمـةـ الـموـحـدـينـ عـنـدـ ماـ صـارـ الـأـمـرـ إـلـيـهـ . وـهـوـ الـذـي اـنـتـرـ مـيـوـرـقـةـ مـنـ بـيـ غـانـيـةـ وـقـدـ قـتـلـ فـيـ مـعـرـكـةـ بـيـنـ بـيـ غـانـيـةـ هـؤـلـاءـ وـجـنـدـ الـموـحـدـينـ فـيـ إـفـرـيقـيـةـ ٥٨٣—١١٨٧ـ . هـذـاـ وـكـانـ اـسـتـخـدـمـ مـرـتـقةـ النـصـارـىـ فـيـ جـيـوشـ الـسـلـمـيـنـ فـيـ الـمـرـبـقـ أـمـرـأـ شـاعـرـ آـنـذـ عـنـهـ دـوـلـهـمـ .

أنظر : ابن خلدون ، العبر (طبعة دى سلان ، ج ١ ، ص ٣٠٥—٣٠٦) .  
أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق ، كتاب أخبار المهدى بن توهرت وابتداء دولة الموحدين ، طعنة ليفي بروفسـالـ ، بـارـيسـ ١٩٢٨ـ ، ص ٨٧ـ (يـسـمـيـ هـنـاكـ الـأـبـرـتـيرـ) ، وـانـظـرـ التـرـجـةـ الـفـرـنـسـيـةـ ص ١٣٩ـ وـهـامـشـ ١ـ

Dozy, *Recherches sur l'histoire de la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge*, 3<sup>o</sup>. éd.

Leyde, 1881, II, p. 437—442.

*Cronicón de Alfonso VII Apud España Sagrada XXI ch. 45, 46, 64.*

وفادةً في هذا السبيل ، وذكرنا كيف استشهد كبار قوادهم من أمثال محمد ابن الحاج وأبي عبد الله مزولى وابنه محمد في معارك الإسلام والنصرانية في ذلك الحين ، وكيف حصدت جموعهم في المعارك حصداً حتى كلّت قواهم وعجزوا عن موالاة المليادين بما تحتاج إليه من جند وقادة<sup>(١)</sup> ، هذا إلى تغير الأوضاع في إسبانيا النصرانية وثبات جيشهما وتوحد قيادتها مدى تسعه وعشرين عاماً متواالية في يد ألفونسو الأول ملك أرغون وقشتالة وليون المتّقد بالحرب ، وتفانيه في حرب المرابطين تفانياً انتهى بكسر شوكتهم والقضاء على جاههم في الأندلس ، وإن كان هو وابنه قد لقيا حتفهما على أيديهم في أطواء هذا الصراع .

ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى هزيتني « كتنده » و « البرت » ، وهما هزيتان ذهبت معهما هيبة المرابطين في نظر الأندلسيين جملة ، وقد ذكرنا ذلك في مقالنا الآنف الذكر ، وبحسينا الآن أن نشير إلى الغارة الطويلة التي قام بها ألفونسو المخرب على بلاد المسلمين فاحتاجها من شمال لجنوب ومن شرق لغرب في مدى عام وبضعة شهور ، وقوات المسلمين — ما بين مرابطية وأندلسية — تسير في آثاره أو تخمن منه بالحصول<sup>(٢)</sup> ، فإن مثل هذه الغارة من شأنها أن تُسقط جاه المرابطين جملة وتشعر الأندلسيين أنهم آمنون إذا هم وثبوا بهم ونازعواهم السلطان ، خاصة بعد أن اشتد الصراع بين المرابطين والموحدين في مراكش ، وبذا بوضوح أن أمر لِمَتْوَنَة قد ولّ مع أمس الدابر .

ويجمع المؤرخون على أن الدين شبوا أوار هذه الحركة جماعة يسمون « المریدين » زعيمهم أبو القاسم أحمد بن الحسين المعروف بابن قسى ، وأنهم

(١) انظر عن ذلك مقالتنا : الشعر الأعلى الأندلسي . س ١١٠ و ١١١

(٢) أورد ابن الخطيب في « الإحاطة » تفاصيل هذه الغارة ، مخطوط الجم التاريجي الإسباني (أصلاً مجموعة جيانجوس) . وقد أورد دوزي هذه النقطة من الإحاطة ذيلاً على الجزء الأول من أبحاثه ، انظر من LXX (٧٠) من ديوان ذلك الجزء وما يليها . وانظر مقال دوزي عن تلك الغارة في ص ٣٤٨ وما يليها من ذلك الجزء من الأبحاث ، وانظر : Coder, Op. Cit. pp. 13-17.

كانوا أهل «طريقة» صوفية ذات صلة بمبادئ الصوفى الأندلسى أبو العباس ابن العريف ، ومن أسف أن الكتاب الذى كتبه عنهم ابن صاحب الصلاة وجعل عنوانه «ثورة المریدین» قد ضاع . ولكن ابن الأبار أتانا في حلته بصفحات منه تغنى في تعريفنا بسياق الحوادث ، ولكنها لا تغنى في تعريفنا بحقيقة أولئك المریدین . وقد حاولت أن أجده تفصيلاً لآرائهم أو شيئاً من البيان عن طريقتهم هذه فلم أجده شيئاً ، ومن ثم ترأى إلى الشك في صلة ابن قسى بابن العريف وآرائه ، وقوى هذا الشك عندي ما هو معروف من أعمال ابن قسى هذا ومريديه ، فليس فيها شيء يدل على نزوع ديني أو ميل صوفى . فأما ابن قسى فلم يكن إلا مشعبذا عريضاً الدعوة ، وقد تبرأ هو من دعواه وانقلب على الإسلام وأهله على نحو لا يدع مجالاً للشك في أنه كان أبعد الناس عن مبادىء أبو العباس بن العريف<sup>(١)</sup> . وقد يكون قد عرفه أو سمع منه أو أخذ الطريق عنه ، ولكن هذا كله شيء ، وكونه هو كان صوفياً ذا نزوع روحي شيء آخر . وأما «مریدوه» فلم يكونوا أحسن منه حالاً : كانوا طوائف من الطامعين في الأموال والمغانم ، فلم يؤثر عنهم عمل ديني في بلد دخلوه ، إنما هو النهب والسلب ولا شيء بعد ذلك . وقد تلاشوا من الوجود بمجرد نزول الموحدين الأندلس .

(١) يقرر ابن الأبار صراحة أن أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى «ادعى لهداية محرقة وتمويها على العامة وتسمى بالإمام» (الحالة ، ص ١٩٩) . ولم يرد في ذلك المرجع إلا سطر واحد عن طبيعة أولئك المریدین ، قال : «... إلى أن وصلهم في غرة شهر ربيع الأول في جمع وافر من المریدین شعارهم التهليل والتکیر» (ص ١٩٩) . أما إنكار ابن قسى نفسه لدعوتهم فقد قال ابن الأبار في ترجمته : «والت الحال بابن قسى إلى أن خلع بغيره ، ثم أعيد ، ومنها هاجر إلى الموحدين ، أعزهم الله ، فقدم عليهم سللاً متربياً من دعاویه وتأباً عما أسلفه ...» ، ثم يقول بعد أن يذكر تولية الموحدين إياه على شلب : «ظهر منه غير ما فورق عليه ، إلى أن صرح بالخلاف ، وداخل الطاغية ابن الرين صاحب قلندرية في إعاته وإمداده ، فأظهر إجابته إلى صرادة ، وبعث إليه بفرس وسلاح ، فأنكر ذلك أهل شلب ، وفتكتوا به في قصر الشراجب منها موضع سكناه في قصه طويلة» . الحالة ، ص ٢٠٠

ويؤيد ما ذهبنا إليه من القول — بأن الصوفية كانت مجرد ستار استخفى تحته أولئك الأدعية — أن أولى الوثائق التي نشرها هنا تتعلق بموضوع كان لابد أن يجر إلى ذكر أولئك المریدين ومبادئهم ، لو أن أمرهم كان معروفاً إذ ذلك في الأندلس كطائفة دينية لها مذهب معين واضح : ذلك هو موضوع كتب أبي حامد الغزالى ، فإن الوثيقة تحرم على الناس تداوتها ، وقد ذهب نفر من الباحثين إلى أن موقف الدولة المرابطية من تأليف الغزالى كان من أسباب ثورة المریدين ، فلو أن ذلك كان حقاً لأشارت إليه الوثيقة ، مع أنها صدرت وهي في مطلع نشاطهم ومبادئ الكفاح بينهم وبين المرابطين .

وننصف إلى ذلك أننا لا نجد ذكراً لأولئك المریدين وحركتهم الدينية في أي من الوثائق التالية ، والكثير منها رسائل شخصية بين نفر من أعلام الأندلسيين بعضهم وبعض ، وهم يتحدثون فيها عن أحوالهم وأحوال من حولهم وما حولهم ، فلا نجد في ذلك كله إشارة واحدة إلى المریدين ومذهبهم ، مما يقوى الظن في أن حركتهم كانت ستاراً مؤقتاً اخندوه ريثما تم لهم ما أرادوا من إخراج المرابطين والاستبداد بنواحي غرب الأندلس فترة لم تطل ، إذ أن الموحدين لم يلبثوا أن حلوا محل المرابطين في جزء مما كان بقى من الأندلس الإسلامي إذ ذلك ، واستولى النصارى على جزء آخر كما كان متوقراً .

\* \* \*

وهذه الوثائق التي نقدمها تترجم كلها إلى هذه الفترة ، فهي تقع في الفترة الأخيرة من أيام على بن يوسف المرابطى ثم ابنه تاشفين بن على وما أعقب ذلك من سنوات الفوضى التي انقضت بين زوال أمر المرابطين في الأندلس وقدوم الموحدين وهى فترة سبق أن ذكرنا أننا لا نعرف من تفاصيلها في الأندلس إلا الهيكل العام للتطورات السياسية السريعة المتلاحقة التي احتشدت فيها وترجم نفر من شارك في هذه الأحداث ، أما حقيقة الأمر في الأندلس ، وأحوال الناس ،

وموقفهم من هذه السكوارث المتلاحقة التي حلت ببلادهم ، والعدو ينخطفها واحدة فواحدة ، هذا كله لا نعرف عنه شيئاً على الإطلاق .

من هنا كانت أهمية هذه المجموعة التي أقدمها فيما يلي ، فهي قطع سياسية تلقى ضوءاً على بعض ما كان بين رجال هذه الحقبة من علاقات ، وقد بيّنت مجموعةأخيرة من ست وثائق هي مراسلات تطلعنا على أحوال الناس وتعرفنا بمشاعرهم وما كان يعتور ثوبيهم من الخاوف والآلام في هذه الحقبة الحافلة بأسباب القلق . وقد رأيت أن أرجي نشرها إلى مرة تالية لأن الحيز لا يتسع ، وإن كان نشرها هنا إلى جانب الوثائق السياسية يعتبر مكملاً لها ومعيناً على فهم الفترة كلها .

وهذه المجموعة تتكون من الوثائق التالية :

- ١ — منشور صادر من ديوان الإنشاء المرابطي على أيام تاشفين بن على ابن يوسف ، وفي العشر الأولى من جمادى الأولى ١٤٣/٥٣٨ على وجه التحديد إلى أهل بلنسية ، يقدم إليهم فيه توجيهات دينية وإدارية وينص على إحراق كتاب أبي حامد الغزالى .
- ٢ — خطاب لأبي عبد الله بن أبي الحصال كتبه عن على بن يوسف ابن تاشفين إلى حامية المرابطين بلنسية ، ينوه بهم فيه على قعودهم عن لقاء النصارى وأنهزامهم أمامهم .
- ٣ — كتاب لأبي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى إلى أبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز يهنهه باستعادة المرابطين بلنسية .
- ٤ — كتاب أنشأه الكاتب ابن حسان عن أبي عبد الله بن ورقا إلى أبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز الآف الذكر يهنهه بفتح حصن يسمى كوالية .
- ٥ — خطاب يغلب أنه لأبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز إلى عبد الرحمن بن عياض عند قتل أبي عبد الله محمد بن فرج الشغري .

- ٦ — خطاب من عند ابن عبد العزيز على لسان أهل شاطبة إلى أهل مرسية يعرفهم فيه بقدرهم وينذّرهم بخدماته ويخذلهم من الاستماع إلى ابن أبي جعفر.
- ٧ — خطاب إلى أبي عبد الله بن سعد بن مردانيش على ألسنة أهل شاطبة.
- ٨ — رسالة إخوانية لابن طاهر إلى ابن عبد العزيز.
- ٩ — كتاب صك بتعيين قاض.

### الوثيقة الأولى

يمكننا أن نعتبر هذه الوثيقة من أهم ما لدينا عن العصر المرابطي على الإطلاق . وأهميتها لا تتبدي للمعنى بتاريخ المرابطين وحده ، بل لدارس تاريخ إسبانيا في القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادى ، الذى سماه منندذ بيدال عصر السيد ، ولدارس تاريخ الفكر فى الأندلس والمغرب ، ولدارس تاريخ الغزالى ، ولنتبع تطور الآراء الأساسية التى قامت عليها دعوة محمد بن تومرت . وهى تفتح لكل من هؤلاء باباً من أبواب الكلام : فاما بالنسبة لدارس تاريخ المرابطين ، فيهذه الوثيقة تدعوه إلى أن يعيد النظر فى كل ما قيل عن عقيدة المرابطين وما اتهموا به ، وعلاقتهم بالغزالى وبآرائه ، وأما دارس تاريخ إسبانيا في « عصر السيد » فهو واجد هنا ضوءاً يسيراً على أحوال بلنسية بعد استرجاع المرابطين إليها بعد موت السيدة شيانة زوج السيد في ٤٩٦/١١٠٢ ، في حين أن دارس الفلسفة الإسلامية يستوقف انتباذه ذلك التحرير الصريح الذى تصدره الوثيقة لدراسة كتب الغزالى في نواحي الدولة المرابطية في المغرب والأندلس ، وهذا بدوره يعني المهم بدراسة دعوة محمد بن تومرت وما تضمنته من آراء سياسية .

وقد سبقنى إلى دراسة هذه الوثيقة والتعليق عليها — دون نشرها — الأب داريو كابانيلاس ، فنشر عنها تعليقاً عظيم الفائدة ، انتفت بالكثير مما فيه<sup>(١)</sup> .

Dario Cabanelas: *Notas para la historia de Algazel en España (Al-Andalus)* (١)

XVII, ١٩٥٢, fasc. ١ pp. ٢٢٣—٢٣٢).

ولا يتسع المقام هنا للدراسة علاقة المرابطين — والموحدين من بعدهم — بأبي حامد الغزالى وكتبه ، وهو موضوع تناوله الكثيرون من أعلام المستشرقين دون أن يصلوا في أمره إلى رأى يطمئن إليه الدارس اطمئناناً تاماً ، ودون أن يوضحوا لنا — على الأقل — كيف أن المرابطين ، الذين رضى عنهم الغزالى أول الأمر رضا حفظه — فيما يقولون — إلى محاولة الهجرة إليهم ، ينقلبون عليه إلى درجة تجعلهم يأمرتون بإحرق مؤلفاته وتحريمهما . ويزيد الأمر تعقيداً إذا علمنا أن المؤرخين ينسبون هذا الانقلاب إلى على بن يوسف ، الأمير المتدين التقى المجاهد ، الذى لا يتوقع الإنسان أن يصدر عنه مثل هذا الأمر الغريب<sup>(١)</sup> .

ولكن هذا التحريم الذى لا يكاد العقل يقبله حقيقة لا شك فيها<sup>(٢)</sup> ، بل نستطيع تحديد تاريخ صدوره على وجه التقرير : ففي سنة ١١٠٦/٥٠٠ تولى على بن يوسف أمر الدولة المرابطية ، وفي سنة ١١١٤/٥٠٨ توفى أبو القاسم محمد ابن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الذى يقال إنه تزعم الفقهاء فى الفتوى بأن كلام الغزالى فى كتبه منحرف عن الإيمان الصحيح<sup>(٣)</sup> ، وأنه لا بد لهذا من

(١) انظر بصفة خاصة :

Ignas Goldziher, *Mohammad Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le Nord de l'Afrique au XI<sup>e</sup> siècle* (Alger, 1903) pp. ١٢ sgg.

Duncan B. Macdonald, *The life of al-Ghazzali* Apud *Joural of the American Oriental Society*, XX (1899) pp. ١١٥—١١٢.

Francisco Codera, *Decadencia y desaparición de los Almorávides en España* (Zaragoza, 1899) pp. ٢١٥—٢١٦.

ومقال داريyo كابانيلاس الآتف الذكر ، ص ٢٢٤ والهوامش .

(٢) انظر : عبد الواحد المراكشى ، الموجب فى تلخيص أخبار المغرب ، طبعة محمد سعيد العريان و محمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٧٣ و ١٧٩ . وأبا الحجاج يوسف بن محمد بن طموس : كتاب المدخل لصناعة النطق ، طبعة آسین بلاطیوس ، مدريد ١٩١٦ ، ص ١١—١٢ .

(٣) قال ذلك السلاوى فى الاستقصا ، الطبعة الأولى ، ج ١ ، ص ١٣٩ . وقد وفى السلاوى هذه النقطة فى تلك الصفحة . وانظر تعليق كوديرا فى مرجعه الآتف الذكر ، ص ٣٥٧ وما يليها .

ويعلن القول أيضاً بأن ذلك التحريم صدر فيها بين سنتي ٥٠٠ و ٥٠٥ لأنه صدر فى ولاية على بن يوسف (وتبدأ سنة ٥٠٠) وفى حياة الغزالى (وتنتهى سنة ٥٠٥) بدليل أنه دعا — في يقولون — على من حرم كتبه وأمر بحرقها .

صيانته عقيدة الناس بالحيلولة بينهم وبين قراءتها بإعدامها وتحريم تداولها وتهديده من لديه شيء منها ، وما إلى ذلك من وسائل القمع والإرهاب .

ولا نملك — مع الأسف الشديد — نص الأمر الرسمي الأول الذي صدر بتحريم هذه الكتب ، ولكن لدينا صورة أحد الأوامر التالية له مما كانت الإدارة المرابطية توجهه إلى النواحي من كتب التعليمات ، وهي تلك التي نقدمها هنا ، فهي خطاب صادر عن تاشفين بن على بن تاشفين أرسله من موضع يسمى كرناطة إلى أهل بلنسية بعد استعادة المرابطين إياها في شعبان ٤٩٥ / أوائل مايو ١١٠٢ .

وقد ذهب كابانيلاس إلى أن هذه الرسالة لابد أن تكون نتيجة لوفود جماعة من أهل بلنسية على تاشفين بن على بن يوسف في مقامه بكرناط وإبلاغهم إياها بما بدا من طلائع الثورة على المرابطين في الأندلس ، فلما فصلوا من عنده زودهم بهذا الخطاب إلى عامة أهل بلنسية تثبيتاً لقولهم . وليس في الخطاب ما يسمح بهذه الفروض كلها ، وإن كنا لا نستبعد من ناحيتنا أن يكون إصدار ديوان الإشاء المرابطي لهذه الرسالة نتيجة لما تراى إلى رجال الدولة من بدء القلاقل في الأندلس . وقد كان الصراع بين الموحدين والمرابطين إذ ذلك في المغرب على أشدّه ، وكانت طلائع الثورة في الأندلس قد بدأت تظهر .

والخطاب أشبه بوصاة دينية ، فمعظم فقراته تدور حول الحض على الصلاة والصوم والزكاة وما إلى ذلك . ولكن الفقرة التاسعة منه على جانب عظيم من الأهمية ، وهي التي تعنينا هنا ، فهي تنص على أن مدار الفتيا في بلاد الدولة المرابطية على مذهب مالك وحده ، وتحذر الناس من البدع وكتبها وأصحابها « وخاصة كتب أبي حامد الغزالى » .

وإليك الوثيقة بنصها :

٥٣٨      «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ      صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا . مِنْ  
أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرِ الدِّينِ تَاشْفِينَ بْنَ عَلَى بْنِ يُوسُفِ بْنِ تَاشْفِينَ .

إِلَى وَلِيِّهِ فِي اللَّهِ تَعَالَى ، الْأَعْزَى الْأَكْرَمُ الْأَحْظَى فِي ذَاتِ اللَّهِ لَدِيهِ أَبِي  
زَكْرِيَا يَحْيَى بْنَ عَلَى ، وَالْفَقِيهُ الْقاضِي أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ جَحَافٍ<sup>(١)</sup> ، وَسَائِرِ الْفَقِيهِ  
وَالْوَزَرَاءِ<sup>(٢)</sup> وَالْأَخْيَارِ وَالصَّلَحَاءِ ، وَالْكَافِةَ بِالْبَلْسِيَّةِ ، حَرْسِهَا اللَّهُ ، وَادَّامَ  
كَرَامَتِهِمْ بِتَقْوَاهُ .

سَلَامٌ مَبُورٌ كَرِيمٌ مُرَدَّدٌ عَمِيمٌ عَلَى جَمِيعِكُمْ ، وَرَحْمَتُ<sup>(٣)</sup> اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ ،  
وَبَعْدَ : إِنَّ كَتَابَنَا إِلَيْكُمْ ، كَتَبْكُمُ اللَّهُ مِنْ آثَارِ الْحَقَّ وَاتَّبَعَ سَنَنَهُ ، وَادْرَعَ  
الْحَرْمَ وَلَبِسَ جَنَّنَهُ ، وَسَمِعَ الْقَوْلَ وَاتَّبَعَ أَحْسَنَهُ ، وَحَفَظَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي  
يَسَّرَهُ لِلذَّكْرِي وَبَيْتِهِ [١١ ب] وَجَعَلَنَا وَإِلَيْكُمْ مِنْ جَمَّلَهُ بِتَقْوَاهُ وَزَيْنَهُ ، مِنْ  
مُتَاخِنَا بَكْرَنَطَة<sup>(٤)</sup> ، فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ جَمَادِيِّ الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ  
وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَبَخَمْدَ اللَّهِ مِنْ صَحِيفَتِنَا هَذِهِ صَدْرُهَا الْأَكْرَمُ ، وَكُلُّ قَوْلٍ فَبَعْدَ  
ذَلِكَ يَتَرَبَّ وَيَتَنَضَّمُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَارِ : كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبَدِّأُ فِيهِ بِذَكْرِ اللَّهِ  
فَهُوَ أَجْدَمٌ .

(١) لم يرد ذكر هذين الشخصين في معاجم التراجم . والثانى منها سليل بيت حجاف المشهورين  
في بلنسية ، ومنهم أبو جعفر أحمد بن جحاف الذى استشهد على يد السيد القميطور حرفاً .

(٢) هذا المصطلح هنا طريف فى ذاته ، والمراد به «أهل الرأى» من البلنيين ، وهو تطور  
ظاهر فى معنى لفظ «وزير» فى الأنداز . هذا ويستبعد أن يكون المراد هنا «رجال بيت المال»  
تابعاً لما نعرف من تطور وظيفة الوزير إلى وظيفة عامل المال أو الموكل بالمسائل المالية فى البلد ، لأنَّه  
إذا كان المراد ذلك لما ذكرت الوثيقة اللفظ بصيغة الجمع ، لأنَّ انعداد جرت بآلا يكون فى البلد إلا  
«وزير» واحد ، أى عامل لشئون المال فى ذلك العصر .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) يكتب هذا الموضع : كرنطة وكرنطة وكرنطة وكرنطة ، جبل صغير فى  
سلسلة المرتفعات بين نمسان وسبنة ، أنشأ المرابطون فيه حصناً يحمل نفس الإسم أشلاء صراعهم مع  
الموحدين . انظر البيانات الوافية عن هذا الموضع فى مقال داريو كابانيلاس المذكور ، ص ٢٢٧—٢٢٥

وبعد أن نَسْتَوْفِي واجب الحمد والشكر ونذكُر زَعْمَه السابقة ، صَلَّيْنا أَجْمَلَ الذِّكْر ، فَسَلَّمَ اللَّهُ تَوْفِيقًا قَابِدًا إِلَى الرَّشْد ، وَقُوَّةً عَلَى طَاعَتِه تَحْمِلُ بَهَا مَنْ تَلَزَّمُنَا رِعَايَتِه عَلَى الْمَبْرُجِ الْأَفْضَلِ وَالسَّنَنِ الْأَحْمَدِ ، وَنَسْتَمِيدُه مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَع ، وَدُعَاءٌ لَا يُسْمَع ، وَمَوْعِظَةٌ لَا تَنْفَعُ وَسَجْيَةٌ لَا تُطْعَع ، وَهُوَ<sup>(١)</sup> يُتَبع . وَنَصْلٌ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي طَهَرَهُ تَطْهِيرًا ، وَأَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بِشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، فَبَيْنَعَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَهَدَاهُ ، وَصَبَرَ عَلَى مَشْقَةِ الْبَلَاغِ وَأَذَاهُ ، وَلَمْ يَخْشَ أَهْدَاهُ إِلَّا الَّذِي رَجَاهُ ، إِلَى أَنْ بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَالدِّينَ مَدَاهُ ، وَانْتَبَى مُنْثَثٌ أَمْتَهُ إِلَى مَا كَانَ اللَّهُ لَهُ زَوَّاهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى تَحْبِيهِ الَّذِينَ ذَبَّوْا عَنْ هَذَا الدِّينِ وَحَمَوْا حِمَاهُ ، وَوَالَّوْا مِنْ وَالَّاهِ ، وَعَادُوا مَنْ عَادَاهُ .

وَمَا كَانَ ، أَعْزَمُ اللَّهُ ، الدِّينُ يُنْعَتُ بِالنَّصِيحَةِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَالذِّكْرِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَبَ أَنْ تَتَخَذَ لَكُمْ مِنَ الْمَوْعِظَةِ بِهِ أَنْفُسَهَا الَّذِي مُرِئُهَا فِي الْعَاقِبَةِ حُلُونَ ، وَأَحْفَضُ مَرَاتِبَهَا فِي اللَّهِ عُلُونَ ؛ فَاعْمَلُوا ، أَعْلَمُكُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَقْامُكُمْ مَقَامًا يُرْدِيكُمْ ، أَنْ أَقْرَبَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ أَحْنَاهُمْ عَلَى عِبَادَهُ ، وَأَحْمَصُهُمْ لِلنَّصِيحَةِ هُمْ بِمَبْلَغِ جِدَّهِ وَاجْتِبَادِهِ ، وَأَنَّ أُولَئِكُنَّ النَّاسُ بَنَا مَنْ طَابَ خَبْرُهُ ، وَكَرُمُ أُثْرُهُ ، وَحَسْنُ مَوْرِدُهُ فِي الْأُمُورِ وَمَصْدُرُهُ ؛ وَكَذَلِكَ «الْعَالَمُ» مِنْكُمْ وَ«الْقَاضِي» ، [١٢] وَفَقِيمُ اللَّهُ ، إِنَّمَا أَقْعِدَا بِذَلِكَ الْمَكَانِ خَيْرَ يَتَوْلِيَانِهِ وَشَرِّ يَرْدَعَانِهِ وَعَدْلٍ يَقْضِيَانِهِ ، فَلَيُقْدَمَ مَا أَوْلَى تَسْدِيدًا أَمْرِهَا ، وَلَيَنْظَرَا فِي إِصْلَاحِ أَنْفُسَهُمَا ، قَبْلَ إِصْلَاحِ غَيْرِهِمَا ، فَمَنْ لَا يُضْلِحُ أَمْرَ نَفْسِهِ لَا يُضْلِحُ سَوَاهُ ، وَمَنْ لَا يُسَدِّدُ أَمْرَهُ لَا يُسَدِّدُ أَمْرًا مَنْ تَوَلَّهُ . وَعَلَيْكُمْ أَجْمَعِينَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْتَّمْسِكُ بِعَصْمِ الْإِيمَانِ ، وَالْاسْتِعْانَةُ عَلَى حَوَالِيْكُمْ

(١) كَذَا فِي الأَصْلِ .

بالكمان ، والتنزه عن فلتات اليد واللسان . ولم تخل أمة من جاهلٍ وعلم ، ومعوجٍ وقويم ، فليردع المحايل العليم ، لينبه المعوجَ القومُ ، ولن يزالَ الناسُ بخير ما لم يتساووا ، فإذا تساووا هلكوا .

وأهم أموركم الصلاة ، التي هي سبيل العجالة لصالحها ، ولا حظ في الإسلام لتأريتها ، فالزموها في جماعاتها ، ولا تخليوا بشيء من مسوناتها ، ومفروضاتها ؛ وأخلصوا فيها لله العلي الأكبير ، واعلموا أنّها كما قال سبحانه « إنَّ الصلاةَ تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

وعليكم وفقكم الله بإصلاح ذات البين ، واعلموا الحق المخلص في الدارين ، وتحذير الرفقـا واتخـاب الجلسـا ، فإنـ مـثل الجـليس كـمثل القـين ، والـصاحب الصالـح قـوـة في الدـين وـقـرة في العـين .

وانتدبوا واندبوـا مـن قـبـلـكم للـجـهـاد ، الذي هو من قـوـاعـد الإـيمـان والـرـشـاد ، أمرـ الرحمن ، وفرضـ علىـ الـكـفاـيـة والأـعـيـان ، واتـصالـ الـمـهـدوـ بـفضلـ اللهـ ولـلـآـمـانـ . وقد جاءـ عنـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ قـالـ : « مـثـلـ الـجـاهـدـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ كـمـثـلـ الـقـاـيمـ الصـاـيمـ الـذـىـ لـاـ يـفـتـرـ عـنـ صـلـاـةـ وـلـاـ صـيـامـ » .

والـذـىـ نـأـخـدـ بـهـ عـهـدـ اللهـ عـلـىـ الـعـاـمـلـ مـنـكـمـ الرـفـقـ بـالـرـعـيـةـ ، وـالـحـكـمـ بـالـدـسـوـيـةـ . إـجـراءـ الـأـمـورـ عـلـىـ الـحـمـيدـ الـمـرـضـيـةـ ، فـهـىـ الـعـنـصـرـ الـذـىـ مـنـهـ الـاسـتـمـداـءـ ، وـالـأـصـلـ الـذـىـ بـشـوتـهـ تـعـمـرـ الـبـلـادـ [ ١٢ـ بـ ] وـتـتـوـفـرـ الـأـجـنـادـ ، وـيـتـمـكـنـ الرـبـاطـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ وـالـجـهـادـ ، وـلـيـعـلـمـ أـنـ الـعـدـلـ يـقـسـطـهـ ، وـالـجـورـ يـسـخـطـهـ ، وـقـلـةـ الـمـساـواـةـ تـشـتـتـهـ وـتـقـنـطـهـ . وـلـاـ سـبـيلـ أـنـ يـسـعـمـلـ عـلـيـهـ إـلـاـ مـنـ يـسـتـشـقـ جـانـبـهـ وـتـحـسـنـ الـأـحـدـوـةـ عـنـهـ . وـإـنـ ظـهـرـ أـحـدـ مـنـهـمـ بـنـظـرـ جـمـيلـ فـيـهـ ، وـكـانـ فـيـ نـفـسـهـ مـاـ يـحـقـيـهـ ، فـالـبـدارـ الـبـدارـ إـلـىـ عـزـلـهـ وـعـقـابـهـ وـالـتـشـدـيدـ فـيـهـ نـأـمـرـ بـهـ .

وـاعـلـمـواـ ، رـحـمـكـمـ اللهـ ، أـنـ مـدارـ الـفـتـيـاـ وـجـمـيـعـ الـأـحـكـامـ وـالـشـورـىـ فـيـ الـحـضـرـ وـالـبـدـاـ ، عـلـىـ مـاـ اـتـفـقـ عـلـيـهـ السـلـفـ الصـالـحـ ، رـحـمـهـمـ اللهـ ، مـنـ الـاقـتـصـارـ عـلـىـ

مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله ملك بن أنس ، رضي الله عنه ، فلا عدول لقاضٍ ولا مُفتٍ عن مذهبـه ، ولا يأخذ في تحليل ولا تحريم إلا به ، ومن حاد عن رأيه بفتواه ، ومال من الأمة إلى سواه ، فقد ركب رأسه واتبع هواه ، ومتي عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة ، وخاصة ، وفَقَدْكُم الله ، كُتُبْ أَبِي حَامِدِ الْفَزَالِيِّ ، فَلَنْ يَتَبَعَ أَهْرَاهَا ، وَلَنْ يَقْطَعَ بِالْحَرْقِ الْمُسَابِعَ خَبَرُهَا ، وَلَنْ يَبْحَثَ عَلَيْهَا ، وَلَنْ يَنْظَرَ الْأَيْمَانَ عَلَى مَنْ يُتَّهَمُ بِكُتُبِهَا<sup>(١)</sup> .

والمحرر ، نَزَّهَكُمُ اللهُ عَنْ خَبَائِثِ الْأَمْرِ ، الَّتِي هِيَ جَمَاعُ الْأَثْمِ وَالْفَجُورِ ، وَالبَابُ الْمُفْضِيُّ إِلَى سَوَاكِنِ الْفِسْقِ وَالشُّرُورِ ، فَاجْتَهَدُوا فِي شَأْنِهَا ، وَأُوعِزُوا فِي جَمِيعِ جِهَاتِكُمْ بِإِرَاقَةِ دِنَانِهَا ، فَقَدْ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَعْنَ اللَّهِ الْمُحْرِرِ وَعَاصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةِ إِلَيْهِ »

وَكَذَلِكَ نُوكِدُ الْعَهْدِ فِيهَا نُوصِي بِهِ دَائِيًّا مَا أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِي حُقُوقِ الْمُسَلِّمِينَ مِنَ الْأَعْشَارِ وَالزَّكَوَاتِ وَالْأَمْوَالِ الْمُفْرُوضَةِ لِلأَرْزَاقِ الْمُسَمَّاهِ ، فَلَيُؤْخَذْ مَا فَرَضَ اللَّهُ مِنْهَا فِي نَصَابِهَا الْعِلُومَ ، وَعَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالْتَّسْلِيمِ . وَكَذَلِكَ نُوكِدُ عَلَيْكُمْ أَتْمَ تَاكِيدَ [ ١١٣ ] أَمْرَ أَهْلِ الدِّرْمَةِ أَلَا يَتَصَرَّفُ أَحَدُهُمْ فِي أَمْرِ الْمُسَلِّمِينَ ، لَأَنَّهُ مِنْ فَسَادِ الدِّينِ .

وَالسَّلَامُ الْأَبْرُ الْأَكْرَمُ الْأَخْطَرُ عَلَى جَمِيعِكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، وَعَلَى مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسَلِّمِينَ » .

(١) فِي مُقَابِلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي الْهَامِشِ الْأَيْمَنِ ، تَبْدِأُ عِبَارَةً كُتُبَتْ مِنْ أَسْفَلِ إِلَى أَعْلَى ، وَتَدُورُ مَعَ الصَّفَحَةِ حَتَّى تَنْحِدُرُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلِ عَلَى الْيَسَارِ ، وَهِيَ بِخَطِّ مُخَالِفٍ لِخَطِّ الْمُخْطُوطِ ، وَنَصَبَهَا : يَا كَاتِبُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، إِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ أَنْ تَكْتُبَ مَقَالَاتٍ [٦] . لَا تَنْسَخْ هَذِهِ الْكَلَمَاتِ (اقْرَأْ : الْكَلَمَاتِ) الَّتِي أَشَارَ بِهَا إِلَى كُتُبِ أَبِي حَامِدِ الْفَزَالِيِّ ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِرِبِّكُتُهُ ، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ . إِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ ! وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْمَهْدِيَّ .

### الوثيقة الثانية

تنص من هذه الوثيقة خطاباً مشهوراً، أشار إليه عبد الواحد المراكشي، وأورد قطعة منه، وأشارت إليه في بحث سابق.

وقد حكى لنا عبد الواحد المراكشي خبر هذه الرسالة في سياق كلامه عن الأديبين المعروفين أبي مروان وأبي عبد الله ابن أبي الحصال، فقال: «فلم يزل أبو عبد الله [بن أبي الحصال] هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين، إلى أن آخر أمير المسلمين أبو مروان عن الكتابة، لوحِدَةٍ كانت منه عليه، سببها أنه أمره وأخاه أبو عبد الله أن يكتبوا عنه إلى جند بلنسية، حين تخاذلوا وتوكلوا حتى هزمهم ابن ردمير — لعنه الله — هزيمة قبيحة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك، وهي رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها، أحسنَ فيها ما شاء، معنى من إيرادها ما فيها من الطول، وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض، أخفَ فيها على المرابطين وأغلوظ لهم في القول إكثار من الحاجة، فمن فصولها قوله:

«أيُّ بنى اللثيمَ، وأعيارَ الهزيمةَ، إلامَ يرِيفُكم الناقدَ، ويرِدُكم الفارسَ الواحدَ؟ فليتَ لكم بارتباطِ الخيولِ ضئلاًّ لها حاليب قاعدَ. لقد آنَّ أنْ توسعُكم عقاباً، وألاَ تَلُوْثُوا على وجهِ نقاباً<sup>(١)</sup>، وأنْ نعيدهُم إلى صحرائكم، ونظهرُ الجريمةَ من رحصائكم . . .»

في أمثال هذا القول، فاحنق ذلك أمير المسلمين وأخرجه عن كتابته، وقال لأبي عبد الله أخيه: «كنا في شك من بعض أبي مروان المرابطين، والآن قد صح عندنا». فلما رأى ذلك أبو عبد الله استغفاره فأغافله، ورجع إلى

(١) يعني ألا يضعوا ثياماً على وجوههم، والشام شعار لتونة وبه يسمون «المثمرين»، كما يسمون «المرابطين» (هذا التعليق موجود في الطبعة التي أخذنا عنها هذه الفقرة. وسيرى القارئ أن قراءتنا للوثيقة الأصلية تختلف عن ذلك).

قرطبة بعد ما مات أخوه أبو مروان بِرْمَاكش . وأقام هو بقرطبة إلى أن استشهد في داره — رحمة الله — أول الفتنة الكائنة على المرابطين<sup>(١)</sup> .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هذه الرسالة تكشف عن هذا الصفن الخفي الذي امتلأت به قلوب الكثيرين من الأندلسين على المرابطين . ونصيف الآن أن هؤلاء الكارهين للمرابطين لم يكونوا أول الأمر ليخرجوا عن رجال دول الطوائف الذاهبة من ناحية ومن التف حولهم من كانوا يعيشون من رفدهم ، أو عيلا عليهم من ناحية أخرى أو من ذُكرروا ما بلغه الفقهاء من عظيم المكانة والسلطة أيام المرابطين ، وعسفهم الناس واحتاجتهم الأموال ، على سابق عهدهم أيام الإمارة الأموية من ناحية ثالثة .

وهذه الرسالة تكشف لنا عن مشاعر هؤلاء الحاقدين من الأندلسين بصورة لا تحتاج إلى مزيد بيان ، وتبيّن لنا كذلك الحجج التي كانوا يتذرون بها في الجملة على المرابطين ، وما كانوا يرددونه في مجالسهم إذا خلا بعضهم إلى بعض وتناجوا بما تضمّه جوانحهم من كراهيّة للمرابطين ، غير عالمين أن مصير الإسلام الأندلسي كله كان إذ ذاك مرتبطاً بوجود المرابطين أو غيرهم من جند الغرب في الميدان ، وأنه في اليوم الذي يكف فيه أولئك المغاربة عن الزياد عن الأندلس سيتلاشى أمر الإسلام فيه ، وأن وجود المرابطين — مها كانوا — أفضل من ترك البلاد بغير حماية ، ولكن الناس في هذه الأعصر طبعوا على قصر النظر والأنانية والعصبية .

وقاريء هذه الرسالة يفهم السبب في نفور على بن يوسف بن تاشفين من أبي مروان بن أبي الحصال بعدها ، لأن هذا الأخـير انهز الفرصة ليحمل على المرابطين ، منفساً عما في نفسه ونفوس إخوانه من الأندلسين ، وليفارهم بقومه

(١) عبد الواحد المراكشي : العجب في تلخيص أخبار الغرب ، ص ١٧٦ . ويلاحظ أنه يقول إن كاتب الرسالة أبو مروان بن أبي الحصال ، والحقيقة أنها لابن أخيه أبي عبد الله كما يرى هنا بوضوح .

من طرف خفي . وقد أسرف ابن أبي الخصال في ذلك إسراهاً جاوز حد الإشارة والتعريف إلى النم الصريح ، وإنه من دلائل حلم على المرابط أنه اكتفى في عقاب الكاتب بما فعل ، وما رأينا في كلام عبد الواحد المراكشي .

وها هو نص الرسالة :

٥٣٨

١١٣ « من أمير المسلمين وناصر الدين ، أما بعد ،

يافرقَةَ خَبِيتَ سَرَايْرُهَا ، وَانتَكَتْ صَرَايْرُهَا ، وَطَافِيَةَ اتَّفَخَ سَحْرُهَا ، وَغَاصَ عَلَى حِينِ مَرَّةٍ بَحْرُهَا ، فَقَد آنَ اللَّعْنَمُ أَنْ تَفَارِقُكُمْ ، وَلِلْأَقْدَامِ أَنْ تَطَأْ مَفَارِقَكُمْ ، حِينَ رَكِبْتُمُوهَا جَلَوَاءَ عَارِيَةَ ، وَأَصْبَحْتُمُ فِي ادْرَاعِ عَارِهَا أَمْثَالًا سَوَاسِيَةَ ، وَاخْتَاطَتِ الْمَرْعَى مِنْكُمْ بِالْهَمَّلِ ، فَمَا يَتَبَيَّنُ إِلَّا نَقْصٌ مِنَ الْأَكْمَلِ ، فَطَأَطَأْتُمُ لَهَا رُؤُسَ عَشَائِرَكُمْ ، وَقَضَيْتُمُ بِالْفَسُولَةِ<sup>(١)</sup> عَلَى سَيِّرَكُمْ . لَا جَرَمَ أَنْ قَدْ صَرَّتْ تَمَرَّ الدَّيْرِيَّ ، وَالْأَحَادِيثُ الْمُلْعَنَةُ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَّ ، بِمَا خَامَرَكُمْ مِنَ الْجَبَنِ وَالْخَوْرَ ، وَاسْتَهْوا كُمْ مِنْ لَقَاءِ عَدُوِّكُمْ بِالْجَانِبِ الْأَزُورِ ، لَا تَوَاجِهُونَهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَلَا تَعْطُونَهُمْ حُمَّةَ حَيْنٍ ، بَلْ تَعْطُونَهُمُ الظَّهُرَ هَنِيَا مَرِيَّا ، وَتَتَخَذُونَهُمْ وَرَاءَكُمْ ظَهِيرِيَّا ، وَالرَّمَاحُ نَحْوَكُمْ لَمْ تُشْرَعْ ، وَالخَلِيلُ لَمْ تُسْرَعْ ، وَالنُّفُوسُ فِي حِيَاضِ الْمَنِيَّةِ لَمْ تُكْرَعْ ، فَإِنَّكُمْ ثُلَّةٌ ذِيَابِهِمْ وَفَرِيسَةُ أَنْيَابِهِمْ ، قَدْ نَعَمُوا فِي بُوْسِكُمْ ، وَنَاهَضُوكُمْ بِلُبُّوْسِكُمْ ، وَحَارَبُوكُمْ عَامًا عَلَى إِثْرِ عَامٍ حَتَّى أَنْزَقُوكُمْ ، وَتَرَكُوكُمْ أَسْلَحَ مِنْ حَبَارَى ، وَأَشَرَدَ مِنْ نَعَامَ . فَالآنَ حِينَ مَلَأْتُمُ أَيْدِيهِمْ مَتَاعًا ، وَوَادَيْهِمْ سَلاَحًا وَكَرَاعًا ، قَدْ غَزَوْكُمْ فِي عُقُورِكُمْ ، وَأَذَاقُوكُمْ وَبَالَّا أَمْرَكُمْ ، فَلَذَّتُمُ بِالْجَدَرَانِ وَبَؤْتُمُ بِالنَّدَامَةِ وَالْمَسْرَانِ . يَا بَغَايَا بَنِي الْأَصْفَرِ ، وَسَجَّا يَا ذَوَاتِ الدَّلَّ وَالْخَفَرِ ، أَكَرِيمُهُمْ زَحَافُهُمْ ، وَكُنْتُمْ — عَلَمْ

(١) وَرَدَ فَوْقَ هَذِهِ الْكَلَمَةِ : الْضُّفُفُ .

الله — أضعافهم؟ أني لكم بالمعذرة ، وأين؟ وقد فرض الله الواحد منكم بالإثنين ، فقال : « إن تَسْكُنْ منكم مائة صابرٌ يَغْلِبُوا مائتين ». هذا ، وكلمتكم العلیٰ<sup>(١)</sup> ، وحَلُوْتُكُمُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَى<sup>(١)</sup> ، ما شئتم [١٣ ب] من صارِمٍ وطرفٍ ونَحْضُورٍ كَيْبَ وسَوَامٍ ، وَنَصَادِيْدَ وَخِيَامٍ .

فيما أسفًا للحق يدمغه الباطل ، والحال يَبْهُرُ العاطل ! لا بالخنيفية تَحْرَرُّتُمْ ، ولا إلى الحفظة والإباء تَحْزِيزُتُمْ . ليت شعرى ، بما إذا تَقْلَدُّتُمُوها هندية واعتقلتُمُوها سَهْرِيَّة خَطْيَة ، ورَكِبْتُمُوها جُرْدًا سوابق ، وملكتُمُوها مغاربَ ومشارق ؟ ثاونين في غير عدادكم ، مُتَنَزَّين على أضدادكم يؤدون الإتاوة إليكم حين أَشْرَقْتُمُوهُم بالهوان ، وأنتم فيهم غرباء الوجه واليد والسان ، وصَرَرُوكُم عبيد العصى ، ولستم بالأكثرين منهم حَصَى<sup>(٢)</sup> ، بل شرذمة قليل نفعها ، كثير تَجْعُلُوها . فيما عجبًا لـنَهْولكم ، شبانكم وكهولكم ، تأكلون تمراها ، ولا تصلوُن بَحْرها ، وتدهبون بـجَلَائِهَا ، ولا تصبرون على لاؤها ؟ أى بني اللئيمة ، وأعيار المزيمة ، إلى مَ يَرِيْعُكُمُ الناقد<sup>(٣)</sup> ، وَيَرِدُّكُمُ الفارس الواحد :

إِلَى مَ يَرِيْعُكُمُ الناقد	أَلَا هُل أَتَاهَا عَلَى نَأِيَهَا
وَيَرِدُّكُمُ الفارسُ الواحدُ	فَرَدَكُمْ فَارسٌ وَاحِدٌ
بِمَا فَصَحَّتْ قَوْمَهَا غَامِدٌ	فَلِيتْ لَكُمْ بارتباطِ الْخَيْوَانِ
كَسَّانِيْمَ مَائِنَى فَارسٌ	ضِئَانًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدٌ <sup>(٤)</sup>

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الهاشم : وليسوا بالأكثرين منكم حصًا ، وهو الأصح .

(٣) كذا في الأصل بوضوح . وهذه الفقرة من الرسالة هي التي أوردتها عبد الواحد المراكشي (ص ١٧٦) وقد وردت هذه العبارة هناك : إلام يَرِيْفُكُمُ الناقد ، وهي أقرب إلى الصحة . ولكن لا بأس كذلك بقراءتنا هنا ، لأن من معنى النقد التقر والضرب واللاسع — انظر أساس البلاغة مادة « نقد » — وبيديننا فيها نقول أن نفس العبارة سترد في أبيات شعر فيما بعد ، والبيت لا يستقيم إلا إذا قرأناها : يَرِيْعُكُم .

(٤) أورد الناسخ هذه الأبيات سرداً دون تنبية إلى أنها شعر ، فلم تبتصيرها .

وَنَ لِرَعَاةِ الْإِبْلِ بِالْجَدَّ الْمُقْبِلِ ؟ لِقَدِمَاً مَا أَذْهَبْتُمُ التَّالِدَ وَالظَّارِفَ ، وَعَجَباً عَجِيْبًا مِنْ جُذَامِ الظَّارِفِ ! وَأَنْتُمْ قَدْ قَدَحْتُمْ فِي مُلْكَنَا ، وَأَذْرَتُمْ بِاَنْتَشَارِ سُلْكَنَا ، فَلَوْلَا مَنْ لَدِينَا مِنْ ذُوِّيْكُمْ وَضَرَاعَتْهُمْ إِلَيْنَا فِيْكُمْ ، لَا لَحْقَنَا كَمْ عِجَلَ بِصَحْرَايِكُمْ ، وَطَهَرَنَا الْجَزِيرَةَ مِنْ رُحْضَايِكُمْ ، بَعْدَ أَنْ نُوسَعَكُمْ عَقَابَا ، وَكَنْهُدُ<sup>(١)</sup> أَنْ لَا تَأْتُوا عَلَى وَجْهِ نَقَابَا . فَاللَّوْمُ تَحْتَ عَمَائِكُمْ ، وَالْوَاهْنُ وَالْفَشَلُ طَى عَزَائِكُمْ ، لَا كُنْ مَا جُبِلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَنَاءِ ، وَتَوْخِيْنَاهُ قَدِمَاً مِنْ إِيقَاظِ ذَوِي الْمُلْكَاتِ ، يَكْفُنَا عَنْ اسْتِيْصَالِكُمْ ، وَيَحْمِلُنَا عَلَى شَحْذِ نِصَالِكُمْ .

فَاسْتَنْسِرُوا يَأْنِغَاثَ الْمَيْجَا ، وَاسْتَئْسِرُوا ، بَعْدَ الرِّجا ، وَاحْذِرُوا [١٤] حِلَاماً أَغْضِبْتُمُوهُ ، وَوَادِيَاً مِنَ الصَّبَرِ أَنْضِبْتُمُوهُ ، وَتَوَقَّوْا صَدْرَاً أَحْرَجْتُمُوهُ ، وَلِيَثَا مِنْ أَجْهَتِهِ أَحْرَجْتُمُوهُ . وَإِيمُونَ اللَّهِ تَقْسِمُ إِنْذَارَاً بِكُمْ ، وَإِعْذَارَاً لَكُمْ ، لَنُورِدَنَ الْفَارَّ مِنْكُمْ مِنَ الزَّحْفِ مَا عَافَهُ مِنْ مَوَادِدِ الْحَتْفِ ، وَلَمْتَجَاؤَنَ السُّوَطَ إِلَى السِّيفِ ، وَلَنْبَدَلَنَ الْمَعْدَلَةَ فِيْكُمْ بِالْخَيْفِ ، فَلِيُعْلَمَ الْمَقْدِمُ الْحَبْجَمُ مِنْكُمْ عَنِ الْإِقدَامِ ، أَنَّهُ سَلَمَ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ ، وَتَخَطَّى مَصْرَعَ الْأَسَدِ الْبَالِسِلَ إِلَى جِذْعِ مَائِلٍ ، وَشَهَادَةُ الْأَبْرَارِ إِلَى مَشْهَدِ الدُّلُّ وَالصَّغَارِ ، كَمَا أَنَّ مَنْ أَصْبَبَ مِنْكُمْ فِي حَرَبِ ، أَوْ أَبْلَى بَطَعَنَ أَوْ ضَرَبَ ، خَلَفَنَاهُ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَبَعْنَاهُ الْأَثْرَةَ وَالْكَرَامَةَ يَدَا بِيَدِ ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَعْتَابِكُمْ وَانْصُرُوا ثَوْبَ الْخَرْزِيِّ عَنْ رِقَابِكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ حَمَى الْإِسْلَامَ .

كَمْلَ مَا كَتَبَ بِهِ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ ، الْكَاتِبُ الْبَلِيعُ  
الْأَرِيبُ ذُو الْوَزَارَتَيْنِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي  
الْخَصَالِ عَنْ أَمِيرِ الْمُسَلَّمِينَ »

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ بِوضُوحٍ .

### الوثيقة الثالثة

هذه رسالة «إخوانية» ذات طابع سياسي ، وهي صادرة من أحد أمراء فترة الطوائف الثانية ، وهو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى الذى انتزى بمرسيه إلى صنوه أبي عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز صاحب بلنسية ، بمناسبة استعادة المرابطين بلنسية من أيدي شيانة أرمالة السيد وأتباعه . وقد روينا في بحثنا عن السيد كيف حاول رجال السيد بعد وفاته الثبات لقوات المرابطين التي لم تكف عن مهاجمة البلد ومحاولة استرجاعه من أيديهم يقودهم القائد المرابطي الباسل أبو عبد الله محمد مزولى ، وقد يئس رجال السيد من استطاعتهم الاحتفاظ بالبلد إزاء الحاج مزولى عليهم بالحرب ، وبعثت شيانة بأسقف البلد جيروم دى بيرجور ليستصرخ ألفونسو السادس ملك أرغون فما قبل ورأى استحالة الاحتفاظ بالبلد ونصح بإخلائه ، فقام النصارى بإحراقه وخلفوه كوم رماد ، ثم انصرفوا عنه ودخله المرابطون في منتصف رجب ٤٩٥ / ٥ مايو <sup>(١)</sup> .

وهذا الخطاب يدل على وقوع هذا الحادث في قلوب مسامي الأندلس وقدراك ، فقد كان حادثاً سعيداً يتباذلون ل المناسبة التهنئات كما نرى من ذلك الخطاب . وجدير باللحظة أن هذين الرئيسين اللذين يتباذلان التهنئة ويتحدا عن « سعد أمير المسلمين وناصر الدين ، أدام الله تأييده » سيكونان من أوائل الشارعين عليه .

وها هو نص الخطاب :

(١) أنظر نص ابن الخطيب ، أورده دوزي في «أبحاثه» :

Dozy, *Recherches 3<sup>o</sup>*. vol. II, p. 196, et ap. XXXI pp. LXXII—LXXIII.

و Ramón Menéndez Pidal, *La España del Cid* (1<sup>st</sup> ed.) vol. II p. 619—620.

ومقالنا : السيد القميطور وعلاقته بالمسلمين (مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مجلد ٣ عدد ١ ، ١٩٥٠ ، ص ٧٧) .

٤٨٨  
٤٠٦ ب «وله<sup>(١)</sup> إلى الوزير أبي عبد الملك بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> عند استفتاح بلنسية :

أطل الله يقاك ووصل اعتلامك ، وجمي حوزتك وأرجاءك . كتبت — أعزك الله — منتصف الشهر المبارك<sup>(٣)</sup> ، وقد وافى بدخول بلنسية الفتح بعدما خامرها القبح ، فأضرم أكثراها ناراً ، وتركها آية للسائلين واعتبارا ، وعشتها سوادا ، **كأنما الْبِسْتُ حِدَادا**<sup>(٤)</sup> ، فهى تنظر من طرف خفى ، وتتنفس عن قلب يُقَلِّبُ على جر زكي . غير أنها يَقُولُ لها تُرْبَهَا الأَحْمَرُ ، والذى هو المسك الأذفر ، وحدائقها الفُلْبُ ، ونهرها العذب . ويسعد أمير المسلمين وناصر الدين ، أadam الله تأييده ، وإقباله عليها ينجلى عنها ظلامها ، ويعود إليها حلتها ونظمها ، وتغدو وتروح في الحالل ، وتبرز كالشمس في بيت الحمل ، فالحمد لله مالِكِ الملك ، مطهرا من الضلال والشرك ، وفي عودتها إلى الإسلام عن وعزماء عما نفذ » .

#### الوريقة الرابعة

هذه الرسالة تلقى بعض الضوء على الفترة السابقة لقيام الفتنة الثانية التي نحن بصددها .

فقد كتبت يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٢٢ ، أى قبل اندلاع نيران الفتنة الذى يحدد المؤرخون بتاريخ ثابت هو ٢٧ رمضان ٥٣٩/٢٣ مارس

(١) أى لأبن عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن طاهر القيسى . أنظر ترجمته في «الحادة السيراء» ، ص ٢١٦—٢٢٢.

(٢) هو أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز . أنظر ترجمته في «الحادة السيراء» ، ص ٢١٢—٢١٦.

(٣) منتصف رجب ٤٩٥ / ٥ مايو ١١٠٢.

(٤) هذه حقيقة تاريخية أجمع عليها مؤرخو النصارى والمسلمين ، فقد أحرق رجال السيد البلد وتركوه رماداً قبل أن يخلوه .

Cf: Dozy, *Recherches*, II, p. 195—196.

R. Menéndez Pidal, *La España del Cid* (١<sup>١</sup> ed.) II, p. 620.

١١٤٥<sup>(١)</sup> . وكاتب الرسالة أديب ترد له في ذلك المجموع رسائل أخرى ، كتبها عن أبي عبد الله بن ورقة الذي يغلب أنه كان من صنائع أبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز ، الذي سيتذمّر الفتنة في شرق الأندلس . وموضع الخطاب استرداد حصن يسمى كوالية من أيدي النصارى ، ولم يستطع تقويم موضعه ، وإن كنت أستطيع القطع بأنه كان من أحواز بلنسية ، مركز ابن عبد العزيز .

وكان ابن عبد العزيز إذ ذاك مجرد قاض للبلد ، لأن سلطان المرابطين كان لا يزال على أشدّه ، ولكن الذي يستوقف نظرنا أن أبو عبد الله بن ورقة الذي قام باسترداد الحصن يكتب إلى ابن عبد العزيز بهذا الأمر ، كأن ابن عبد العزيز كان سيد الناحية في ذلك الحين المبكر ، والكاتب لا يذكر المرابطين ولا يشير إلى أنه يعمل لحسابهم ولا لحساب ابن عبد العزيز ، كأنما كان يعمل لحساب نفسه ، وهو أمر غريب في بابه .

٤٨٨  
١٧٥

### رسالة

كتب بها ابنُ حسان عن أبي عبد الله بن وَرْقَةَ بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ مِنْ فَتْحِ  
كُوَالِيَّةِ إِلَى الْقَاضِيِّ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَفَقَهَ اللَّهُ رَحْمَهُ اللَّهُ

٤٨٨  
٤٧٥

أَطَالَ اللَّهُ بِقَلْأَهُ<sup>(٢)</sup> ، وَأَدَمَ نَعْمَلَهُ<sup>(٣)</sup> ، وَوَصَلَ سَرَائِهُ<sup>(٤)</sup> ، وَوَالِي ظَهُورِكَ  
وَاعْتَلَاهُ ، كَتَابِي أَعْزَكَ اللَّهُ عَشِّيَّ يَوْمَ الْجَمْعَةِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ جَمَادِيِّ الْآخِرَةِ سَنَةٍ

(١) هذا هو تاريخ وفاة تاشفين بن على بن تاشفين ، ويتحذّه المؤرخون تاريخاً اعتبارياً ليلاً الفتنة ، وإن كانوا في بعض الأحيان يجعلون افتتاحها اليوم الذي استبد فيه أبو جعفر مدين بن محمد ابن مدين بقرطبة وخطب لنفسه في مسجدها الأعظم . أظطر : الحلة السيراء ، ص ٢٩٢ ومناقشة التاريخ : ٢٩٢—٢٨٥ Codera, *Op. Cit.* p. 35.

(٢) كذا وردت الهمزات في الأصل ، والغالب أنها كانت تُنْطَقُ على التسهيل وتكتَب الهمزات صغيرة بأعلى الألفات .

ثنتين وعشرين وخمس مائة ، من حصن كُبُولية حَرَسَهُ اللَّهُ ، بعد أن سَهَّلَ اللَّهُ مِرْأَمَهُ واتَّاحَهُ ، وَسَنَّ لَنَا افْتِشَاهَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُولَاهُ ، لَرَبِّ سَوَاهُ ، وَلَا مُعْبُودٌ حَاشَاهُ . وَذَلِكَ أَنَّا وَصَلَّيْنَا إِلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ أَمْسِ كَتَابِي هَذَا فَأَنْجَنَا عَلَيْهِ ، وَأَحْدَقْنَا بِالْمُحَلَّاتِ الْمُؤَيَّدَةِ حَوَالَيْهِ ، وَلَمْ تَعُرَضْ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا كَانَ صَبِيَّةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُؤْرِخِ افْتَرَقَ الْقَتَالُ عَلَى جَمِيعِ نَوَاحِيهِ ، وَأَخْذَ كُلُّ عَامِلٍ جَهَتَهُ ، وَقَدْ نَاحَيْتَهُ ، وَقَدْ فَتَّهُ ، فَالْكُلُّ اجْتَهَدَ ، وَاسْتَفَدَ الْحَدُّ . وَلَمْ يَزِلِ السَّامُونَ يَتَغَلَّبُونَ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ تُسْمَّ أَعْلَاهُ ، وَحَصَّتْ دُعَوَةُ الْإِسْلَامِ فِي ذُرَّاهُ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهَا هَذِهِ الْمُسْرَةُ إِلَيْكُوكَ ، لِتَأْخُذَ مِنْهَا حَظْكَ الْأُوقَفِ ، وَتَضَرِّبَ فِيهَا بِالْقَدْحِ الْمَعْلَىِ . وَالرَّبُّ ، عَزَّ وَجَهُهُ ، يُوَالِي الْفَتَوَحَاتِ [ ]<sup>(١)</sup> الْمُسَرَّاتِ بِحُوْلِهِ وَطَوْلِهِ . وَأَقْرَأَ عَلَيْكُوكَ ، أَعَزَّكَ اللَّهُ ، أَعْطَرَ السَّلَامَ وَأَئْتَهُ ، وَأَحْفَلَهُ وَأَعْمَهُ ، وَرَحْمَتُ اللَّهُ تَعَلَّى وَبَرَكَاتُهُ»

### الوَنَاءُ الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ وَالسَّابِعُ وَالثَّامِنُ

هذه القطع الأربع تلقى ضوءاً مبيناً على تاريخ شرق الأندلس في هذه الفترة، وهي تترابط فيما بينها، لأنها صدى لهذه الفوضى الضاربة التي شملت شرق الأندلس في ذلك الحين وما ملاه من المنازعات والمنافسات بين الرؤساء وأدعياء الرياسة على السلطان على القواعد والمحصون، وخاصة بلنسية ومرسية وشاطبة.

وقد آثرت لهذا أن أجمعها معاً، وأن أجعل لها مقدمة واحدة هي عبارة عن تفصيل للحوادث التي عبرت بشرق الأندلس وبيان للدور الذي قامت به كبار الشخصيات التي ظهرت خلال هذه الفترة والتي سيجيء ذكرها في هذه الوثائق، وجعلت التعليقات الخاصة في هوامش الوثائق.

(١) بياض بالأصل.

ونبدأ برواية أحداث شرق الأندلس في هذه الفترة :

- ١ — بدأت الثورة العامة على المرابطين في الأندلس من الغرب ، وقد قام بها أبو جعفر أحمد بن قسي ومن تبعه من المريدين ، وبدأوا نشاطهم بعملية معروفة هي مفاجأة حصن ميرتله والاستيلاء عليه من المرابطين في صفر / ٥٣٩ أغسطس ١١٤٤ .
- ٢ — وأعقب ذلك مبادرة أبي جعفر حمدين بن حمدين بنفسه أميراً على قرطبة في رجب / ٥٣٩ ديسمبر ١١٤٤ ويناير ١١٤٥ .
- ٣ — ثم تزعم الثورة سيف الدولة بن هود فاستولى على قرطبة في رمضان من نفس العام / فبراير ، مارس ١١٤٥ .
- ٤ — ومن قرطبة امتدت الثورة إلى مرسية حيث انتزى بها أبو محمد عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم اللورقي المعروف بابن الحاج ودعا لابن حمدين وخطب له خلال شهر رمضان وشوال ٥٣٩ .
- ٥ — وطبع سيف الدولة بن هود في مرسية فأرسل إليها أحد قواده وهو أبو عبد الله محمد بن فرج الشعري ، فطرد منها ابن الحاج وأدخلها في طاعة سيف الدولة بن هود .
- ٦ — ولكن أمر مرسية لم يدم للشغرى إلا قليلاً ، فلم يلبث أهل مرسية أن أخرجوه من بلدتهم وقدموا على أنفسهم أبا جعفر محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الخشنى الفقيه في آخر شوال ٥٣٩ « فتولى بالتدبير بقية العام وأشهرها من سنة ٥٤٠ ، وكان يقول في قيامه بالإمارة : ليست تصلاح لي ولست لها بأهل ، ولا كني أريد أن أمسك الناس بعضهم عن بعض حتى يحيى من يسكن لها أهلاً » . ثم خرج إلى شاطبة معيناً أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز على محاصرة من بها من المتمردين . ثم خرج بجيش عظيم إلى غرناطة معيناً للقاضي أبي الحسين بن أضحي على من بها من المرابطين ، وكانت جماعة من خيرة المرابطين

ورجالهم فيهم عبد الله بن محمد بن علي بن غانية ، فانتصر المرابطون وقتل أبو جعفر الخشنى بعد أن حكم مرسية الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة ٥٣٩ وثلاثة شهور من سنة ٥٤٠ ، وهذه الواقعة مشهورة معروفة بوقعة المصلى في أواخر ربيع الأول ٥٤٠ .

٧ — ويضيف ابن صاحب الصلاة — برواية ابن الأبار — أن أبا عبد الله محمد بن فرج التغري كان قائداً بكونكة ، وأنه لما سمع بقيام أبي جعفر حمدين بن حمدين في قرطبة « خرج إليه وأقام لديه » .

٨ — وفي ذلك الحين وصلت لابن حمدين رسالة من أهل مرسية تذكر أنهم أقاموا على أنفسهم أبا محمد بن الحاج ولكنه استعفى ، فعجل ابن حمدين وأرسل إليهم أبا عبد الله بن فرج التغري فقام بأمرها وقدم أبا جعفر بن أبي جعفر الخشنى المذكور قاضياً في منتصف شوال ٥٣٩ . وطمحت نفس الخشنى للرياسة ، فخشد جنداً استولى بهم على أوريوله ، وغدر من كان بها من المرابطين بعد نزولهم بالأمان ، ولقب نفسه بالأمير الناصر لدين الله « وأسقط منه : الداعي لأمير المسلمين » ثم قبض على التغري وصهريه وسجنيهم .

٩ — توجه ابن أبي جعفر بعد ذلك إلى شاطبة معينا لأبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز على المرابطين ، فاتهزم العامة في مرسية فرصة غيابه وأطلقت سراح التغري ، فهرب إلى كونكة حصنه الأصلي ، فعاد ابن أبي جعفر إلى مرسية وقضى على الفتنة ثم كر راجعاً إلى شاطبة ، فلما تم لابن عبد العزيز الاستيلاء على شاطبة وضمها إلى أملاكه عاد ابن أبي جعفر الخشنى إلى مرسية في صفر ٥٤٠ .

١٠ — ثم خرج ابن أبي جعفر إلى غرناطة على ما رويناه ، وقتل في وقعة المصلى ، فاتفق أهل مرسية على تأمير أبي عبد الرحمن بن طاهر القيسي ، فتولى أمرها ودعا لسيف الدولة بن هود أولاً ثم لنفسه في ربيع الأول / ٥٤٠

سبتمبر ١١٤٥ ، وأقام على الخيل — أى على قيادة الجيش — أخاه أبا بكر ابن طاهر .

١١ — وقد حاول ابن حمدين — مرتين متاليتين — أن ينتزع مرسية من يدي ابن طاهر فلم يستطع .

١٢ — ولكن ابن طاهر أتى من مأمنه ، ذلك لأن نفراً من أنصاره دبروا عليه وكتبوها أبا محمد عبد الله بن عياض صاحب بلنسية وأوريوله ، ثم ذهب وفد منهم للقائه في أوريوله ودعوه لزيارة بلدتهم ، وغفل ابن طاهر وحسب أنه ينتفع بصحبة ابن عياض ، وأقبل ابن عياض زائراً للبلد ، فما وعى ابن طاهر إلا والزائر يقتتحم القصر دون مدافع وينادي بنفسه أميراً على البلد في العاشر من جمادى الأولى ٥٤٠ / ٢٩ أكتوبر ١١٤٥ . واستخفى ابن طاهر ، « وعف ابن عياض عن دمه لعلمه بضعفه ، وكان مع شهادته حسن السيرة » .

١٣ — وطار صيت ابن عياض ، واشتهر أمره بالنجدة ، فكتابه أهل بلنسية ، وعززوا أميرهم ابن عبد العزيز واستدعوا ابن عياض وأمروه عليهم ، فأصبح أميراً على شرق الأندلس كله ، ولكنه كان يدعو لابن هود . وأقام ابن عياض على مرسية رجلاً من رجاله سيشتهر أمره فيما بعد وسيسود شرق الأندلس كله بعد ابن عياض ، وهو أبو عبد الله محمد بن سعد بن مرداينش .

١٤ — وكان أبو عبد الله بن فرج التغرى صاحب كونكة من رجال ابن عياض ، وكان يوجهه في كبار مهماته ، « فأ Fernandez رسوله إلى الطاغية أذفونش ليعقد معه السلم ، ويمثله على صاحب برشلونة ، فعاد من سفارته هذه وزعم أن أذفونش أمره على مرسية ، واستعان على دخولها بطائفة من أهل الفساد كانوا يشاعونه ، فتم ذلك وهرب أبو عبد الله محمد بن سعد بن مرداينش نائب ابن عياض فيها ، فلتحق بذلك في أوائل ذى الحجة سنة ٥٤٠ / مايو ١١٤٦ .

١٥ — ولم تطل إمارة التغرى على مرسية بعد هذه الخيانة ، وقد عثرت على قطع من العملة سكها باسمه تاريخها ٥٤١ و ٥٤٠ ، وقد قتل في ظروف غامضة

لم يفصل أمرها المؤرخون في ٧ رجب ١٣٥٤ / ١١٤٦ ، وعاد البلد إلى ابن عياض ، وهذا هو موضوع التهنة في هذا الخطاب .

١٦ — وإنماً لهذا الكلام نقول إن أمر ابن عياض لم يطل ، فقد كان الاضطراب أشد من أن يسمح لأحد من أولئك بطول العمر أو تمكن السلطان ، فقد قتل في معركة له مع النصارى في ٢٢ ربيع الأول ٥٤٢ / ١١٤٧ بعد أن ساد شرق بلنسية ومرسية عاماً وستة أشهر وعشرين يوماً على قول ابن الأبار ، وانفرد بشرق الأندلس محمد بن سعد بن مردانيش حتى دخل في طاعة الموحدين وسكنت فتن الأندلس حيناً<sup>(١)</sup> .

١٧ — أما محمد بن سعد بن مردانيش ، فهو الذي خلف أبي عبد الله عبد الرحمن بن عياض في زعامة شرق الأندلس . وقد كان من رجاله ، وروي عبد الواحد المراكشي خبر اختيار ابن عياض لحمد بن سعد لكن ينهض بعبء الجهاد بعده (انظر : العجب ، طبعة القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٢٠٨—٢١٠) ، ويناقض ابن الخطيب هذا الرأي (انظر : أعمال الأعمال ، طبعة بروفسال ، ص ٢٩٨—٣٠١) ، وانظر :

إذا اتهينا من هذا الموجز اكتفينا بكلمة يسيرة عن كل من هذه الوثائق الأربع:

فالرسالة الخامسة من إنشاء أبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز وقد بعث بها إلى عبد الرحمن بن عياض لمناسبة قتل محمد بن فرج المعروف بالشغرى ، وهي تدل على ما كان لابن عياض من المكانة في نفوس معاصريه من صغار أمراء النواحي ، وذلك يؤيد ما قاله عبد الواحد المراكشي في حقه ، وقد أشرنا إليه آنفًا . والوثيقة السادسة عظيمة الأهمية والدلالة ، فقد كتبت عن لسان أبي عبد

(١) انظر : الحلة السيراء لابن الأبار ، ترجم أبا عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان ابن عبد العزيز (ص ٢١٦—٢١٢) وأبا عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن ظاهر القبيسي (٢١٦—٢٢٣) . F. Codera, *Op. Cit.* pp. 89—١١٥ .

الملك مروان بن عبد العزيز الآنف الذكر ، وكتابها يعطينا فيها صورة غاية في الطرافة لأحوال شرق الأندلس كما صورها رجل عن لسان شخصية لعبت دوراً رئيسياً في ذلك الحين ، ولاشك أن هذه الشهادة على لسان رجل شارك في صنع الحوادث بالنصيب الذي رأيناها تعتبر وثيقة سياسية من الطراز الأول .

والوثيقة السابعة بقلم أديب كبير يغلب أنه أبو محمد بن خلصة ، كتبها عن أبي عبد الله محمد بن سعد بن مردايشه على السنة أهل شاطبة . وعبد الله ابن محمد المذكور في هذه الرسالة هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن على ابن أخي أبي زكرياء بن غانية ، وكانت بينه وبين أبي عبد الملك مروان بن عبد الله بن عبد العزيز خصومة طويلة ، روى ابن الأبار أحدهما بالتفصيل ، ومن المقيد هنا أن نذكر كلامه بنصه ، قال :

« لما انتهى إلى بلنسية الخبر بقيام أبي جعفر حمدين بن محمد بن حمدين ويعنته بقرطبة وجماعها الأعظم في يوم السبت الخامس من شهر رمضان سنة ٥٣٩ ، وبانصراف ابن غانية عن لبلة — وقد أحبجه أمرها وتعذر عليه فتحها — اضطرب أهل بلنسية وواليها حينئذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن على ابن أخي أبي زكرياء بن غانية ، وفاضيها أبو عبد الملك هذا ولاه تاشفين ابن على ابن يوسف في الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٣٨ ، فاجتمعوا في الحين — على منافسة كانت بينهما في الباطن — واتفقا على الاشتلاف وترك الخلاف . وحضر الناس بالمسجد الجامع ، فقام فيهم مروان خطيباً يذكر بجهاد المتنزعين للروم ، ونصرهم للجزيرة واستنقاذهم بلنسية من أيديهم ، ويحض على التسك بدعوتهم والوفاء لهم . ثم قام عبد الله بن محمد الوالي وتكلم بما حضره في هذا المعنى ، وذكر الناس بما انتظم بينهم وبين عممه من الصحابة ، وانفصلوا . فنُمِي إلى عبد الله من القول عن القاضي وغيره ما أزعجه . وليلة يوم الأربعاء الثامن عشر من رمضان أنفذ عياله وأثقاله إلى شاطبة ، وأصبح هو بالولجة فدار بينه وبين الجندي ما أوجب تزويق خبائه ، وللفور أخذ في الفرار مع قومه . فلما

استقروا بشاطبة أغارت خيله على جهات بلنسية فاكتسحت ما وجدت ، وظلت الناس إلى ابن عبد العزيز ورغم إلته الجندي والعرب ووجوه أهل البلد في التأثير عليهم فأبى وقال : « اختاروا من شيوخكم من تقدمونه » ، فانتفقوا على بعض المتنوين النباقين ببلنسية بعد فرار عبد الله بن محمد ، وتمثّل الحال على هذا أياماً . وأراد هذا المجتمع عليه من لتوة أن يقبض على ابن عبد العزيز فلم يستطع ، ثم خامره الروع فلحق بشاطبة هو والباقيون معه من أشياعه . وحيثئذ وقع الإجماع على ابن عبد العزيز ، فاستخفى إلى أن افرد به أبو محمد عبد الله ابن عياض قائد الثغر وبعد الله بن مرذنيش وقال له : « هذا الأمر لا بد لك منه ، والرأى المبادرة » فقبل ذلك وتم ..... والبيعة له يوم الاثنين الثالث من شوال . وولى عبد الله بن عياض الثغر وما والاه ، وضمّ إلى نَظْرِه ما كان بأيدي أصحابه بني مرذنيش قبل ظهورهم ، والمسلمون أثناء ذلك يغيريون على الجهات ويعيشون فيما يجاورهم من البساطط والمعاقل ، فاستدعي ابن عبد العزيز أجناد الثغر ونهض بهم إلى منازلة شاطبة ، فانحدر المتنوون من قصبتها إلى المدينة وذهبوا للديار وسبوا النساء ، وقدم ابن عبد العزيز على هذه الحال يوم الجمعة الثامن عشر من شوال ، فكانت بينه وبينهم مواقفات ظهر فيها عليهم حتى لجئوا إلى القصبة منهزمين . ووصل أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبي جعفر بعسكر مرسيية في آخر شوال ، فأقاموا على حصار شاطبة متفقين في الظاهر مختلفين في الباطن ، وكل واحد منها يرى أنه أولى بها . واضطربت مرسيية أثر ذلك فتوجّه إليها ابن أبي جعفر مصلحاً ومسكناً ، ثم عاد إلى حصار شاطبة . ووصل ابن عياض بأهل الثغر معييناً لأميره ابن عبد العزيز ، فلم يجد عبد الله بن محمد بدا من الفرار ولحق بالمرية في خبر طويل ، ومنها ركب البحر إلى أبيه محمد ابن على وهو بميورقة قد ملكها واستقر فيها برأى أخيه أبي زكريا يحيى بن على عند ثورة العامة باشبيلية منصرفه من حصار لبلة . ولما هرب عبد الله من قصبة شاطبة استولى عليها ابن عبد العزيز صلحاً فحصّنها وعين لها ضابطاً وصدر إلى

بلنسية ، فيقال إنه دخلها راكباً على جمل في زي الجندي ، وجدّدت له البيعة يوم قدمه وذلك في صفر سنة ٤٠ . وانصرف ابن أبي جعفر إلى مرسية ثم قُتل على أثر ذلك بجهة غرناطة ، فانضافت لقتله وأعمال شاطبة إلى ابن عبد العزيز . وعند استقلاله بالريادة خانه الجندي ولم تَفِ الجبائية بالواجبات فتعلّلوا عليه بذلك وعزّموا على خلعه ، وخطبوا ابن عياض يستعجلونه في الوصول إليهم من مرسية ، وكان قد ملكها بمداخنة أهلها وخلع أبا عبد الرحمن بن طاهر منها في العاشر من جمادي الأولى من سنة ٤٠ المذكورة ، فلم يرع ابن عبد العزيز إلا إحداق الجندي بقصره يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادي الأولى المذكور ، وحكي ابن صاحب الصلاة أن ذلك كان في الخامس والعشرين منه ، فخرج راجلاً متتكراً وتدى من سور بلنسية ليلاً واعتسف الطريق دون دليل حتى لحق بجبل المرية ، واجتمع بالقائد محمد بن ميمون فقبض عليه وقيده وفاءً لبني غانية ، وأقام عنده إلى أن دفعه إلى عبد الله بن محمد عدوًّا ابن عبد العزيز وطريده من بلنسية وشاطبة ، وقد ورد على المرية في قطع ميورقة برسم اتباع العدو ، فغُفر عبد الله عن دمه واحتمله معه مقيداً ، وتنعم الناس على ابن ميمون فعله . ويقال إن ابن عبد العزيز لما غدر به الجندي فرّ إلى قليبرة ثم رجع إلى بلنسية مستتراً ، ودخل داره القديمة فعثّر على خبره وطلب حتى أحرق بعض دوره ، فخرج ثانية مستخفياً إلى مرسية واقتفي أثره يوسف بن هلال إلى مقربة منها ففاته ، وأقام هو بمرسية ثلاثة أيام ثم خرج منها إلى المرية فقبض عليه ابن ميمون » .

ورابعة هذه المجموعة الصغيرة — وهي الوثيقة الثامنة — ذات أهمية لا تخفي على من يهم بحوادث هذه الفترة ، فهي رسالة من أول قطب للفترة في شرق الأندلس ، الأديب أبي عبد الرحمن بن طاهر إلى ثانى أقطابها أبي عبد الملك مروان بن عبد العزيز ، وهو يحاول أن يتطرف فيها بمداعبة المرسل إليه ونفر من أصحابها ولا بد أن هذه الرسالة أرسلت في زمان مبكر ، قبل أن تضرب الفتن بين أولئك الناس . وإشارة الرسالة إلى « الحكيم أبي جعفر » لا

تخلو من طرافة ، لأن أبو جعفر هذا هو أبو جعفر الخشن الذى لعب في تاريخ مرسية دوراً هاماً فصلناه في الملخص السابق .

\*

وهذا نص الوثيقة الخامسة :

٤٨٨  
١١٢٧

«وله إلى ابن عياض عند قتل الثغرى

إذا خِفتَ أَنْ تَعْيَ بِدَاءِ مُنَافِقٍ فَلَا طَبٌ إِلَّا مَا تَقُولُ الصَّوَارِمُ  
أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجْلِ الْمَجَاهِدِ الْأَفْضَلِ فِي سَعْدٍ مَكِينٍ وَفَتْحٍ مَبِينٍ  
وَنَصْرٍ مَنْجَدٍ مَعِينٍ ، وَلَا زَالَتِ الْأَمْسَارُ تَنْتَظِمُ فِي سَلَكِهِ ، وَتَلْتَحُمُ فِي مُلْكِهِ ،  
وَتَلْتَئِمُ فِي مِلْكِهِ .

العوارى ، أَيَّدَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، مَرْدُودَةٌ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَالْجَهَةُ مِنْ بَابِهَا ، رَاجِعَةٌ  
إِلَى الْأُولَى بِهَا ، وَرِبِّها اعْتَبَطَ الْغَادِرُ بَيْنَ عَلَّهُ وَنَهَّلِهِ ، وَصُبْحٌ فِي أَهْلِهِ ، وَالْمَكْرُ  
السَّىءُ لَا يَحْيِقُ إِلَّا بِأَهْلِهِ .

وقد كان أبو عبد الله بن فرج رفع لغدرته لواه ، وألف أهواه ، فما أمهله  
الله حتى ذهب كما يذهب الزبد جفاء ، فما يكتبه السما والأرض ، ولا ندبته السنة  
ولا الفرض . فاهون بدِمِ ذهب هدراً مطلولاً ، وكان أمر الله مفعولاً . ما أود  
للفتنة ناراً حتى احترق فيها فراشاً ، ولا استوى على السرير حتى توسد التراب  
فِرَاشًا ، فالمحمد لله الذي أزاح شَغَبَهُ ، وأتَاحَ مَنْقَلَبَهُ ، وأباحَ صَفَبَهُ<sup>(١)</sup> وَمُعَنَّقَبَهُ ،  
على حين كان اشرأب للنفاق أَزَبَ الْعَقَبَةَ<sup>(٢)</sup> ، فعقد الله سلاماً وصلاحاً ، وأعقب  
بفتح فتحاً ، فيبشرى فَلِحَا وَنَجْحَا ، وتجارة أعقبت ربحاً ، وصله الله سعداً ،

(١) الصقب عمود البيت أو العمود الأول في وسطه (القاموس المحيط ، مادة : صقب) والمراد هنا : هَدَّ رَكْنَهُ وَقَضَى عَلَى عَقْبَهُ .

(٢) إِسْمُ شَيْطَانٍ مُشْهُورٍ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي حَدِيثٍ مَنْسُوبٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ . (أنظر : القاموس المحيط ، مادة : زب) .

يُنْجِز له في أعدائه وعداً ، ويأته بالآمال تزحف إليه ركضاً وشدداً ، وأبلغ حضرته سلاماً ينفح نداً ، ويخدم بساطه عبداً ، والسلام » .

\*

وفيما يلي نص الوثيقة السادسة :

<sup>٤٨٨</sup> <sup>١١٢٥</sup> « لما بايع أهل شاطبة ابنَ عبد العزيز ، وبaidu أهل مرسية ابنَ أبي جعفر ، اتصل بابن عبد العزيز أَنْ ابنَ أبي جعفر يخاطب ابنَ عياض ويدخله ، استظهاراً على ابن عبد العزيز ، كتب عن أهل شاطبة إلى أهل مرسية

أطال الله بقاكم ، وَهَمَّكُم<sup>(١)</sup> الإصلاحُ ما استطعتم ، وكفُّ الأذى حيث سلكتم ، وأية رأية اتبعتم . ولا زلتمن تنتظرون في العواقب ، نظر المتق لله المراق ، وتدعون إلى التوابل والتظافر ، وتنبهون عن التخاذل والتنافر ، وتصلون أسباب السلم والسلام ، وتحفظون معالم الشريعة والإسلام .

وبعد أية<sup>(٢)</sup> الإخوان والجيران ، فإننا لا نوقظكم نياماً ، ولا نقص عليكم أحلاماً ، إنما نذكركم مومين ، ونخاطبكم موقنين بأننا وإياكم في طاعة الله متفقون ، وإلى ما يرضي الله تعالى مستبقون . وقد علمتم — وفقكم الله — أن لكل مقام مقلاً ، ولكل زمان رجالاً ، وأن الأيام تنتقل حالاً خالاً ، فلا الحرص ينفع الحريص ، ولا الحذر يُنجي القنيص ، وربما لعبت [الأوهام]<sup>(٣)</sup> بالأباب ثم انحابت غياها عن العجب .

وقد تداولتْ — وفقكم الله — هذا الشرق — حرسه الله — أيدي أملاك ، على انفرادٍ تارة و [تارة] على اشتراك ، فعاشر وغابر ، وواردٍ وصادر ، كلّ عمل

(١) الشكل في الأصل .

(٢) كذلك في الأصل ، وهو يريد : أيها .

(٣) كلمة « لعبت » — في آخر السطر — وما بعدها غير واضح ، فغلب على ظن أن هنا موضع كلمة ناقصة ، فوضعت هذه ؟ والسايق على أي حال لا يستقيم إلا بشيء في معناها .

على شاكلته ، ووقف عند غايته ، ومن كثرا رايته . وقد آلت الآن — وفقكم الله — الحال إلى ما يُعني فيه العيان عن إقامة البرهان : فتن يأكل بعضها [١] [١٢٥ ب] بعضاً وتطأ ارجاءه [١]

وترفض شرائعه رفضاً ، فناج يمسي القهقرى ومستهلك يشد ركناً [٢] [٢] بعد بكل والاء [٢] وفي كل ناد من حاضر وباد ، فحقّ واجب علينا وعليكم ، متقرر لدينا ولديكم ، صلة أسباب الولاء ، وإطفاء جرة الشحنة ، والتواصل في مواجهة الأعداء ، وكف يد البغى والاعتداء ، لعل الله يدفع بالاتفاق في صدر النفاق ، ويحسم بالائتلاف أدوات الخلاف ، فتتصال أيدينا بأيديكم اتصال الساعد بالقصد ، والغارب بالكتد [٣] ، فترمى الكفار عن قوس واحدة ، وعن أغراض متعاضدة متعاقدة ، ونستدعى الظفر من أبوابه ، ونعتلق النصر من أسبابه .

وقد تقرر لديكم كيف امتحن الله قطينا وابتلاه ، وذهب أسفله بأعلاه ، ورماه من عبد الله بن محمد — أهله الله — بما رماه ، متمرد استشري وأشير ، واصاب الفرصة فاستنصر ، وقتل وأسر ، واستباح الأموال والعیال ، وقتل الشیوخ والأطفال ، وانتهک الحرم ، واستحلل الحرام والحرم ، وخرب وحرق ، وشتت الجماعة وفرق ، وأجbul الحامل قبل تمامها فوضعت ، وأذهب المرضع عما أرضعت ، فلولا دفاع الله بالأمير الأجل الملك الأفضل أبي عبد الملك [٤] — أيده الله وأعلى يده — لهدمت صوامع [٥] وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله

(١) بقية السطر مطموس لا يبين منه إلا ألفاظ قليلة شكلت في صحة قراءتها .

(٢) مكاث القوسين مطموس تماماً في الأصل ، وهذه اللفظة غير واضحة تماماً ، وقد رسمتها أقرب ما يكون إلى الأصل .

(٣) الكسرة تحت التاء في الأصل ، والقاموس الخبيط يجعلها الكتـ بفتحتين ، وهو « مجتمع الكثفين من الإنسان والفرس . أو هـ الكاهـل ، أو ما يـنـ الكـاهـلـ إلىـ الـظـهـرـ » .

(٤) المراد هنا أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز . لاحظ تلقـيـهـ فيـ الرـسـالـةـ «ـ بـالأـمـيرـ الأـجـلـ الملكـ الأـفـضـلـ » ، هذه أول مرة تقرأ فيها مثل هذا التـلـقـيـ المـفـخـمـ فيـ الأـنـدـلـسـ .

(٥) أي مآذن .

كثيراً ، ولاستأصل القتلُ منا صغيراً وكبيراً ، لا كنه — بفضل الله وتأييده — وافانا والقتل فينا ذريح ، والكل منا طريح أو جريح ، قد ألقينا بأيدينا إلى التهلكة ، واستسلمنا إلى الهملة ، فما هو إلا أن رأينا أعلامه ، وجاء الفرج يزحف أمامه ، وثنيَتْ عنا صدورُ الرماح والشفار ، واستصرخنا : باللهم ! ومرحباً بالأنصار ! فهل نحن — أعزكم الله — إلا ماليكه وأرقاؤه ؟ وإن منَّ فطلاوته وعتقاوه ؟ استصرخناه فنصر ، وجد وشم ، ما ونى ولا قسر ، فله — أيده الله — في أعناقنا رقبة بيعة مشدودة معقودة ، مددنا بها الأيمان ، وقرَّناها والإيمان ، ثم لا نزال بحمد الله نوكدتها ارتباطاً واغتيالاً ، وجهاداً معه ورباطاً ، وعدلاً في حكم الوفاء له وإقساطاً ، فما ظنك — أعزكم الله — وقد غمرنا إحسانه ، وشملنا امتنانه ، وأصبحنا جيئاً ونحن عيَّداته ، أنعمت آلاءه ونكر نعاءه ؟ لقد ضللنا إذا وما نحن بهتدين . فانظروا — أعزكم الله — بعين الإنصاف في ما أوردنناه ، هل تجاوزنا الحق أو تعديناه [١] [٢] [٣] [٤] وأترتم [١] [٢] [٣] [٤] كم بالعرف لا بالنكر ، فلا جرم أنكم نظرتم لأنفسكم النظر الأرشد ، واقتفيتم المذهب الأقصد عندكم الأحمد ، فكل منا ومنكم يُسند إلى ركن عنده وثيق ، ويعتصم بذرورة ونبيق <sup>(١)</sup> ، ويسير على مذهب لايح له وطريق ، ويرجع إلى حزب من أوليائه وفريقي . فاعملوا إنا عاملون ، واعتبطوا إنا معتبطون ، وسلام عليكم ، لا نبتغي الجاهلين إخواناً وخلاناً ، وأنصاراً فيما يرضي الله وأعوانا ، وأمنا وإيماناً .

ثم إنَّ لاردة — حرسها الله — كما علمتم ، مجنَّ هذه البلاد ، وسبب الصلاح فيها أو الفساد ، وذو الوزارتين القائد الأجل أبو محمد بن عياض قوام أمورها ، ونظام تدبيرها ، بها تأمن تلك الأرجاء ، ويقوى — بحول الله — في بقائهما الرجاء ، فتى شغل عنها وخرج إلى سواها منها ، لم يؤمن عليها هجوم

(١) مواضع ممحوة بالأصل .

(٢) النبق — بالكسر — أرفع موضع في الجبل ، القاموس .

العدو مع المساء والغدو ، فالحزم ألا يفارق ذلك التغر المهم إلا بعد صلح ينعقد ويتم ، وقد اتصل بنا الآن ما أطلق النفوس ونعي إلى المناكب الرؤس ، بمداخلة من عندكم كادت تثير فتنه عمياء صماء ، يخرب بها العدو ما لا يُرُقُّ ، وينهدم بها هذا الشرق أجمع ، بالله ندفع في نحر ما نخشى ونتوقع ، إلى أشياء سواها ، في قبيلها ومغزاها ، لا يتقبلها الله ولا يرضها ، عقارب فساد تدب ديباً ، وتسعى بعيداً وقريراً ، وقد أودعنا رُسُلَكُم إِلَيْكُم فلاناً وفلاناً وفلاناً ما ينهونه جملاً وفصولاً ، ويوردونه فروعاً وأصولاً ، فاستعلموا — أعزكم الله — أغراضهم ، واستلمحوا إفصاحهم وإيماظهم ، فقد حملناهم كلامنا ، وأطعنناهم ما وراءنا ، والله يوفقكم وإياانا إلى ما يغلق أبواب الفتنة ، ويقطع أسباب الحزن ، وينحو السوء بالحسن ، آمين بعزته . وتبَلَّغُوا — أعزكم الله — السلام جزيلاً حفيلاً ، والسلام مردداً موصولاً ، ورحمت الله تعالى وبركاته » .

\*

وهذا نص الوثيقة السابعة :

٤٨٨

١٢٨ «وله إلى الأمير أبي عبد الله بن سعد على ألسنة أهل شاطبة

أطال الله بقا الأمير الأجل الهم الأكل ، في حصن من دفاع الله حصين ، وربوة من آلاته ذات قرار ومعين ، وجيش من نصره وتأييده منجد له معين ، ولا زال يريش في الله تعالى وبيبرى ، ويطلب أدواء الغفور فيشفىها وبيبرى . قد علم — أعلى الله أمره ، وأعز نصره — أن الشفيف بسو الظن [ ] [<sup>(١)</sup> زم لا يستفز<sup>(٢)</sup> في رأيه ولا يخدع ، ثم بالله ندفع في نحر ما نخشى ونتوقع ، وقد اتصل من حف [ ] [<sup>(٣)</sup> بدد الله ود<sup>(٤)</sup>] وقطع به

(١) ياض بالأصل .

(٢) وردت الكلمة في الأصل في آخر السطر ناقصة بدون حرف الزاي ، وقد أضفتها .

(٣) ياض في الأصل .

(٤) ياض في الأصل ، موضع كشط .

دون ما أظهره وأضمره ما ارتعى له الأقرب الأدنى ، والأبعد الأقصى ، كل يتوقع أن يكون غرض [سهامه] ، وجَزَّ حسامه ، وما تُصْرِّخُ أخا الشهامة الحزامية ، ولا تسلم به الملامة ، وقد خندق رسول الله صلى الله عليه [الختنق] ولبس اللامة ، ومن أنصاره الملائكة المسومون ، وجندوَ الله المعلمون ، وبيوتنا عورة ، وال الحرب خدعة أو غرة ، وإن كنا نسند من آراء الأمير الأعلى ، أعلى الله يده ، إلى الركن الشديد والناظر السديد [القلب المبدى المعيد] ، فإننا نعقدها — كما قال عليه السلام — ونتوكل ، ولا نرتضي ما ياتيه النؤمة الوكل ، وإنَّ وحفارينا محتاجة إلى نظر يتجدد ، وعدة تدخر وتعد ، والرعايا — أعلى الله كعب الأمير — شُرُذْ مُرُذ لا تساق إلى مرادها ، وتحمدى إلى مواردها إلا سواق الابل الجرب إلى الماء ، والغريم العديم إلى القضاء ، فضراعتُنا إلى [الأمير] — وصل الله تأييده — [١) يقطع العدد ويحصن البلد ويحمل الناس على اقتناء الأسلحة ، ويشوب في نادينا بالصلحة ، فتنفذ أوامره في طاعة الأمير ، ومصالح الجماء الغفير ، وتبليغ النفس عذرها في الاجتِهاد ، والاستعداد للجهاد ، والاستظهار على الأعادى ، والله يفعل دوننا جيوش العوادي ، الروابح والغواوى ، ويدفع عن الحاضر منا والبادى ، ويطيل عمر الأمير الأجل مصلحاً للفساد محسناً للبلاد ، مقيناً للمعوج المناد ، أمين بعزته والسلام » .

\* \*

وفيما يلى نص الوثيقة الثامنة :

٤٨٨  
١١٠٨

رسالة لابن طاهر إلى ابن عبد العزيز

سيدى الأعلى ، وظهيرى فى الجليل ، أطال الله بقاءك ، وأدام تكينك وعلاءك . تابعتَ إلى — أعزك الله — مطالعتك الكريمة بعادتك من البر

(١) هذه الفقرة مطموسة تماماً ، وقد يستقيم المعنى لو وضعنا مكانها : أنْ .

والفضل ، فكان لها موقع القطر في زمن المخل ، ورأيت ما آل الأمر إليه بوقوع الحرب ، وشروع النقب ، وأنه وضعت الملatisis<sup>(١)</sup> ، قلت : الآن حم الوطيس وأرجو أن يُصْحَبَ الوَطَرَ ، ويُسْعِفَ القدر ، بحول الله وقدرته .

وَحَدَّثْتُ أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى نِزَالٍ ، فَكَنْتُ أَوَّلَ نَاذِلَ ، قَلَّتُ لِحْدِنِي : أَمْجَدْ أَنْتَ أَمْ هَاذِلْ ؟ سَيِّدِي — أَعَزَّهُ اللَّهُ — أَشَدُّ بَأْسًا وَأَعْنَى نَفْسًا ، مِنْ أَنْ يُرَى يَوْمَ جَلَادٍ ، إِلَّا عَلَى ظَهَرِ جَوَادٍ ، فَإِنْ لَبِسَ زَعْفَانًا ، هَزَمَ أَلْفًا ، وَإِنْ تَقْلَدَ صِحَّاصَاهُ ، لَمْ يَبْقَ هَامَهُ ، وَلَكِنِي أَذْكَرُ هَذِهِ الشَّهَامَةَ بِقَوْلِ أَبِي دُلَامَةَ :

لو أَنْ بُرْغُوثًا عَلَى ظَهَرِ قَلَةٍ تَكَرَّرَ عَلَى صَفَّ تَمِيمٍ لَوْلَتِ

وَوَدَّدْتُ — أَغْرِيكَ اللَّهُ — أَنِّي أَنْظَرَ عَنْدَ الصِّيقَةِ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي جَعْفَرَ ، فَتُبَجِّلِي الْعَيْنُ مِنْهُ بِأَحْسَنِ مَرَأًةٍ وَمِنْظَرٍ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ صَفَ مَرَاهِمَهُ ، وَجَمِيعُ درَاهِمِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَمَا جَارِنَا أَبُو الْخَطَّابِ فِيَنِ الْقَنَا الْخَطَّارِ ، وَحَصَّاصَاهُ بِالْتَّقْدِيمِ لِلصَّدَاقَةِ وَالْجَوَارِ ، وَأَمَا صَفَّيْنَا الْفَقِيهِ أَبُو مَرْوَانَ ، فَرَاهِ فِي قَيْصِهِ الْمَدْلُوكِ<sup>(٣)</sup> ، وَعَلَيْهِ نَصْفُ جَلْبَلِ مِنْ الْوَشْنِ الْمَحْوُكِ ، وَنَتَرَكَ سَائِرَ الْإِخْوَانِ ، لَغَيْرِ هَذَا الزَّمَانِ . بَقِيَتِ نِيَّاطِمًا لِلْجَمِيعِ ، فِي ثُوبِي عَزَّ وَتَرْفِيعٍ » .

#### الْوَيْقَنُ التَّاسِعُ

نشرت في أحد الأبحاث السابقة نموذج أمر بتعيين قاض في إحدى النواحي؛ وليس لدى من جديد أضيفه في التعليق على الوثيقة التي أقدمها هنا، وهي نموذج أمر ثان مشابه للأول، لا يختلف عنه إلا في قليل.

(١) الملatisis جمع مِلَاطِسْ ، وهو المعلول الغليظ لكسر الحجارة ، أو حجر يُدقَّ به التوقيف كالملطاس .

(٢) هذه الفقرة تعطينا فكرة عن رأي الناس في أخلاق أبي جعفر الشافعي ، وخاصة أصحابه .

(٣) ذلك بيده مَرَسَهُ وَدَعَكَهُ .

كتاب ترفيج وإظهار أمر بعده الرَّئِيس<sup>(١)</sup> الأَجْلُ أَبُو فلان ، للفقيه صاحب الأحكام فلان بن فلان<sup>(٢)</sup> ، تَوَلَّ<sup>(٣)</sup> فيه شَدَّ أَزْرَه وَعَصَدَ أَمْرَه ، والإشادة برفعة مكانه ، والإطلاق من يده ولسانه ، والارسال لشأوه وعنائه ، في ما عَصَبَ بَدِينِه الْمُتَنَّ ، وَإِدْرَاكِه الْمُكْنَى ، وَنِيَطَ بِمُضَايِه ، وَقُلْدَيْمَيْنِ اِنْتِصَايِه ، من القضايا بجهات فلانة وفلانة [٨٧ ب] ليُنْفَذَ الحُقُوقُ غَيْرَ مُرْتَاب ، ويُبَاهِرَ فِيهَا غَيْرَ مُحَاجِبٍ ، وَيَأْخُذُ الْوَاجِبَاتِ بِقُوَّةِ وَمُتَّهَّةٍ ، وَيَقِيمُهَا عَلَى السَّنَنِ الصَّالِحِ وَالسَّنَةِ ، مُقْتَدِيَاً فِيهَا يُحْكِمُهُ ، وَمُعَوِّلاً فِيهَا يَمْثُلُهُ وَيَرْسِمُهُ ، عَلَى الطَّرِيقَةِ الْوَاصِحَّةِ ، وَالْجَادَةِ الْلَّاِيْحَةِ ، الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا الْعَمَلُ وَتَدَوَّلُهُ السَّيْرُ ، وَتَلَازَمَ بِهَا النَّظَرُ ، غَيْرَ عَادِلٍ عَنْ سُوَايَهَا ، وَلَا نَاكِبٌ عَنْ مَادَّةِ اسْتِوَايَهَا ، مُسْتَضِيًّا بِالْكِتَابِ الْكَرِيمِ ، مُقْتَنِيًّا لِلسَّنَنِ الْقَوِيمِ ، مُوَثَّراً لِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ ، وَذَلِكَ الْإِسْتِبْنَاطُ وَالْإِخْتَرَاعُ . فَمَنْ قَرَاهُ وَقَرَىءُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَوْضِعِ الْمُذَكُورَةِ ، حَرَسَهَا اللَّهُ وَأَبْقَاهُمْ ، فَلَيُوقِرُ نِصَابَهُ ، وَلَيُشَكِّرُ مَنْابَهُ ، وَلَيُقْدِمُ أَدَابَهُ ، وَلَيُرِضُ بِمَا تَوَجَّهُ عَلَيْهِ مِنْ قَضَاهُ ، وَلَيُنْفِرَ إِلَى أَحْكَامِهِ وَاقْفَتْ أَوْ خَالَفَتْ رِضَاهُ ، مَا يَذْهَبُ مَعَ الْحَقِّ وَيَسْلُكُ مَسْلِكَ الصَّدْقِ . وَمَنْ اسْتَخَفَ بِشَيْءٍ مِنْ أَوْامِرِهِ وَنُواهِيَهِ ، أَوْ تَعْرَضَ إِلَى أَدْنَى صَغِيرَةٍ مِنْ مُنَاقَضَةِ مَقَاصِدِهِ وَمَنَاهِيهِ ، فَقَدْ تَعْرَضَ لِمُلْمِمِ الْأَنْكَارِ ، وَاستَوْطَأَ مَرْكَبَ الْعَثَارِ ، وَاسْتَمْرَرَ عَلَى مَرِيرَةِ الْقَسِّ وَالْأَحْبَارِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ لِرَبِّ غَيْرِهِ » .

حسين مؤنس

(١) كذا بدون همزة . والرئيس الأَجْلُ أو الرَّئِيسُ الأَجْلُ ، أو الرَّائِسُ الأَجْلُ ، هو اللقب الرسمي الذي كان يخاطب به أولئك الذين كانوا يستقلون بناحية صغيرة ويدخلون في نفس الوقت في حماية أمير كبير من أمراء الطوائف .

(٢) لاحظ تكثية إِسْمِ الرَّئِيسِ وَذَكَرُ اسْمِ الْفَاضِيِّ دُونَ تَكْثِيَةِ .

(٣) كذا في الأصل ، وهي صورة إِمْلَائِيَّةٌ شائعةٌ في هذه النصوص .

## ملحق ١

صفحة ١٢٠ من المخطوط ٤٨٨

[١] يشتمل على ضروب من الآداب والأشعار لعلماء جلة يطول تفصيل أسمائهم وتنوع مقاصدهم وأنجحهم منها تأليف لفتاح بن خاقان في ذكر الفقيه أبي محمد بن السيد يحتوى على [قدر][٢] عظيم من آدابه ومراسلات بينه وبين جماعة من أدباء عصره [٣] وقطعة صالحة من فاخر شعره ومن رسائل الفتح بن خاقان ورسالة عن أمير المسلمين [٤] يعقوب [٥] بن تاشفين لتميم ابن المعز في فتح المغرب وهزيمة أذفونش طاغية [٦] رسالة لابن شرف في فتح أقليش ورسالة من قاضي سرقسطة لبني تاش [٧] فين [٧] الحصار ورسالة ابن أبي الخصال لقب النبي عليه السلام وأخرى في معناها لابن السيد ورسائل لابن أبي الخصال ورسالة للمنقتل الشاعر ورسائل عن أمير المسلمين ابن تاشفين لابن أبي الخصال وغيره ورسالة من أمير المؤمنين المستظهر بالله لابن تاشفين ورسالة لابن حسان ورسائل لأدباء شتى ومقامات لفتاح بن خاقان وغيره ومن شعر ابن أبي الخصال وشعر منظوم في صداق لابن علقة وقصيدة لابن الخصم وقصيدة لابن عبد الصمد يرثى المعتمد وقصيدة للستي ومن شعر ابن عمار وقصيدة لابن البانة يرثى المعتمد وقصايد له وشعر لابن زيدون ورسالة الانتصار لابن أحمد [٨] ورسائل لابن طاهر ورسالة لابن القلاس وقصيدة لابن حبيب ومن كتب ابن عبد العزيز معاور وتعزية لأبي إسحاق بن فرقان واختصار رحلة ابن

(١) كلمة ناقصة عشرة القراءة . والسطر السابق على هذا كله ممحو .

(٢) ما بين القوسين لازم لفهم العبارة .

(٣،٤) ما بين القوسين ممحو في الأصل وما أبنته في الموضعين هو ما يقتضيه سياق العبارة .

(٥) كذا في الأصل وصحتها يوسف بن تاشفين .

(٦،٧) ما بين الأقواس في الموضعين ممحو في الأصل وما أبنته في (٧) هو تتمة مناسبة لمبدأ الكلمة .

(٨) كذا في الأصل ، وصحتها لأبي حيّات .

ـ عل ضر و من امدادـ و اشـارـ لـعلمـاءـ يـلـيـهـ يـلـيـهـ يـلـيـهـ  
ـ اـسـاـبـيـهـ وـ تـفـوـيـعـ مـحـاـدـدـهـ دـاـخـلـهـ مـنـهـ نـالـيـدـ لـلـعـلـيـهـ رـجـاـفـهـ نـهـ فـرـ الـعـلـيـهـ اـذـيـهـ  
ـ لـلـسـيـرـ هـمـتـوـيـهـ عـلـ عـلـيـهـ بـرـ اـبـهـ وـ رـوـاـتـاتـ بـيـنـهـ دـيـزـ جـاـعـهـ مـنـ اـمـادـهـ  
ـ وـ نـكـعـةـ حـالـةـ مـنـ هـاـنـوـمـشـعـرـ وـ مـنـ سـابـلـاـ لـلـعـلـيـهـ رـجـاـفـانـ وـ رـوـسـالـةـ هـرـ اـمـيرـاـتـ  
ـ يـغـوـرـتـ شـبـيـرـ تـبـيـهـ لـلـعـلـيـهـ بـنـهـ الـمـبـرـوبـ دـمـزـيـهـ اـنـهـ جـوـ فـرـ كـانـيـهـ شـيـهـ  
ـ دـوـسـالـةـ لـاـ رـشـبـ دـمـيـهـ اـنـهـ اـلـفـلـيـشـ دـوـسـالـةـ مـنـ نـاطـهـ مـرـنـظـهـ لـيـهـ تـاـهـ  
ـ الـبـكـارـ وـ دـوـسـالـةـ اـرـطـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ  
ـ طـرـيـقـ اـنـظـالـ دـوـسـالـةـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ لـلـفـلـاـلـاـ

فـوـاتـ أـلـهـاـضـ جـيـعـ مـاـنـقـيـدـ بـيـوـقـ مـيـزـ وـ مـنـهـاـ مـاـاـكـلـتـهـ وـ سـعـتـ أـبـعـاضـ لـرـدـنـهـاـاـلـدـ  
ـ سـيـاعـةـ عـلـاـشـيـنـ الـعـلـيـهـ (ـاـسـتـانـدـلـ مـكـاـعـمـيـهـ عـيـسـيـعـيـهـ)ـ (ـماـزـيـلـ الشـيـيـ بـلـ الشـلـوـيـيـ بـلـ)  
ـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـ اـبـاـزـلـوـيـ ماـتـهـ مـنـهـاـ مـاـهـ،ـ دـوـيـقـهـ وـ نـاوـيـهـ (ـسـهـرـ بـلـكـلـتـهـ وـ اـبـاـجـ بـلـ رـوـاـتـهـ)  
ـ مـاـدـرـ وـ رـوـيـتـهـ مـنـهـ وـ اـسـنـادـ الـبـهـ بـهـ وـ الـلـهـ بـنـيـعـ فـلـمـ نـالـهـ وـ كـتـهـ صـبـيـوـ (ـالـعـلـيـهـ الـبـهـ)  
ـ مـحـمـدـ اـحـدـ عـنـ الـقـهـ رـجـهـ رـئـيـيـ قـيـدـ رـجـدـرـلـ (ـالـفـاسـمـ رـجـهـ عـلـ الدـخـلـ الـوـرـسـيـيـ الـنـاسـ)  
ـ لـلـيـعـسـوـ بـهـ وـ قـيـدـ الـلـهـ مـاـسـلـاـرـيـهـ وـ مـصـلـيـاـ عـلـ دـيـنـهـ عـلـهـ اـلـخـرـمـ وـ مـلـ  
ـ الـلـهـ وـ نـدـلـهـ كـلـهـ بـيـ عـفـهـ مـهـمـيـ فـعـدـ مـسـنـةـ ثـلـاثـ وـ اـرـبـعـيـ وـ سـتـ مـاـيـهـ كـلـهـ بـيـ  
ـ الـلـهـ كـلـهـ بـيـ عـفـهـ مـهـمـيـ فـعـدـ مـسـنـةـ ثـلـاثـ وـ اـرـبـعـيـ وـ سـتـ مـاـيـهـ كـلـهـ بـيـ

صـورـةـ صـفـحةـ ١٢٠ـ اـمـنـ الـخـطـوـطـ رقمـ ٤٨٨ـ ،ـ وـفـيـهـ بـعـضـ مـخـتوـيـاتـ وـاقـرـارـ  
ـ اـبـنـ سـعـيـدـ النـاسـ الـيـعـمـرـيـ بـأـنـهـ قـرـأـ هـذـاـ السـفـرـ عـلـ أـبـيـ عـلـ الشـلـوـيـيـ وـأـنـ هـذـاـ  
ـ الـأـخـيـدـ أـجـازـ لـهـ رـوـاـيـتـهـ ،ـ وـفـيـ آـخـرـهـ تـوـقـيـعـ أـبـيـ عـلـ الشـلـوـيـيـ عـاـيـدـ ذـلـكـ كـلـهـ .ـ  
ـ اـنـظـرـ قـرـاءـةـ هـذـهـ الصـفـحةـ فـالـلـمـحـقـ رقمـ ١ـ فـيـ نـهـاـيـةـ هـذـهـ المـقـالـ سـ ١٣٨ـ



أهلكته كنوم فله ملائكة علو أبوابه طالباً باباً لرجلة ودمعه في الماء  
وتنفس العاكلها لغفه ومتى نعمت بالدمير على روسه سرتا شعيب  
ومحاصبه ألا هب الرئيس وجوهاته كلها أيام الباشية أبا حي ودوا نباتات  
ألا صبيه وألا هب المجزرة العصراً عصيوكات وعمرها زادت  
**بِاللَّهِ يَنْفُذُ وَعْدُهُ يَنْتَهُ كُلُّ وَعْدٍ يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ**  
وهي رئيسة الماء وتحفي التكملة ورسالة كابراتي الدلتات بينها  
وبيه أمر اسمها مجده لكتة وسمها هيل ملصوم العفة وأخوه هو جبريل  
شارعه عاد بغير الطائبين اللوسن لا تعلمها أحد الماء  
وكذلك مجده معرفه وأجعلنا من بين بلطفاته وروض انتقامته  
مجده ومحظوظ هو خمسيني دارم بلغ أحد الماء ودارم  
الجنة راعتها حليم مامور رافر رافر رافر لمسه له بربطة

## الكتاب

صورة صفحة ٤٦ ب من الخطوط رقم ٣٨ وفيها بيان بعض محتواه .  
انظر قراءة هذه الصفحة في ملحق ٢ باخر هذا المقال ص ١٣٩

أهل سبتة لأهل الجزيرة الخضراء ومضحكات وغرائب . بالله يثق وعليه يتوكّل  
ويعتمد مالكه محمد بن يوسف بن محمد .

وفيه رسالة للإمام الحنفي في المنطق ورسالة لابن أبي الصلت فيه أيضاً  
وفيه المراسيم الجدلية ومسائل من أصول الفقه والحمد لله حق حمده .

كان من دعاء بعض الصالحين : اللهم لا تجعلنا بثنا [ء] الناس مجتدين <sup>(١)</sup>  
ولا بالسنتين مفتونين واجعلنا من يؤمن بلقائك ويرضي بقضائك [ ] <sup>(٢)</sup>  
عطائيك ويخشاك حق خشيتك يامن بلغ أهل الخير وأعا [ نهم ] <sup>(٣)</sup>  
أصلحنا وأعنا عليه ياملك يانور يامن ليس له بديل .

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) ما بين القوسين ممحو في الأصل .

(٣) لم يظهر من هذه الكلمة غير الحروف الثلاثة التي قبل القوس ، وما بين القوسين  
محو بالأصل .

# مصحف مذهب من العصر الغرناطي

بخزانة كتب الفقيه السير محمد بن داود بن طواه

تقدمت الدراسات الخاصة بالفنون والآثار الإسلامية الإسبانية في السنوات الأخيرة تقدماً ملحوظاً وحظيت بعناية علماء الآثار والمتخصصين فيها ، غير أن هذه العناية لم تشمل — للأسف الشديد — مختلف المنتجات الفنية الإسلامية إذ اقتصرت على أنواع معينة منها ، وظلت الأنواع الأخرى في حاجة إلى كثير من العناية والاهتمام والتوفير على دراستها ، ولعل الأمر في ذلك راجع إلى كثرة ووفرة القطع الفنية التي وصلت إلينا من المجموعة الأولى مما ساعد على دراستها وقلة ما نعرفه عن المجموعة الثانية ؟ الأمر الذي يقف حجر عثرة في سبيل دراسة الأساليب الفنية والعناصر الزخرفية وتطورها على مر العصور ، وكل هذا من شأنه أن يجعل من الصعب علينا تأريخ القطع الفنية ويعرض استنتاجاتنا وأحكامنا للتغيير والتبديل المستمر .

وفن التذهيب أحد هذه الميادين التي لا نعلم عنها الكثير ، إذ قليل ما وصل إلينا من الخطوطات الفنية ومن هذه : خطوطات في جامع القيروان تورخ من القرن ٥ هـ (١١ م)<sup>(١)</sup> وبعض أوراق من مصحف من القرن ٦ - ٧ هـ (١٢ - ١٣ م)<sup>(٢)</sup> ومصحف من القرن ٧ هـ (١٣ م) كان في مجموعة مارتني<sup>(٣)</sup> وآخر في مكتبة الدولة بميونخ<sup>(٤)</sup> . ولدينا مصحفان مؤرخان من القرن ٨ هـ (١٤ م) تأريخ أحدهما — وهو محفوظ في المكتبة الأهلية بباريس —

Migeon: *Manuel d'art Musulman* (1927) p. 120 (١)

Dimand: *Handbook of Mohammedan Art* (1947) p. 69 fig. 39 (٢)

Kühnel: *Maurische Kunst* (1924) Pl. 136 ibid: *Islamische Kleinkunst* (1925) (٣)

fig. 39

Kühnel: *Op. Cit.* Pl. 137-138; *Op. Cit.* fig. 16 (٤)

٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م)<sup>(١)</sup> (شكل ١١ - ١٢) وتاريخ الآخر ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م)<sup>(٢)</sup> وعلاوة على هذين المصحفين المؤرخين ، نجد جزءاً من مصحف من نفس القرن في متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد<sup>(٣)</sup> (شكل ١١ - ١٢) وجزءاً آخر في مجموعة الفقيه السيد محمد بن داود ببطوان وهو موضوع هذا البحث . ووصل إلينا كذلك مصحف من القرن ٩ هـ (١٥ م)<sup>(٤)</sup> ينسب إلى غرناطة أو فاس وكان في مجموعة أوبنهم<sup>(٥)</sup> . وفي مكتبة الاسكورت يال مصحف بديع من القرن ١٠ هـ (١٦ م) تاريخه ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م)<sup>(٦)</sup> وهو المصحف المعروف بمصحف مولاي زيدان<sup>(٧)</sup> وبكل من دار الكتب المصرية<sup>(٨)</sup> ومكتبة وجامع الجزائر<sup>(٩)</sup> مصحف من هذا القرن ١٠ هـ (١٦ م) ، وتحتفظ دار الكتب المصرية أيضاً بمصحف من القرن ١٢ هـ (١٨ م) تاريخه ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م)<sup>(١٠)</sup> .

وهكذا نرى أن مجموعة المخطوطات المذهبة المعروفة لنا ترجع إلى مختلف القرون وتمثل بذلك الإنتاج الفنى على مر العصور ، غير أنها من القلة بحيث لا ترقى بالغرض المقصود من الدراسة التي ترمى إلى معرفة مختلفة مختلف الأساليب الفنية والعناصر الزخرفية التي جلأ إليها الفنانون المسلمين في إسبانيا أو المغرب لزخرفة المخطوطات وتربيتها بالرسوم وتطورها ؛ تلك الدراسة التي تحتاج إلى توفر المخطوطات لكي نطمئن إلى صحة النتائج التي نصل إليها ، ولذا فإننا لا زلنا في حاجة إلى

Blochet: *Les Enluminures des Manuscrits Orientaux* (1926) Pl. XVII ; Migeon: (١)  
*Op. Cit.* p. ١٢٠

Lévi-Provençal: *Note sur un Qor'an Royal du XIV siècle*. Hespèris (1921) (٢)  
 I. I, ١<sup>er</sup> Trim. p. ٨٣—٦

Glück & Diez (Gómez Moreno) *Arte del Islám* (1932) Pl. LVI. p. ٧٥٢ (٣)

Kühnel: *Op. Cit.* Pl. ١٣٩; *Op. Cit.* fig. ٥; Migeon. *Op. Cit.* p. ١١٩ (٤)

Kühnel: *Op. Cit.* Pl. ١٤٠; Migeon *Op. Cit.* p. ١٢٠ fig. ٨—٩ Lévi-Provençal: *Les* (٥)

*Manuscrits Arabes de l'Escorial* (1928) T. ٣° Pls. ١—٢ Migeon: *Op. Cit.* p. ١١٩ (٦)

Migeon: *Op. Cit.* p. ١٢٠ (٧)

Kühnel: *Maurische Kunst* Pl. ١٤١; Migeon *Op. Cit.* p. ١٢٠ (٨)

نشر كل ما يمكن أن نعثر عليه من هذه المخطوطات سواءً كانت في المكتبات العامة أو الخاصة أو المتاحف حتى تناح لنا الفرصة لشكوين فكرة صحيحة بقدر الإمكان عن هذا النوع من الإنتاج الفنى الإسلامى فى إسبانيا أو المغرب . ويسرى أن أسامى فى العمل على تحقيق هذه العالية بالتحدث عن جزء من مصحف مذهب عثرت عليه فى عام ١٩٥٢ فى مكتبه الفقى السيد محمد بن داود بتطوان وقد سمح لي مشكوراً بدراسته وتصویره كما تفضل فوافق على نشر صوره .

وأوراق المصحف من رق غزال عاجى اللون به آثار رطوبة ويشتمل على ٣٤ ورقة أبعادها ١٨,٧ × ١٦,٥ سم وبه صفحتان مذهبان هما ورقة ١ (شكل ١) وورقة ٣٤ ب (شكل ٢) علاوة على العناوين المذهبة وسائر العناصر الزخرفية التي اعتاد المذهبون أن يرسموها فى المصاحف مثل فواصل الآيات وعلامات الأعشار والأختام والإطارات المشتملة على عناوين السور وبعض العناصر الزخرفية في هوماش الصفحات .

والجزء الذى عثنا عليه هو بعض من الجزء التاسع والأربعين من المصحف على ما جاء في الورقة ٣٤ ب إذ نجد النص الآتى : « كمل الجزء التاسع والأربعون بحمد الله وعونه » (شكل ٢) . ونلاحظ أن التقسيم المغربي هذا يخالف التقسيم الشرقي للمصحف إذ أن آيات السور الواردة به وهى سورة الشورى ورقة ٥ وسورة الزخرف ورقة ١٢٨ (شكل ٤) تقع في الجزء الخامس والعشرين من التقسيم الشرقي للمصحف .

وقد استخدم الكاتب نوعين من الخط (شكل ٣ ورقة ١ ب ) الأول خط أندلسى جميل لكتابة آيات السور ، وقد اعتاد الخطاط أن يكتب في الصحيفة الواحدة ستة أسطر وذلك فيما عدا الصفحات التي نجد بها عناويناً أو إطارات مذهبة إذ يقل عدد الأسطر عن ستة وتتراوح مساحة الجزء المكتوب بين ١٣ — ١٥ × ١٢ سم ؛ أما النوع الثانى من الخط فهو الكوفى كتبت به عناوين

السور أو التعويذة أو البسمة . . . الخ . وقد كتبت الحركات بالمداد الملون فاللون الأحمر للفتحة والكسرة والضمة واللون الأخضر أو الأزرق الضارب إلى الخضراء للسكون والشدة .

وفوائل الآيات على شكلين ، الأول دائرة مركبها نقطة حمراء ومقسمة إلى ثمانية أقسام أو فصوص ملونة باللون الذهبي ، وبمحيطها ثمان نقاط حمراء وخضراء على التوالى (شكل ٤) . والشكل الآخر على هيئة نصف قلب تقريباً (شكل ٥ ورقة ٢٥ ب) . وقد اتخذ الخلطاط للأعشار علامة تخالف علامة الأخماس فعلامة الأعشار أربع دوائر متعددة المركز الأولى من الداخل ذات لون بني مكتوب داخلها لفظ عشر والثانية زرقاء اللون والثالثة مقسمة إلى ثمانية أقسام ذهبية اللون والرابعة زرقاء (شكل ٤) . أما علامة الأخماس فدائرة يعلوها شكل مثلث بداخله زخرفة بسيطة كأنها فرع وورقة نباتية (شكل ٥) قريبة الشبه بالزخرفة الموجودة في زوايا المربع الأوسط في شكل ٢ .

ومن العناصر الزخرفية الأخرى التي استخدمها المذهب في تزيين هواشم الصفحات دائرة مكونة من أفرع نباتية متداخلة متشابكة وقد اعتقد أن يربط بينها وبين العناوين كما في (شكل ٤) أو الإطارات كما في شكل ٦ (ورقة ١٣٤) والإطار هنا مستطيل الشكل أبعاده  $12,4 \times 9,3$  سم . بضلعه الأعلى عقدان مفصصان وبداخل المستطيل عبارة «صدق الله العظيم» مكتوبة بالخط الكوفي .

وإذا كان الإطار السابق بسيطاً خالياً من الزخرفة فإن الإطار المرسوم في الورقة ١ ب (شكل ٣) غنى بها وهو على هيئة مستطيل أيضاً تقرأ بداخله «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بالخط الكوفي الجميل على أرضية من الأفرع النباتية المتوجة والأزهار الطبيعية المتقدة ويحيط بهذا إطار به عصابة مجولة . ويخرج من زواياه خطوط قصيرة .

**وزخرفة الورقة ١١ (شكل ١)** عبارة عن دائرة داخل مربع أبعاده  $١٢,٣ \times ١٢,٢$  سم . أما الدائرة فتركزها عبارة عن نجمة ذات ثمانية أطراف فراغها مزين برسوم توريق أى الأفرع النباتية المتداخلة ، ومتند أضلاع النجمة إلى الخارج فيتكون عن هذا الامتداد أشكال مستطيلة تظهر أضلاعها المقابلة لأطراف النجمة كأنها عقود نصف دائيرية أقوانها غير تامة إذ تتدلى أقسام الأقواس إلى الخارج صرفة أخرى مكونة عقوداً مدببة تخرج منها خطوط إلى اليمين وإلى الشمال فتلتقي مكونة أشكالاً مربعة ، ويكون من هذه الخطوط محيط الدائرة التي تظهر مساحتها كأنها ملوءة بالخطوط المتداخلة والمتراكبة ، وقد مليء الفراغ بينها برسوم الأفرع النباتية . أما الرسوم المحسورة بين زوايا المربع ونقط تمس الدائرة بأضلاعه فعبارة عن توريق ويحد هذا كله إطار به عصابة مجدهلة تشبه تلك الموجودة في الإطار المرسوم في الورقة ١١ (شكل ١) ويخرج من زوايا المربع الخارجية خطوط قصيرة ، كما نجد زخرفة من توريق في هامش الصحيفة وخارجها من أحد الضلعين القائمين للمربع .

أما زخرفة الورقة ٣٤ ب (شكل ٢) فنـ دائرة أيضاً بوسطها نجمة متعددة الأطراف بداخلها النص الآتـى «كـلـ الجـزـءـ التـاسـعـ والأـرـبعـونـ بـحـمـدـ اللهـ وـعـونـهـ» الذي سبقت الإشارة إليه . والفراغ المحصور بين هذه النجمة ومحيط الدائرة ملءـ بأـشـكـالـ هـنـدـسـيـةـ مـتـنـوـعـةـ وـرـسـومـ عـقـدـ عـلـىـ أـرـضـيـةـ مـوـرـقـةـ . وقد زين الفراغ المحصور بين زوايا المربع والدائرة برسم ورقة نباتية على هيئة قلب يخرج منها فرعان نباتيان . أما الإطار الخارجي للمربع فمزخرف برسوم توريق من فرع نباتي متلوى يخرج منه نصف مروحة نخيلية . ويخرج من زوايا المربع الخارجية خطوط قصيرة وكذلك نجد الزخرفة من التوريق بهامش الصحيفة ومتصلة بأحد ضلعـيـ المـربعـ القـائـمـينـ .

**والأـلـوانـ** السائدة في هذا الخطوط هـيـ الـذـهـبـيـ وـالـأـزـرـقـ وـالـبـنـيـ وـالـأـحـمـرـ والبنيجـيـ .

[٦] وجزء المصحف هذا الموجود في طوان يشابه الجزء الموجود في متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد في الخط والزخارف والألوان ولذا نرى أن كلا منها يرجع إلى مصحف واحد . (قارن الأشكال ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) .

ويدل نوع الخط وأساليب والعناصر الزخرفية في جزء طوان وجزء مدريد على أن المصحف يرجع إلى القرن ٨ هـ (١٤ م) . فنجده تشابهًا بين هذا المصحف والمصحفين المؤرخين من القرن ٨ هـ (١٤ م) . فمن حيث الخط يشابه مصحف الجزائر المؤرخ ٨٠١ هـ (١٣٩٩ م - ١٣٩٨ م)<sup>(١)</sup> ، ويشابه مصحف المكتبة الأهلية بباريس المؤرخ ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) في الزخارف ، فالتصميم العام للصفحات المذهبة قريب الشبه جداً بالرغم من الاختلاف في بعض التفاصيل (قارن شكل ١٠ وشكل ١٢) وكذلك نجد التشابه في الدوائر التي تزخرف هوماش الصفحات (قارن شكل ٣ ١٠ ، ١١ بشكل ١٢ ، ١١) كما يشابه تصميم زخرفة جلد كتاب محفوظ في جامع ابن يوسف بمراكش<sup>(٢)</sup> .

وعلاوة على ذلك تتشابه عناصره الزخرفية بعناصر التحف التي ترجع إلى القرن ٨ هـ (١٤ م) . فنجده أن الرسوم الموجودة في شكل ٩ قريبة الشبه من رسم على إحدى جدران قسم الحريم بقصر الحمراء<sup>(٣)</sup> . كما نجد الإطار النباتي في شكل ١ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ على علبة من النحاس الأصفر<sup>(٤)</sup> . وأخيراً نجد الإطارات الجدولية بكثرة في زخارف بلاطات القاشاني التي تغطي قصر الحمراء<sup>(٥)</sup> وفي الجص بهذا القصر<sup>(٦)</sup> .

Lèvi-Proveaçal: *Op. Cit.* (١)

Torres Balbás: *Ars Hispaniae* (١٩٤٩) T. V. fig. ٥١ (٢)

Ibid: fig. ١٩٦ (٣)

Ibid: fig. ٢٤٩ (٤)

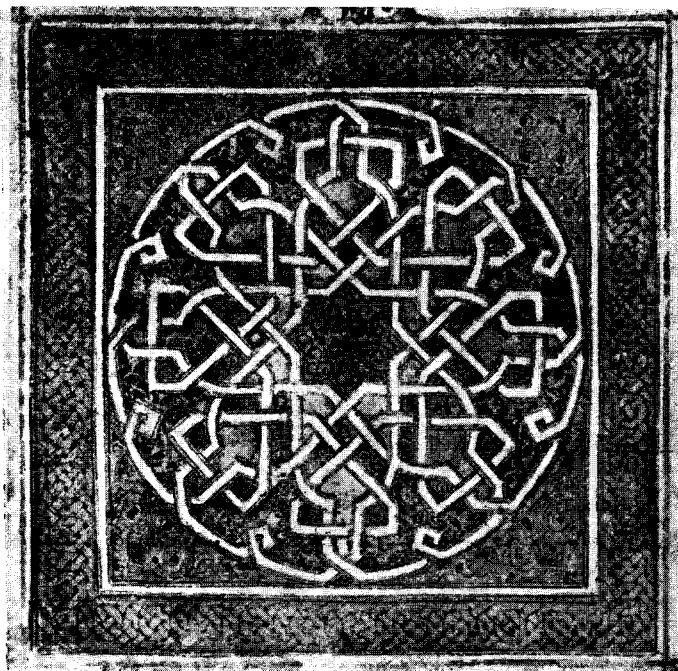
Macario Golferich: *La Alhambra De Granada* (١٩٢٩) Lámina después de la

página ١٥٠ Calvert: *The Alhambra*, (١٩٠٤) fig. ٣٠١ Torres Balbás: *Op. Cit.* fig. ١٩٥;

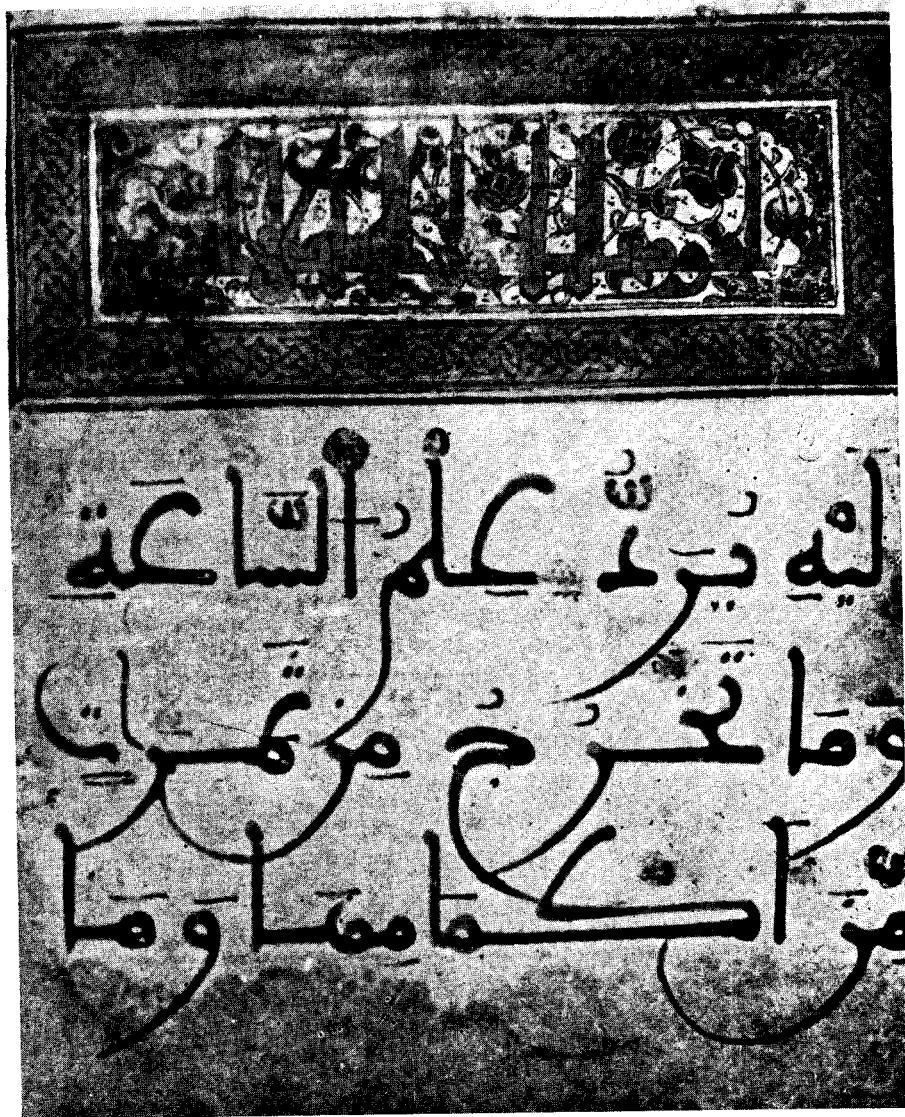
Calvert: *The Alhambra* Pl. L. (٦)



(شكل ٢) زخرفة الورقة ٣٤ بـ في مصحف طوان  
القرن ٨ هـ – ١٤٠٤ – غرب آسيا



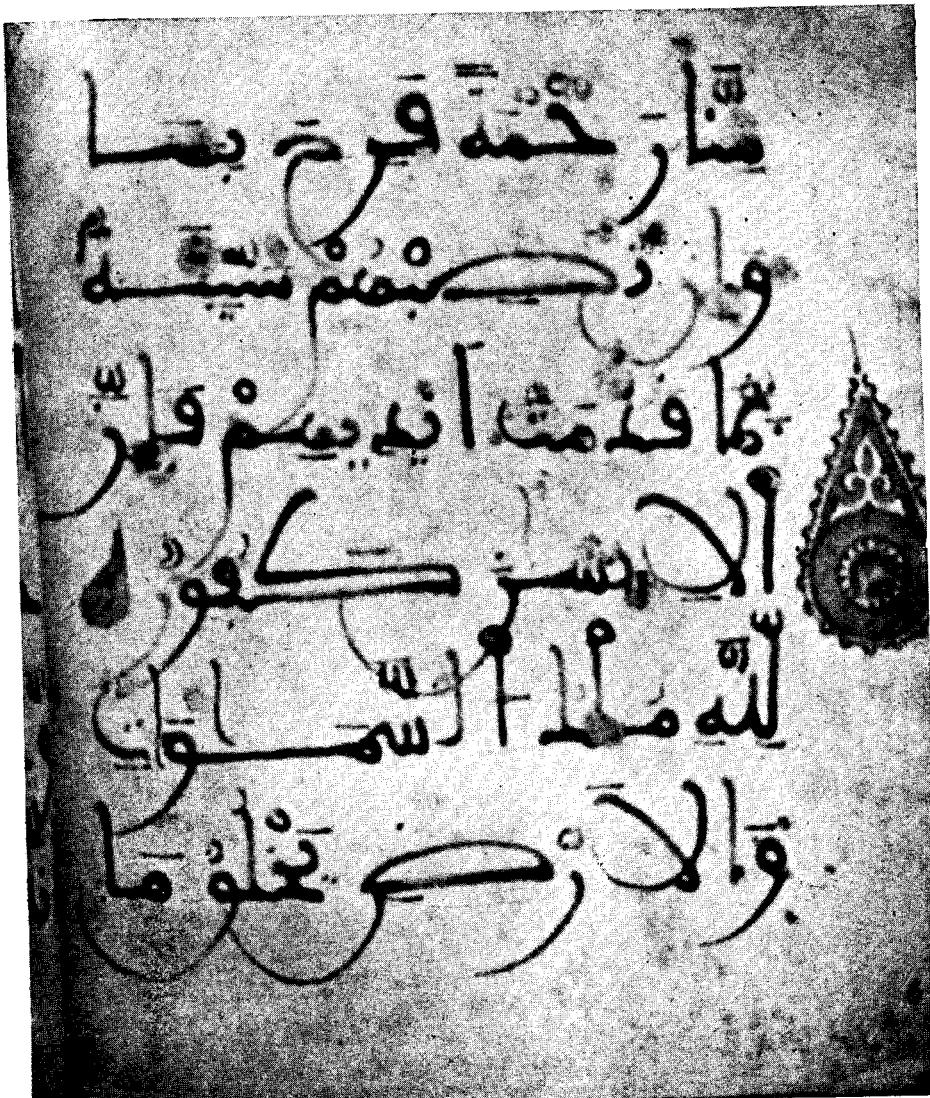
(شكل ١) زخرفة الورقة ١ في مصحف طوان  
القرن ٨ هـ – ١٤٠٤ – غرب آسيا



(شكل ٣) الورقة ١ ب من مصحف تطوان ويظهر فيها نوعاً الخط اللذان استخدما في كتابة هذا المصحف وكذاك زخارف الإطارات القرن ٨ هـ - ١٤ م — غرناطة



(شكل ٤) الورقة ٢٨ من مصحف طوان وتبين فوائل الآيات وعلامة الأعشار والدواير  
الزخرفية ونوع الخط : العنوان الكوفى سورة الرعد : القرن ٨ هـ — ١٤ م — غرناطة

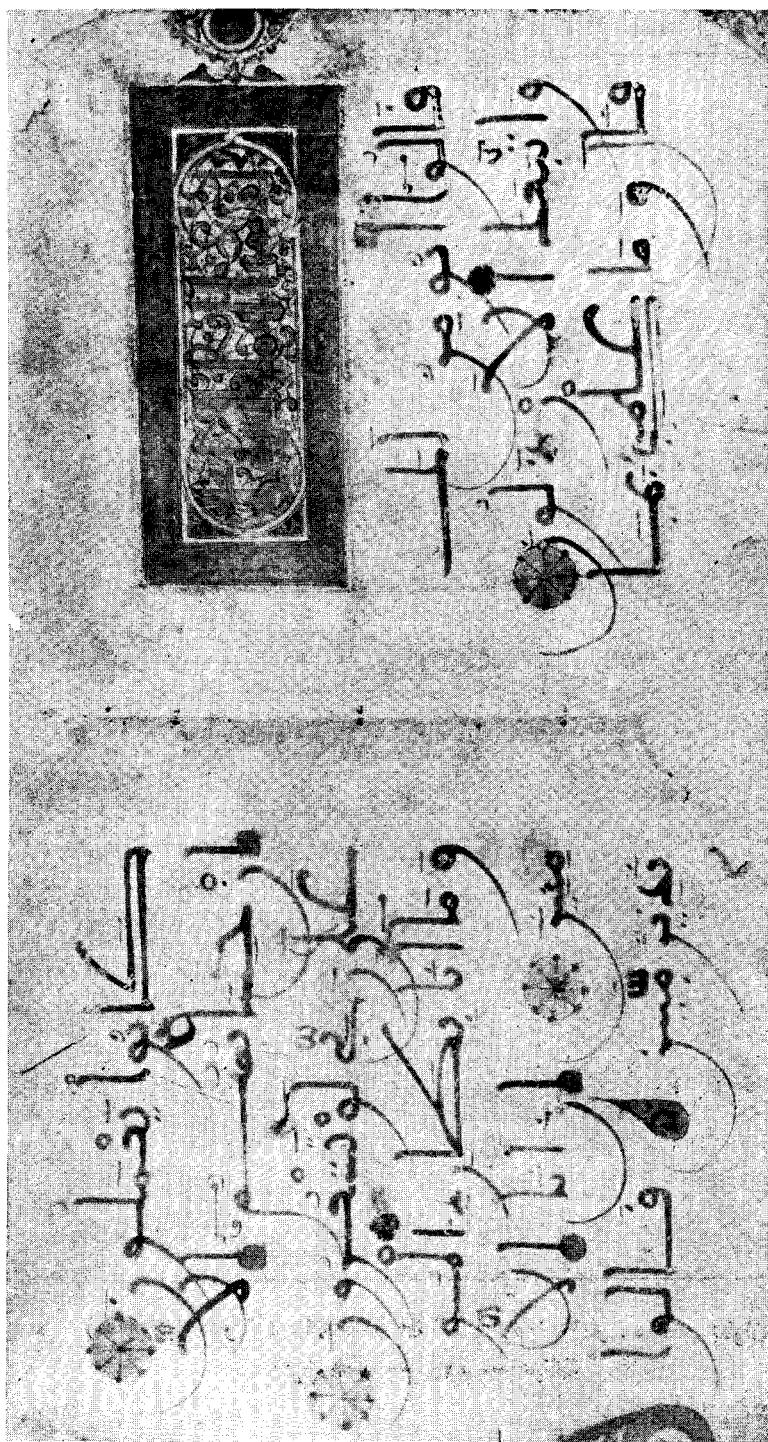


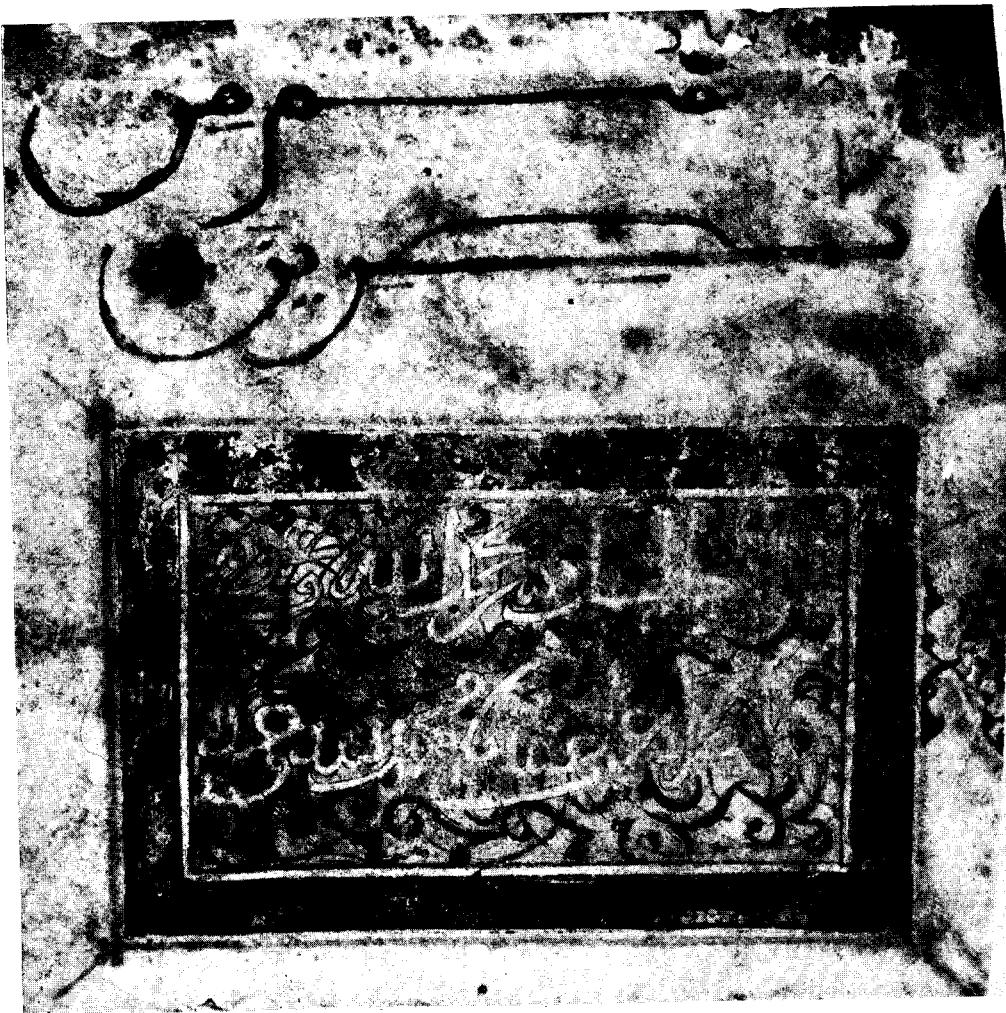
(شكل ٥) الورقة ٢٥ ب من مصحف طلوان وتبين فوائل الآيات وعلامة الأخاس  
القرن ٨ هـ — ١٤ م — غرناطة



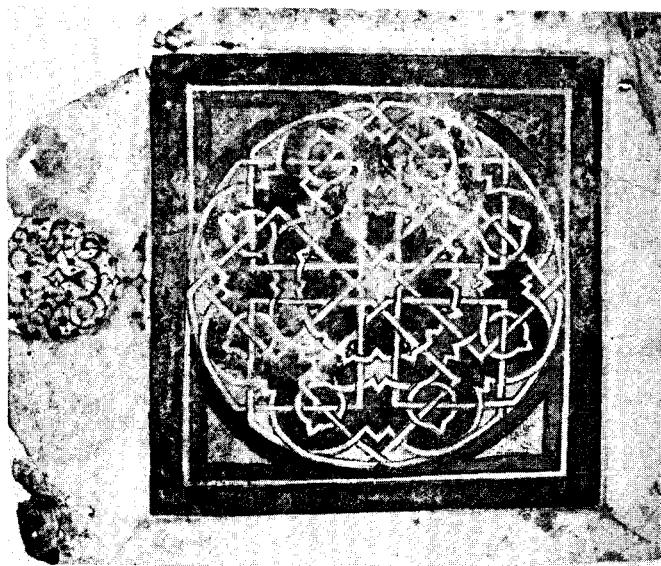
(شكل ٦) الورقة ١٣٤ «صدق الله العظيم» داخل إطار ، مصحف تعلوان  
القرن ٨ هـ — ١٤ م — غرب ناطة

(شكل ٧) صفحان من مصحف متحف بلنسية دي دون خوان بدوريد القرن ٨ م — ١٤١م — غرناطة

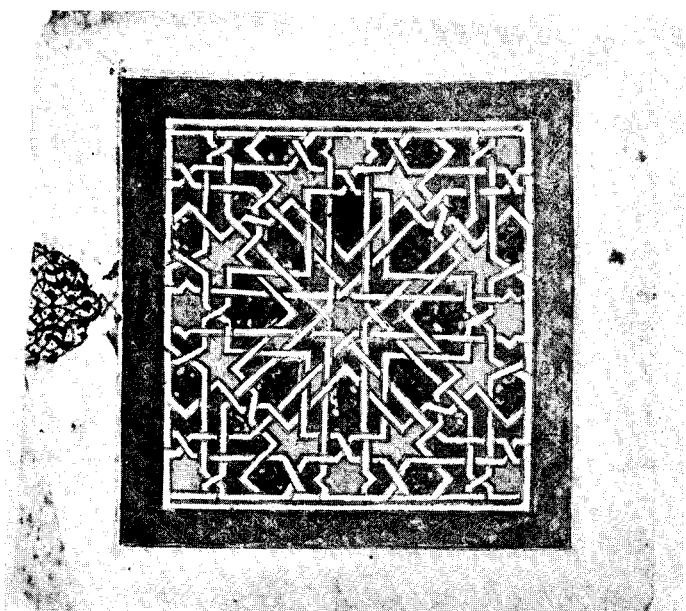




(شكل ٨) الورقة ٧٣٢ ب من مصحف مدريد ، وبالاطار النص الآتي : كمل الجزء السادس  
بحمد الله وعوته والصلاه على سيدنا محمد نبيه وعبده ، القرن ٨ هـ — ١٤ م — غرناطة

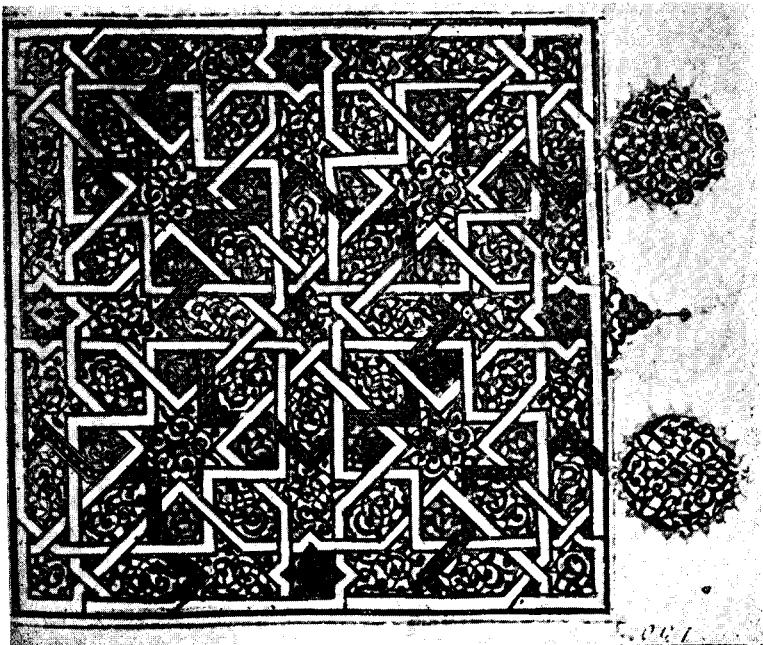


(شكل ٩) زخرفة احدى صفحات مصحف مدريد  
القرن ٨ هـ — ١٤١م — غرناطة

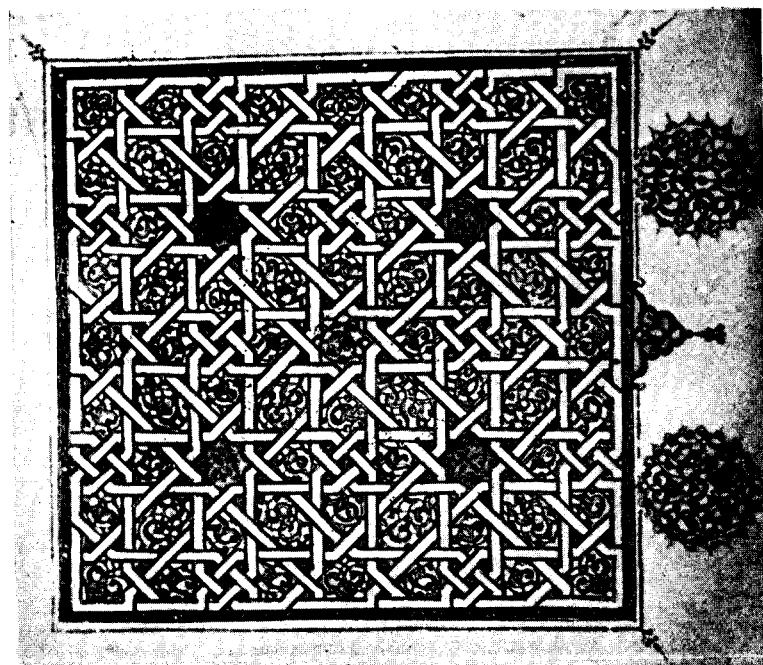


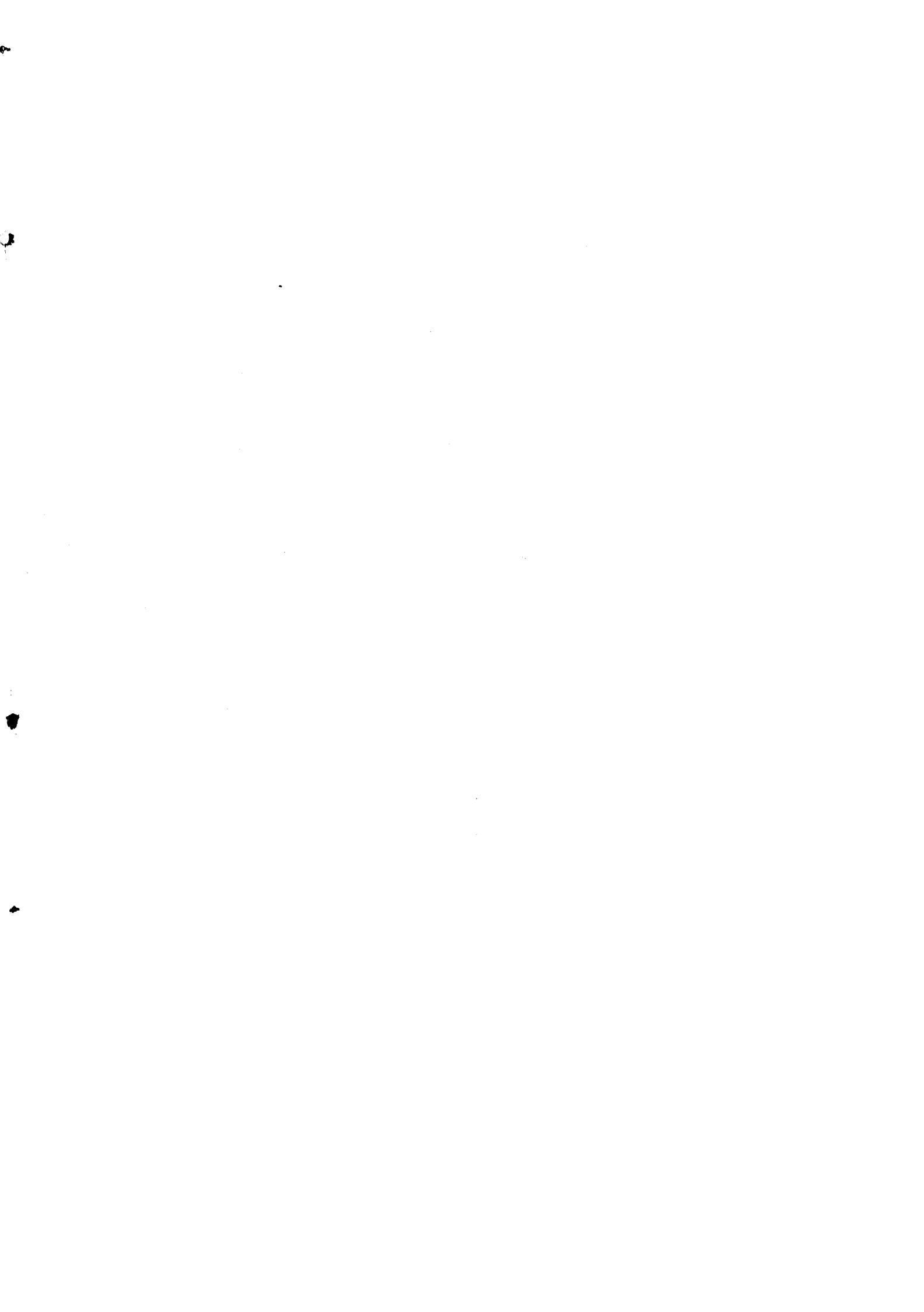
(شكل ١٠) زخرفة أخرى لاحدي صفحات مصحف مدريد  
القرن ٨ هـ — ١٤١م — غرناطة

(شكل ١٢) زخرفة أخرى لأحدى صفحات مصحف  
المكتبة الأهلية بباريس ٧٠٣ هـ — ١٣٠٤ م



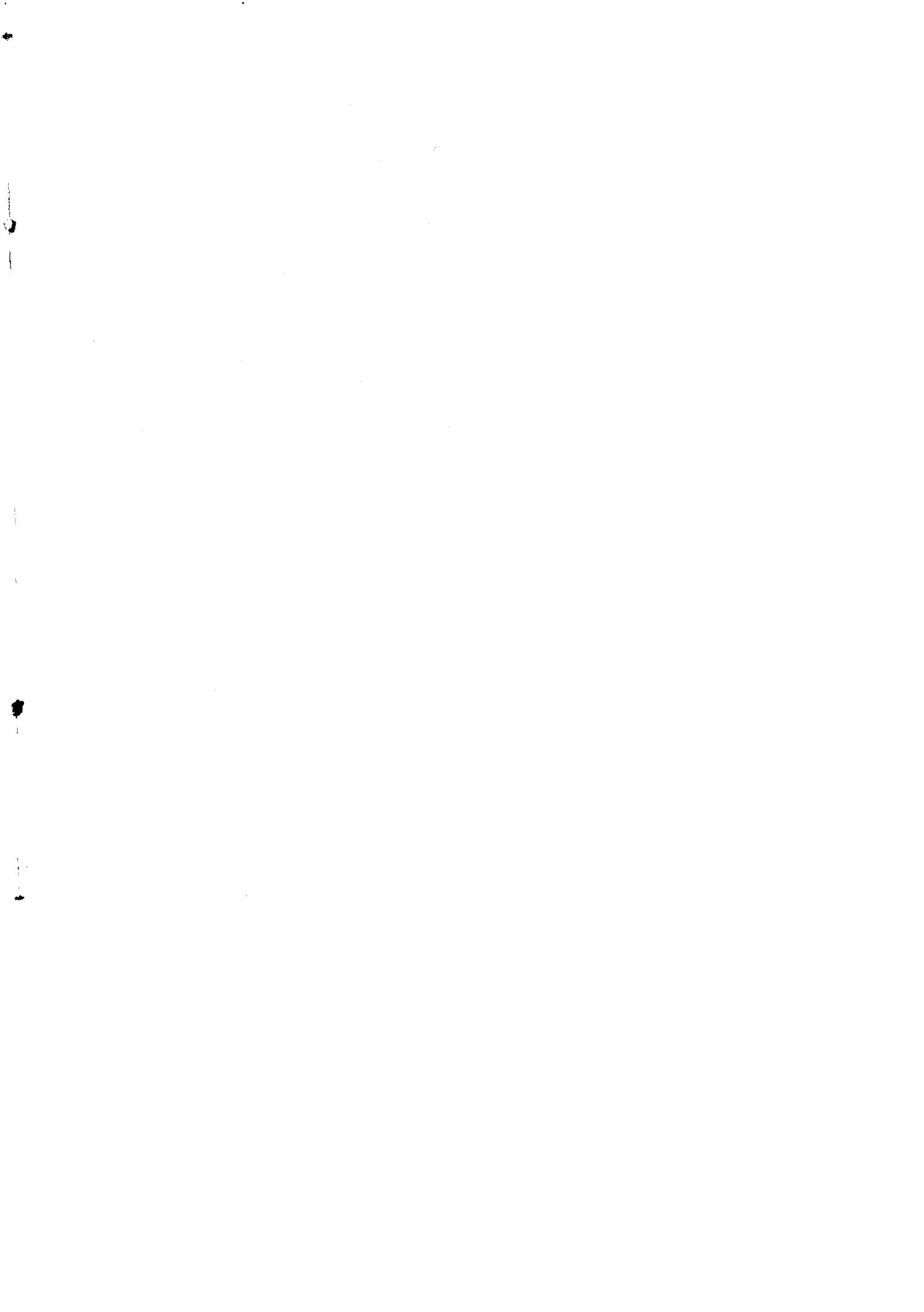
(شكل ١١) زخرفة أخرى أحدى صفحات مصحف  
المكتبة الأهلية بباريس ٧٠٣ هـ — ١٣٠٤ م





ويذهب الأستاذ جومت مورينو إلى نسبة الجزء المحفوظ من هذا المصحف بمدريد إلى النصف الأول من القرن ٨٥ - ١٤ م<sup>(١)</sup>، غير أن التشابه الشديد بين خط هذا المصحف وزخرفته وخط وزخرفة الإطار في المصحف الذي يرجع إلى ٨٠١ هـ (١٣٩٩ - ١٣٩٨) يجعل الرأى الذي ذهب إليه الأستاذ جومت مورينو محل شك ، والحق إنه لمن الصعب علينا أن نحدد فترة بعينها خلال القرن ٨٥ - ١٤ م يناسب إليها هذا المصحف إذ ليست لدينا الأدلة الكافية أو المخطوطات أو المصاحف المؤرخة التي يمكن أن نعتمد عليها في تحديد الفترة من القرن ٨٥ - ١٤ م التي يمكن أن يرجع إليها هذا المصحف وإلى أن يتيسر لنا ذلك نكتفى بنسبةه إلى القرن ٨٥ - ١٤ م .

Glück & Diez (Gómez Moreno). *Op. Cit.* p. 725 (١)



## باب التعريف

هذه صفحات قليلة رأينا أن نخصصها لباب جديد من أبواب المجلة أطلقنا عليه إسم «باب التعريف» لتحدث فيه إلى قرائنا والمهتمين منهم بصفة خاصة بنشر المخطوطات عما قد تضمه جدران المكتبات العامة من المخطوطات القيمة الجديرة بأن تنشر مستقلة وتنسق عنها صفحات المجلة ، أو ننشر هنا بعض المخطوطات الصغيرة التي يسمح هذا الباب بنشرها فيه ، أو نصف ما قد تحتويه المتاحف من بدائع الفن الإسلامي .

وستكون خطتنا في نشر المخطوطات في هذا الباب هي أن تقدم المخطوطة إلى القراء كما هي دون إجراء تصحيحات في نصها أو تعليقات ، وعلى ذلك لن يكون لنا من فضل إلا نقلها من مخطوطة إلى مطبوعة يسهل تداولها بين القراء لتكون عنواناً لهم في أبحاثهم ودراساتهم ومعيناً لمن يكون منهم في صدد نشر غيرها من المخطوطات التي تتحدث عن نفس موضوعها ولا تسمح له ظروفه بالاطلاع عليها .

ونرجو أن تكون قد حققنا بذلك غرضاً من تلك الأغراض التي أنشئ من أجلها هذا المعهد ألا وهو التعريف بما تضمه إسبانيا من كنوز وتراث إسلامي .

\* \* \*

المخطوطة التي نبدأ بها اليوم هي مخطوطة «التحفة اللطيفة» في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة» مؤلف عاصر هذه الإصلاحات التي أجريت في عهد السلطان العثماني سليمان الأول ٩٢٧ هـ - ١٥٦٦ م واستغرقت سبع سنوات إذ بدأت في عام ٩٣٩ هـ (١٥٣٢ م) وانتهت عام ٩٤٨ هـ (١٥٤١ م) أما مؤلفها فهو الإمام الجلالي محمد بن خضر الروى الحنفي - قاضي الحنفية بها والمتوفى عام ٩٤٨ هـ (١٥٤١ م) .

وتتحدث المخطوطة عن هذه الإصلاحات فتصف بعض الأعمال وتذكر أسماء الشرفين عليها وأسماء بعض المهندسين وتعرج على حالة البلاد حينئذ فتشير إشارة خفيفة إلى القحط وإلى حالة الأمن وإلى النزاع الذي كان قائماً بين الحنفية والشافعية في المدينة .

ولقد وردت بعض إشارات عن هذه الإصلاحات في كتاب «نرفة الناظرين» في مسجد سيد الأولين والآخرين» الذي وضعه السيد جعفر بن السيد اسماعيل المدنى البرزنجى فى عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) وأضاف إليه إضافات فى ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) نقلًا عن كتاب «الجواهر الثمينة في محاسن المدينة» للسيد محمد كبريت المدنى المتوفى عام ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م).

والخطوطة غير مؤرخة، ويرجعها الأستاذ ليفي بروفيسور إلى القرن (١٨ م) وهى جزء من مجموعة محفوظة بالاسكودرال تحت رقم ١٧٠٨ ويبلغ عدد أوراقها ٦ ورقاً تبدأ من ٨٨١ وتنتهي في ٩٣ بـ أبعادها  $23 \times 17$  سم وبالصحيحة ١٧ سطراً وهي الخطوطة الوحيدة المعروفة لنا - حتى الآن - ولم يسبق نشرها وهذا ما دعا إلى نشرها راجين أن يكون هذا النشر سبلاً لإظهار ما قد يكون موجوداً من نسخ أخرى لهذا التأليف لم يتيسر التعرف عليها إلى الآن.

السماء والسماء

وأنت ذات العادن والصلة واللام ملية للنافحين، محمد دا الله  
وسمه والاسم ما بعد فعن ين للبيبة ونسمة شريبة، تصنف  
تاجي من العبار الشربيه سور المدينة السوبه وللمجد الشريف والذان  
السمه، وذلك اهلا اهلي إلى سلطان لاعظهم والهاقان الاخرم  
صاحب اليس والمه والبر العالم طلاقه في لارضيه فهو زان المار العين  
تاجي اللعن والسدمة والذكرى نصر المذاه والمذاهين حسنة الله  
في الارض العالى والزرض حادم الحرمين الشريفين والحلقين المتبين  
سلطان العز و العزاء والشوق اليس والروم والخازون ن سلطان  
للام، المدعى السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان  
بن السلطان بن السلطان ابو خان السلطان سليمان شاه بن السلطان  
سليم شاه بن السلطان سليمان بن السلطان محمد بن السلطان سليمان بن عاصي  
الله عاصي بوزير امير دارفع له فتحا بيمارس مدارف عادام لهم دولته  
الراهن، وصلوا سعوره على اعدائهم مصادر، مجاه سيد اهل الدنيا  
والاخرين، ان سور المدينة تقدم اعلىه، واثر فالبالي على المستوى  
بعاليه، وان اهل المدينة المنسحب حصل لهم بخراب السور ضور كثير  
من العربان وفتاد معنطهم على طول الزمان، وانهم قد نعموا بذلك قوم ودشوا

نجم

الصحيفة الأولى من مخطوط التحفة الطيفية في عمارة المسجد النبوى  
وسور المدينة الشرفة (الاسكوريل ١٧٠٨)



كتاب التحفة الطفيفة ، في عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة  
تأليف العلامة الإمام شيخ الإسلام قاضى الخفبة بها الجلالى محمد بن  
حضر الرومى الحنفى تعمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته امين

(٨٨ ب) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، محمد وآله  
وصحبه والتابعين ، أما بعد فهذه نبذة طفيفة ونخبة شريفة ، تتضمن ما وقع من  
العماير الشريفة بسور المدينة النبوية والمسجد الشريف والمنارة السننية ، وذلك أنه  
لما أنهى إلى مولانا السلطان الأعظم ، والخاقان الأكرم صاحب السيف والقلم ،  
والبند والعلم ، ظل الله في الأرضين ، قهرمان الما والطين ، قامع الكفرة والمبتدعة  
والمرشكين ، نصرة الغرزة والمجاهدين ، حسنة الله في الأرض ، القائم بالسنة  
والفرض ، خادم الحرمين الشريفين ، والملحقين المنيفين ؟ سلطان الغرب والعرaciين  
والشرق واليمن والروم والحجاج وعدن ، سلطان الإسلام والمسلمين ، السلطان  
ابن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان أبو

... خان السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم شاه بن السلطان بايزيد بن السلطان  
محمد بن السلطان بايزيد خان نصره الله تعالى نصراً عزيزاً مؤيداً ، وفتح له فتحاً

مبيناً سرداً ، وأدام أيام دولته الراherة ، وجعلها مسعودة على اعدائها مظاهرة .

بحاه سيد أهل الدنيا والآخرة ، أن سور المدينة قد تهدم أعلايه ، وأشرف

الباقي على السقوط بمعاليه ، وأن أهل المدينة المنورة يحصل لهم بخراب سور ضرر

كثير من العريان ، وفساد عظيم على طول الزمان ، وأنهم قد رفعوا شکواهم ، وبثوا

(٨٩) نحوهم إلى مولانا السلطان الأعظم خلد الله دولته ، فحينئذ بز

الأمر العالى ، من مولانا السلطان الأعظم المشار إليه أعن الله نصرته إلى وزيره

القام العالى ، ذى العز تعالى ، مدبـرـ الملكـ الإـسـلامـيـةـ ، كـافـلـ الأـقطـارـ الـمـصـرـيـةـ وـالـحـجـازـيـةـ ،

آصف عصره ، ولهم دهره ، حضرـةـ سـليمـانـ باـشاـ أـعنـ اللهـ نـصرـتـهـ إـلـىـ وزـيرـهـ ،

بـأـنـ يـتـقدـمـ الـقـامـ العـالـىـ بـتـجهـيزـ الـمـالـ مـنـ الـخـزانـةـ الشـرـيفـةـ بـالـقـاهـرـةـ الـمـحـروـسـهـ لـعـارـةـ

سورـةـ الـمـدـنـةـ الـنـورـةـ ، وـتـجهـيزـ مـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ ذـلـكـ مـنـ الدـوـابـ وـالـعـدـ وـالـمـلـعـينـ

وـالـبـنـاءـيـنـ وـالـحـارـيـنـ وـغـيـرـهـ ، وـتـجهـيزـ مـاـ يـحـتـاجـ ذـلـكـ مـنـ الغـلـالـ بـالـسـمـعـ وـالـطـاعـةـ ،

وـشـمـرـ عـلـىـ سـاقـ الـجـدـ وـالـاجـهـادـ لـمـ يـعـودـ نـفـعـهـ لـأـشـرـفـ الـبـلـادـ ، وـجـهـزـ الـأـمـوـالـ

الشريفة صحبة الجناب . العالى الزيني محمود جلبي كاتب جدة العمورة كان ، وعيته أمنا على العماره الشريفة ، وجعل الناظر على العماره الجناب العالى السيد احمد الرفاعى شيخ الحرم الشريف النبوى ، وجهزت الجمال والبهائم نحو ما يه جمل وما يه بهيم صحبة أمير الحج ركب المصرى ، وجهزت الغلال من القمح والشعير والفول من البحر على ظاهر المراكب الشريفة إلى أن وصلت إلى اليابون ، وكانت وصول ذلك كله في غرة سنة تسع وثلاثين وتسعاً ، وكان المهندس على العماره المذكورة المعلم على بن الصياد ، والمعلم عبد القادر القليوبى ، وكان جلة البنائيين والمجارين والنحاتين والمتالين والتجارين والطوابين والحملانين والتراين أكثراً من ثلاثة نفراً من غير الفعلة وتابعهم وكان (٨٩ ب) وكان في خدمة العماره الشريفة من المالكين السلطانية نحو خمسون نفراً ، منها أرباب الخيل نحو خمسة وعشرين نفراً والباقيون رماة بالبندق والقوس ، ثم أئمهم شرعوا في هدم سور المدينة المنورة ، فأول ما هدم باب سويقه غرب المدينة المسمى بباب المصرى ، ثم هدم أعلى الجدار الغربى من السور من الباب الصغير الشامى إلى باب سويقه المذكورة ، ثم من باب سويقه إلى الركن القبلى ، وطول ذلك سبعاً وسبعين ذراعاً واربعين عشر ذراعاً بذراع العمل ، وإنما لم يهدم إلى أساسه ، لأن الجدار المذكور جده الملك الأشرف قايتباى وبناه بالحجر إلى أعلى العقود التي من خلفه من داخل المدينة المنورة وبنا أعلىه باللين ، فهدموا اللين المذكور وعرضوه بالأجر ورموا ما احتاج فيه إلى الترميم ثم أئمهم هدموا الباب الصغير الشامى والباب الكبير الشامى ، وشرعوا في بنا الباب المصرى بالأحجار المنحوته بعد أن حفر له لذلك أساس جيد ، ثم أن بعض المهندسين ذكر للناظر أن الحجر المنحوته يذهب عليه مال عظيم ، فأمرهم ببناء الباب الصغير الشامى بالحجر العيشيم ، فلما أن كل بنا الباب المصرى والباب الشامى المذكور ، وشاهد الناظر حسن الباب المصرى بالحجر المنحوت وقباحة الباب الشامى بالحجر العيشيم أمرهم ببناء الباب الشامى الكبير بالحجر المنحوت ، ثم بعد مدة يسيرة بعد الشروع في البناء حصل بين الناظر السيد الرفاعى المذكور وبين محمود جلبي

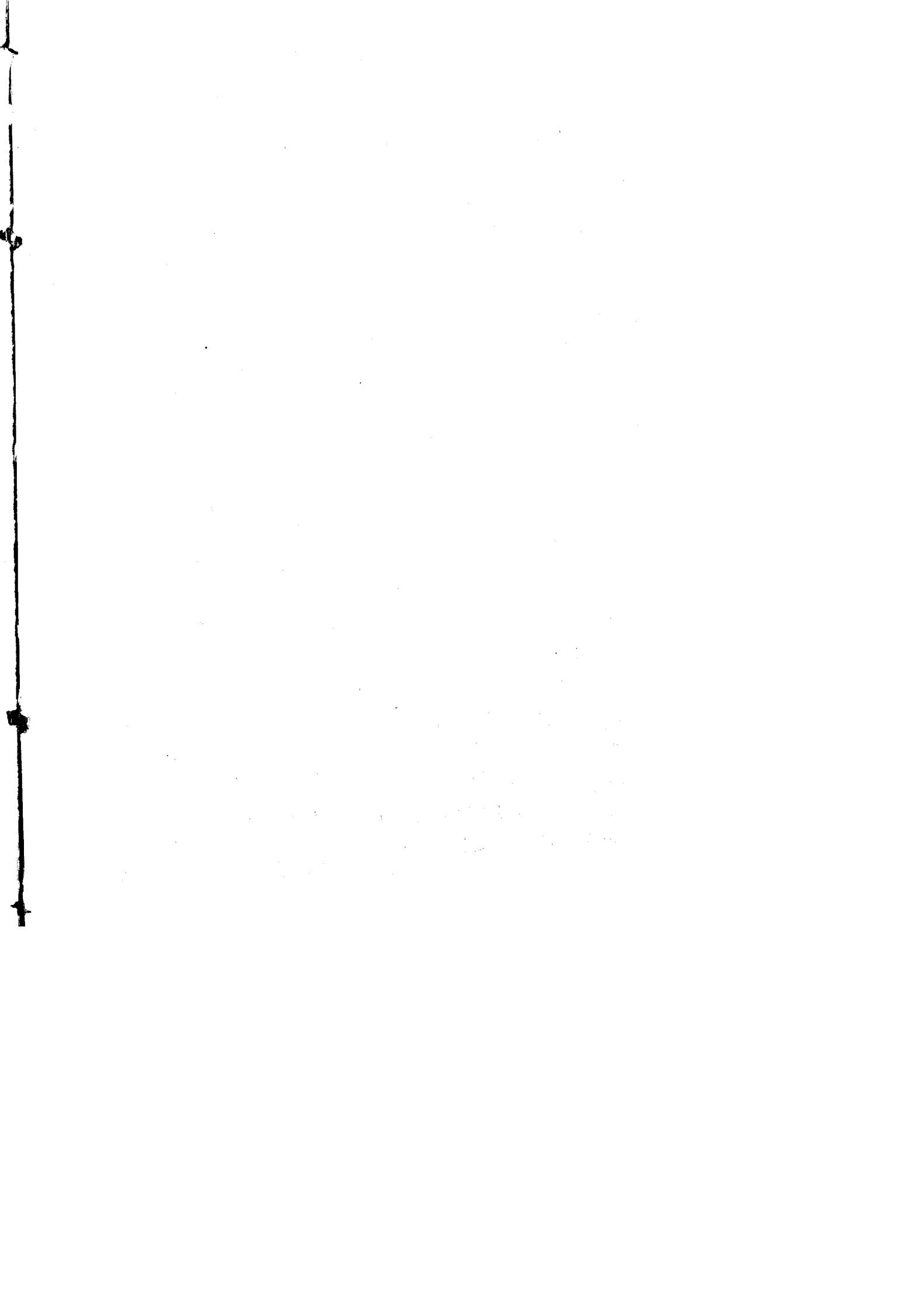
الأمير المذكور شنان عظيم، ثم انتقل محمود جلي المذكور إلى رحمة الله تعالى في سابع عشر رمضان (١٩٠) المعظم قدره سنة تسع بتقديره التا وثلاثين وتسعمائه ودفن بقبر العرفة، ثم ان الناظر المذكور باشر على العماره الشريفة بنفسه خصوصاً الباب الشانى الكبير والصغير، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في عشر ذى الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وتسعمائه توجه غالب العماره إلى الحج إلى بيت الله الحرام، واستمرت العماره بطالة، وكان من قضا الله وقدره أن مولانا البشا المذكور عين عوض الزيني محمود جلي المذكور بسبب مكاتبات السيد الرفاعي فيه أمنينا على العماره الشريفة وكاتب الأمين هو الجناب الزيني مصطفى جلي أحد ساهرين الدولة العادلة العثمانية ، والكاتب هو الزيني نصوح أحد الأعيان من العساكر العثمانية بالطور ، ووصل صحبتهم أيضاً مهندس على العماره كلها من طيبة الأروام يسمى مصطفى خليفه ، فوصلوا جميعاً من البحر إلى المدينة المنورة عن صفر الخير سنة اربعين وتسعمائه ، ولما وصل إلى مولانا البشا المذكور خبر وفاة السيد الرفاعي شيخ الحرم الشريف ، برق أمره الكريم الزيني إلى مصطفى جلي الأمير المذكور ، بأن يضبط معلقات شيخ الحرم الشريف ، وباشر النصب النيف إلى أن يردد من الأبواب الشريفة الجندكاري ما يعتمد عليه ، فاستمر الزيني مصطفى جلي المذكور مع الكاتب نصوح والباشر المذكور والمهندس المذكور بخدمته سور المدينة المنورة ، فشرع في هدم الجدار القبلي منه إلى الأساس لكنه لم ينقض أساسه ، وبناء بالحجر إلى أعلىه . (٩٠ ب) وجعل عليه الشراريف الموجودة الآن ، واستمر في بنا الجدار القبلي ، ثم ان ازني نصوح الكاتب المذكور انتقل إلى رحمة الله تعالى في سلخ ذى الحجة الحرام سنة اربعين وتسعمائه ، ثم وصل في العام المذكور من البحر إلى مكة المشرفة مولاى المقر الكريم العالى الملوى الدخري عين الأمائل والأدان نفر الأماجد والأعيان المتحصن بعناته الملك العبود الزيني محمود جلي وهو متوليا لشيخة الحرم الشريف ، وناظر على العماره السلطانية ، فوصل إلى المدينة المنورة غرة سنة احد وأربعين وتسعمائه ، وبasher خدمة الحجرة الشريفة ، وقام بالنظر على العماره المنيفة كما ينبغي ، واستمر المهندس مصطفى خليفه المذكور قاعداً بهندسة البناء المذكور ، من الركن الغربي من جهة القبلة إلى الباب الشرقي بباب بقى الفرقان

وطول ذلك سبعينية ذراع بذراع العمل ، ثم انتقل المهندس المذكور إلى رحمة الله تعالى ، وكان لما وصل باليمن إلى مشهد السيد اسماعيل أدخل بعض البناء داخل المدينة المنورة من غير أساس تحته ، فبعد وفاته هدمه أمين العماره الزيبي مصطفى جلي المذكور مع المهندس على بن الصياد المذكور ، قاماً بباب البقع أتم قيام بعد أن وصلوا بأساسه إلى الماء ، وشرعوا بهدم سور المدينة المنورة من باب البقع من الجهة الشامية إلى أن وصلوا بالمدن إلى الباب الشامي الكبير وتقضى جميع أساسه ، بني على هذه الهيئة الموجودة عليه الآن على زيادة الإحكام والإتقان ، ثم قصر النفقه على العماره ، واقتضى الحال إلى أن توجه الأمين مصطفى المذكور للقاهرة المحروسة من البر (١٩١) صحبه القاصد ، فوصل إلى القاهرة المحروسة فوجد مولانا البشا سليمان المذكور قد اعتدى إليها ، وكانت قد صرف خسره باشا ، ثم أن البشا سليمان دفع للأمين المذكور ما تحتاج إليه العماره الشريفة من الأموال ، وأمر نايب جدة العمومرة بأن يدفع له جميع ما يحتاج إليه من الأموال ، وجهز من البحر غلالاً كثيرة ، وعين صحبة كتاباً على العماره الشريفة وهو الجناب العالى الزيبي رمضان جلي ، ووصل جهيناً إلى المدينة المنورة سنة أربع وأربعين وتسعاً ، ووصل أيضاً في هذا العام من البحر عسكراً معيناً بسبب الإقامة بالقلعة التي بالمدينة المنورة ، وهو نحو ستون فرماً رماة بالبندق ، وجعل عليهم باش ويسمى دزار ، فوصلوا إلى المدينة المنورة ستة في أوسط سنة أربع وأربعين وتسعاً ، واستمروا مقيمين بالمدينة المنورة ، وكانت القلعة حينئذ لم يشرع في بنائها ، ثم إن الأمين مصطفى جلي المذكور أتم باق السور وباب البقع وهدم القلعة القديمة وكانت مبنية على هيئة القاعدة من غير أبراج ، ثم ان الأمين المذكور غيرها وأحكم بناها وشيد أبراجها وأحدث لها جداراً وباباً من داخل المدينة المنورة ، وجعل البناء محيطاً بها ، وجعل بيوتاً للعسكر في داخلها ، وجعل ييتا لنواب القلعة على الجبل الذي هناك في محل القلعة ، وذرع دائرة القلعة من الباب الشامي الكبير إلى الباب الصغير خمسينية وثمانية عشر ذراعاً وذرع الجدار الشرقي لها من داخل المدينة المنورة مائة واحد وستون ذراعاً وذلك بذراع العمل ، واستمر في بنا ذلك وتكثيل ما بقي من سور المدينة المنورة إلى أن تم جميع

ذلك (٩١ ب) في النصف من شهر شعبان المعلم قدره سنة ست وأربعين وتسعمائة ، فكان مدة الاقامة بالبنا بسور المدينة سبع سنوات ونصف سنة بما في ذلك من تخلل البطالات المذكورة ، وفي هذا التاريخ تم بنا جميع سور المدينة المذكور بما فيه الأبواب والأبراج من التجاويف نحو اربعين ألف ذراعاً، وبدون التجاويف المذكورة ثلاثة آلاف وأربعمائة واثنين وثمانين ذراعاً بذراع العمل ، وفي آخر الشهر المذكور توجه كل من الأمين مصطفى المذكور والزبي니 رمضان جلي الكاتب المذكور إلى الأبواب العالية ، وسمعت من الأمين المذكور أن المصرف بسبب بنا السور المذكور على من تقدم ذكرهم من العسكر والبنيان وغيرهم من الغلال القلمح والشعير والفول نحو خمسة عشر ألف ارضاً، والمعرف من الذهب السليماني الجديد الوزن نحو مائة الف ديناراً ذهباً ، وكان المقر الكريم العالي ذو الخصائص الحديدة والأرا السديدة الزبيني محمود جلي شيخ الحرم الشريف النبوى وناظره أعزه الله تعالى وأدام أيامه ، توجه إلى الأبواب العالية السلطانية ، فكان مما عرضه على مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأكرم ، احتياج المسجد الشريف النبوى إلى بنا وترميم بجدرانه ، وهدم المنارة المسماة بالسنبارية وغير ذلك من المشاهد والأثار ، فبرز الأمر الشريف العالى بينما ذلك ، فجهز مولانا المقام العالى ذى الجد المتعال من الجمال والدواب والبنيان والحجارات والنحاتين ، وجهز من البحر ما يحتاج إليه من الغلال وجهز من البحر (١٩٢) أيضاً الأهلة المجهزة من الأبواب الشريفة برسم القبة المنيفة ، فوصل إلى المدينة الشريفة ووضع الملال على القبة الشريفة في تاسع عشر شوال المبارك سنة ست وأربعين وتسعمائة ، وهو الموجود على القبة الشريفة الآن ، وهو من نحاس مطلى بالذهب ، وأرسل أيضاً بخمسة أهلة لكل منارة هلال ، ولمنبر الشريف هلال أيضاً ، ووضع ذلك عليهم ويقال أن المصرف على طلاء الأهلة من الذهب السليماني المسكوك الف وثمانمائة ديناراً ذهباً ، وفي ذى الحجة الحرام سنة ست وأربعين وتسعمائة وصلت الجمال والبهائم المذكورة صحبة الأمين الذى عين للعارة الشريفة ، وهو الجناب العالى الزبينى حسن أحد المالك السلطانية وعدتها مائة جمل وخمسمائة بقعاً ، ووصل من البر العلين المذكورين ، وفي أوائل ربيع الثانى سنة سبع وأربعين وتسعمائة وصل الكاتب على

العارة ، وهو الزيبي عبدى جلبي ، والمبادر على ذلك وهو تاج الدين الخضيرى ، وصحابهم الفلال الشريفة من القمح والشعير والفول ، ثم أن أمين العارة المذكور ورد بالمراسيم الشريفة التي من مضمونها أن ما يحتاج إليه المسجد الشريف من العارة يعمر ، والنظر في جميع ذلك جزئيه وكليه لمولانا المقر العالى شيخ الحرم الشريف المذكور ، فجمع مولانا شيخ الحرم الشريف السادة القضاة ، والأمين المذكور ، والمهندس على العارة المذكورة وهو المعلم على بن تبك ، ومن حضر من البناءين الواردين إلى المدينة المنورة والمقيمين بها ، فكشفوا على المسجد الشريف النبوى ، فكان مما رأه المهدى والبناءين فى ذلك أن بعض جدار المسجد الغربى مع باب الرحمة تحتاج إلى المدح والاعادة ، وأن الباقي (٩٢ ب) من الجدار الغربى مع الجدار الشرقى تحتاج إلى الترميم بهدم بعض أسافله . وترك العلو على حاله ، وأن باب النساء تحتاج إلى تقويته بابراج خلفه من خارج المسجد ، وأن المنارة السنجارية التى هي فى الركن الشمالي من جهة الشرق تحتاج إلى هدمها كلها ، فاقتضى الحال الشروع فى المدح والبناء ، فأول ما بني ، باب الرحمة ، ورمى الجدار الذى يليه غربى المسجد النبوى ، وكان مایلاً من جهة المنارة الخشبية التى هي فى الركن الشمالي غربى المسجد النبوى ليرى هل الميد فى التزايد أم لا ، ثم هدمت المنارة المذكورة ونقض أساسها ، وزيد فى الحفر على الأساس القديم إلى أن وصل الماء ، بحيث أن الماء ترايد على المعلمين حتى نقلوه بالقرب ، فلما رأوا أيضاً تقله بالقرب لا يفيد ، جعلوا ثلثة دواوير كبار من الخشب السمر ، ووضعوها فى الماء ، وبنوا على الأخشاب ، إلى أن على البناء على الأخشاب قدر قامة ، ثم حفروا تحت الدواوير حتى نزلت بما عليها من البناء إلى أصل الأرض الطيبة ، ثم أزيل الماء المجتمع فى جوف الدواوير ، ودك وسطها بالحجر ، فاللونة الطيبة الجيدة ، وكان عمق أساسها ثلاثة عشر ذراعاً بذراع العمل وعرضه سبعة أذرع في سبعة أذرع ، وبنيت بالحجر المنحوت ، ثم لما وصل الينا إلى وجه الأرض ، اختصر من عرضها ذراع ، وبنيت على التربيع إلى أن تعلت على سطوح المسجد <sup>عَيْنَتْ</sup> ، وفي أثناء ذلك هدم ما يحتاج من المدح من الجدار الشرقى جدار المسجد الشريف النبوى ورمى ، ولم يهدم شيء من أعلىه وإنما نقض

بعض أسفاله من خارج المسجد ، وبني أيضا باب النساء وجعل له برجين عظيمين تقوية ، وكتب التاريخ على كل من البابين باب الرجمة وباب النساء باسم مولانا السلطان (١٩٣) السلطان الأعظم نصره الله تعالى وأدام أيامه ، واستمرت العماره في المثارة الشريفة ، ثم في عدة محرم الحرام سنة ثمان وأربعين وتسعمائة توجه مولانا المقر الكريم العالى محمود جلبي شيخ الحرم الشريف المذكور إلى الأبواب العالية صحبة المصرى لعرض أحوال أهل المدينة المنورة وما هم عليه من الآذاء والشدة بسبب تأخير إرسال قمح الدشيشه وغيره ، كتب الله تعالى سلامته وأنجح مقاصده آمين ، ثم بيض داخل المسجد الشريف النبوى واسطواناته مما كان يحتاج إلى التبييض ، فجيء على حاله وكتب التاريخ ايضا باسم مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى في جدار المسجد الشريف من جهة الغربى في الخشب المسقوف بروف عليه ، كما جعل للملك الأشرف قايتبای في الجدار القبلى والشرقى ، وكانوا في أواخر سنہ سبع وأربعين وتسعمائة ورد صحبة أمير الحاج المصرى مراسيم شريفة من مضمونها تجديد محراب الحنفية وتقديمه ليحاذى محراب الشافعية ، وتقديم القاضى الحنفى على القاضى الشافعى في جميع الأمور من الجلوس والمصالح والأنوار وغير ذلك ، وفي سايع عشر محرم الحرام سنة ثمان وأربعين وتسعمائة ، شرع في بناء محراب الحنفية وجعله محله بين المنبر وحد المسجد النبوى محاذيا لمحراب الشافعية ، وحصل من بعض الشافعية بسبب ذلك كلامات ساخنة الله في ذلك ، ولا شك أن الإمامين متزهدين من ذلك ، نسأل الله العظيم أن يوفقنا لتابعهم في العلم والعمل بحق محمد وآل وصحبه أجمعين ، وفي ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ثانى عشر ربيع الاول (٩٣ بـ) تقدم إمام الحنفية وصلى في المحراب المذكور ، وجعل من الروضة الشريفة إلى حد المسجد النبوى درابزين من الخشب أمام محراب الحنفية ، وجعل مقابل الروضة المطهرة درابزين عليه تمنع ضرر الماء لكن لا يقطع الصف ، ثم مد الوتر الخشب الذى يوضع عليه القناديل الصغار في الليالي الشريفة فزيده فيه من الروضة المطهرة إلى حد المسجد النبوى وكان أولا إلى حد الروضة المطهرة فقط وكانت متعلقا إلى جهة المنبر الشريف تم ذلك بحمد الله وعونه والحمد لله .



## باب الكتب والمجلات

### بعث الدراسات اليونانية والرومانية في مصر الحديثة

لقد سبقتنا الدول الأوروبية إلى تعلم اليونانية واللاتينية لما بين هاتين اللغتين واللغات الأوروبية من علاقة قوية ، لذلك اهتم علماء الغرب بدراسة هاتين اللغتين وتناولوا تأثيرها الخالد بالبحث والتنقيب واعتبروه المصدر الأول لبناء حضارة جديدة ، فأخذوا عنه قوانينهم ونظم الحكم عندهم ، واستمدوا منه آدابهم وفلسفتهم . ولقد أدركنا نحن المصريين منذ ربع قرن أنها لسنا بأقل حاجة من هؤلاء الغربيين إلى تعلم اليونانية واللاتينية ؟ فصلة اليونان القديمة بمصر الفرعونية قوية جداً ، يتحدث عنها كثير من أدباء اليونان وفلسفتهم ، وفضل الإسكندرية في المحافظة على الآدب اليوناني كبير ، إذ كانت مركزاً للآداب والفنون عندما ترجم إليها أدباء اليونان الذين ضاقت بهم بلادهم بعد زوال عظمة أثينا . أما عن صلة الرومان بمصر فكانت أقوى لأن هذه بقيت ولاية رومانية لمدة ستة قرون خضعت فيها لسلطان الرومان وعرفت قوانينهم وعن أهلها بتعلم لغتهم . يضاف إلى ذلك أن الآدب اليوناني أثر تأثيراً شديداً على الفكر العربي نتيجة لحركة الترجمة والتعریب التي قویت في العصر العباسي . يتضح من ذلك أن دراسة تاريخنا دراسة دقيقة مفصلة تتطلب الاهتمام بتعلم اليونانية واللاتينية لنقف على ما احتواه مؤلفات اليونان والرومان عن بلادنا ولنشر الوثائق البردية وندرس الآثار اليونانية والرومانية التي تضيق بها متاحفنا والتي تزال تنتظر المختصين ليفكوا رموزها ويعرفوا محتوياتها .

كان من الطبيعي إذن أن يعتنى الدين أشرفوا على إنشاء الجامعات المصرية بتعليم اللغتين اليونانية واللاتينية ، فأوجدوا بكليات الآداب أقساماً لتدريس هاتين اللغتين وآدابهما وما يتصل بها ، وشجعوا الطلاب على التخصص في هذا الميدان ، وكان وما زال الأستاذ الدكتور طه حسين أول من نادى بإدخال هذه الدراسات

في الجامعات المصرية ، واهتم بشأن المتخصصين فيها ؛ ولقد أثمرت جهوداته إذ خرجت هذه الأقسام عدداً من الشبان الأكفاء الذين أتقنوا هذه الدراسات وأحرزوا فيها أعلى الدرجات الجامعية من مصر والخارج ، وأصبحوا الآن أساتذة لهذه الدراسات بالجامعات المصرية . وما أن تولى هؤلاء تدريس هذه المواد إلا وعملوا على تعريبها وبعث التراث اليوناني الروماني ، فأخذوا يوجهون طلابهم إلى التخصص في مختلف فروع هذه الدراسات ، فتخصصوا في دراسة الأديان والأساطير ، أو تعمقوا في الأبحاث الأدبية والتاريخية ، أو عكفوا على نشر الوثائق البردية وقراءة النقوش . وما أن ازداد عدد هؤلاء المتخصصين إلا وأنفوا لهم جمعية تعرف « بجمعية إحياء الدراسات القديمة » إهتمت بتحقيق رسالتهم التي كانوا قد وضعوها نصب أعينهم عندما تخصصوا في هذه الدراسات . فوضعوا الكتب في قواعد اللغة اليونانية واللاتينية وترجموا إلى العربية بعض نصوصها التي تتصل بتاريخ مصر ، وعربوا بعض الكتب الفريدة التي تبحث في هذه الدراسات . وإلى القاريء بعض آثارهم في هذا الميدان .

١ - البدائع : تأليف الدكتور محمد سليم سالم ، أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية بجامعة عين شمس . الجزء الأول . الناشر مكتبة الهبة المصرية . القاهرة ١٩٤٥ .

هذا أول كتاب أصدره جماعة إحياء الدراسات القديمة ، واختار له المؤلف هذا الإسم ليكون عنواناً لسلسلة يترجم فيها هو وزملاؤه روائع الأدباء اليوناني واللاتيني . وقد ترجم المؤلف في هذا الجزء مسرحية « أندروماغا » من نظم يوربيديس ، وقدم للترجمة بفصل شامل عن حياة الشاعر وأعماله ، درس فيه كثيراً من خصائص فن يوربيديس المسرحي ؛ ف تعرض لوقفه من الدين وفسر آراءه السياسية والاجتماعية وتكلم عن ثورته ضد التقاليد وفصل التجديفات الفنية التي أدخلها على المسرحية اليونانية . ثم ترجم النص ترجمة دقيقة ، في أسلوب طلي بديع .

واشتراك في إصدار هذا الجزء أيضاً الدكتور عبد اللطيف أحمد على والدكتور محمد صقر خفاجة الأستاذان المساعدان بجامعة القاهرة . فترجم الأول خطبة

ليزيس عن « مقتل ارatosثينيز » الذى قتله زوجته أخائة . والخطبة تعطينا فكرة وافية عن حياة الآثينيين الاجتماعية كما تعبّر عن مميزات أسلوب ليزيس، الذى اشتهر بسهولته إذ كان الخطيب أول من استخدم لغة الحياة اليومية فى كتاباته الأدبية واستطاع أن يخلق من كلام رجل الشارع أسلوباً أدبياً خالصاً ، كان سهلاً ممتنعاً . وترجم الثانى خطبة الأولئية الأولى التى ألقاها ديموسثينيز ، أعظم خطباء العالم ، فى الجمعية العمومية ليحث الآثينيين على مساعدة مدينة أولينثوس عندما هددتها بالغزو فيليب ملك مقدونيا ، لكن الخطيب لم ينجح رغم بلاغته ومحاسه إذ سقطت المدينة فى يد العدو قبل أن تصلها المساعدة الآثينية .

٢ - تاريخ هيردوتوس : الجزء الشانى « هيردوتوس فى مصر » ترجمة الدكتور وهيب كامل المدرس بجامعة القاهرة . الناشر دار المعارف . القاهرة ١٩٤٦ .

يعتبر هذا الجزء من مؤلف المؤرخ اليونانى مرجعاً هاماً لتاريخ مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد وينقسم هذا الجزء إلى ثلاثة أقسام ؛ يحتوى أولها على الفصول (١-٣٤) ويتكلم فيه المؤرخ عن جغرافية مصر ، ويشمل القسم الثاني الفصول (٣٥-٩٦) ويصف فيه هيردوتوس عادات المصريين ويتحدث عن دينهم ، أما القسم الأخير فقد خصصه المؤرخ للكلام عن تاريخ مصر . ويمكن تلخيص محتويات الكتاب فى النقطة التالية . يبدأ المؤرخ حديثه بالكلام عن قدم الحضارة المصرية ثم ينتقل إلى الحديث عن أصل مصر وكيف تكونت تربتها ويسيد بالدور الذى لعبه النيل فى تكوين الجزء الأعظم من تربة الأرضى المصرية بفضل ما يحمله معه من طمى ، وينتهى هذه الفرصة ليتكلّم فى إسهام عن ماءه وينابيعه وعن طوله وعن آتجاه مجراه . وبعد ذلك يتناول بالوصف العادات الدينية ويفصل الحديث عن واجبات الكهنة وامتيازاتهم واحتياط الضحايا وطقوس التضحية وفن العرافة والحيوانات المقدسة التى يعظّمها المصريون ؛ وبعد التحدث عن الحيوانات ينتقل المؤرخ إلى الكلام عن السكان أنفسهم ، فيتكلّم عن صنّتهم وعن غذائهم وملبسهم وحياتهم الاجتماعية ، ويطيل فى الكلام عن

أعيادهم وأغانיהם وأخلاقهم ، ثم ينهى المؤرخ كتابه بالكلام عن تاريخ مصر من الأسرة السادسة والعشرين حتى القرن الخامس .

ومع أن علماء الآثار قد فندوا الكثير مما ورد فيه لكن الكتاب ما زال محتفظاً بقيمة التاريخية ، فهو مرشد لن يدرس تاريخ مصر في هذه الفترة لأن علماء الآثار لم يوفقا بعد إلى اكتشاف آثارها .

٣ - مقدمة في اللغة اللاتينية : تأليف الدكتور عبد الطيف أحمد على والدكتور محمد صقر خفاجة . جزءان ، الناشر مكتبة الهضبة المصرية . القاهرة ١٩٥٣ .

يتضمن الجزءان عرضاً لقواعد اللغة اللاتينية وتطبيقات عليها من النصوص اللاتينية ويهدف الكتاب بجزئيه إلى تمكن الطلبة ، بعد دراسته ، من قراءة نصوص الأدب اللاتيني التي تتصل بفروع تخصصهم المختلفة . ولقد حاول المؤلفان نقل القواعد اللاتينية إلى اللغة العربية ، رغم الصعوبات التي صادفتها نتيجة لاختلاف اللغتين وعدم وجود شبهة بين كثير من قواعدهما . ومع ذلك فقد حقق الكتاب هدفاً أساسياً من أهدافه وهو تعليم اللغة اللاتينية باللغة العربية في الجامعات المصرية ، وأنقذ الطلبة المصريين من مشكلة تعلم هذه اللغة عن طريق لغة أجنبية أخرى كما كان الحال منذ عشرين عاماً عندما كان يقوم بتدريس اللاتينية أستاذة أنجليز وفرنسيون .

٤ - تاريخ مصر في عصر البطالة : تأليف الدكتور إبراهيم نصحي ، أستاذ التاريخ القديم بجامعة عن شمس . جزءان ، الناشر مكتبة الهضبة المصرية . القاهرة ١٩٤٦

أول بحث مسهب في الموضوع ، قضى المؤلف في إعداده سنوات كثيرة ، رجح فيها إلى أهم المصادر اليونانية واللاتينية ، وناقش أشهر آراء الباحثين الغربيين ، فوافق على بعضها ودعمها أحياناً بأدلة من عنده ، وفند البعض الآخر براهينه الخاصة . ويعتبر الكتاب أهم مرجع في المكتبة العربية ضمنه المؤلف تحليلاً دقيقاً للسياسة الدينية والاقتصادية والنظام المالي والقضائي والحياة الاجتماعية والآداب والعلوم والفنون . فأصبح الكتاب ، منذ ظهوره ، المرجع الوحيد الذي يعتمد عليه طلاب الجامعات المصرية ، والمهتمين بدراسة هذا الموضوع .

وجدير بالذكر أن للمؤلف كتاباً آخر باللغة الإنجليزية عن « الفنون في مصر البطلمية » طبع في أكسفورد عام ١٩٣٧

Noshy (I); Arts in Ptolemaic Egypt, Oxford, 1937

٥ - مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي : تأليف هـ . ١ .  
بل ، ترجمة الدكتور عبد الطيف أحمد على والدكتور محمد عواد حسين الأستاذ المساعد بجامعة عين شمس . الناشر مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٥ .  
هذا الكتاب عبارة عن عدة محاضرات ألقاها المؤلف بجامعة ويلز في نوفمبر سنة ١٩٤٦ ثم جمعها ونشرها في فبراير سنة ١٩٤٨ . ويبدأ المؤلف الفصل الأول بالكلام عن علم البردي والوثائق البردية ، ويتناول في إيجاز ووضوح دراسة كثيرة من الموضوعات التي تتصل بأوراق البردي ، فيشرح صناعتها ويتكلّم عن مكان وجودها وتاريخ اكتشافها ، ونشأة علمها وأهميتها ك مصدر من مصادر التاريخ . ثم تناول في الفصول الثلاثة الأخرى دراسة أهم مظاهر حضارة مصر في العصر البطلمي والروماني والبيزنطي ، وعرض المؤلف في هذه الفصول كثيرة من المعلومات المهمة عن التطور الاقتصادي والاجتماعي والإداري في تاريخ مصر منذ فتح الأسكندر حتى فتح العرب . لذا كان اختيار الزميين لهذا الكتاب موقعاً لصلته الوثيقة بتاريخ البلاد . ولم يقتصر مجدهما على الترجمة الدقيقة بل تعداها إلى تبويب الكتاب وعرضه بطريقة واحدة تسهل قراءته ، فقد شلا مثلًا الحواشى الملحة باخر الكتاب وكتابها في نهاية الصفحات بعد أن أضافا إليها كثيراً من التعليقات توضيحاً لما غمض وزيادة في الشرح ، كما أضافا إلى كل فصل أسماء المراجع الخاصة به ليكملوا القارئ من الوقوف على أحدث المؤلفات التي ظهرت في هذا الموضوع بعد ظهور كتاب « بل ». ولقد سد الكتاب فراغاً كبيراً في المكتبة العربية وساعد الطلبة الجامعيين وغالبية المثقفين على استيعاب هذه الفترة وفهم خصائصها .

٦ - La Poésie Alexandrine, Ph. E. Legrand; Paris 1924

شعر الإسكندرية : تأليف فـ . إـ . لجران ، ترجمة الدكتور محمد صقر خفاجة .

يعطى الكتاب فكرة وافية شاملة عن عصر الإسكندرية ، إذ يدرس المؤلف الموضوعات التي تخص هذا العصر دراسة علمية دقيقة ، إعتمدت فيها على تحليل نماذج كثيرة من قصائد الشعراء واستخلص منها خصائصهم وميولهم وقارن بينهم وبين أسلفهم ووضح أهم الفروق بين العصر الهليني والهلينيستي . والكتاب في مجموعه يهتم بنشر صفحة من تاريخنا القديم يوم أن لعبت مصر دوراً عظيماً في المحافظة على تراث اليونان وتنميته وفتحت أبوابها لشعراء اليونان الذين نزحوا إلى الاسكندرية ، عاصمة الآداب وقتذاك ، وفيها أنتجوا تراثاً عالياً خالداً حاول المؤلف تحليله ودراسته في هذا الكتاب ، ولكنّي نسهل على القارئ غير المختص قراءته وفهمه ، شرحنا بعض الاصطلاحات الفنية والتعبيرات الخاصة التي وردت أثناء الكلام عن أوزان الشعر وبيننا مدلولات بعض الأسماء النادرة أو غير المألوفة .

هذا قليل من أعمال المصريين الكثيرة التي ظهرت في ميدان الدراسات اليونانية واللاتينية لبعث هذه الثقافة ونشر صفحات من تاريخ مصر القديم . وسنحاول أن نحدث القارئ ، في فرصة أخرى ، عن جانب آخر من نشاطهم .

محمد صقر خفاجة

أستاذ الأدب اليوناني المساعد جامعة القاهرة

## طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي

حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم — وطبعه سائى الحانجى  
القاهرة سنة ١٩٥٤ — في ٤٠٨ صفحة

مؤلف هذا الكتاب هو الزبيدي الإشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ = ٩٨٩ م (أنظر بروكلاند ، تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ١٣٣ من الأصل و ج ١ ص ٢٠٣ من الملحق) . كتبه استجابةً لأمر الحكم المستنصر (المتوفى سنة ٣٦٦) كما ذكر ذلك في مقدمته (ص ٩) . وحقق الكتاب الأستاذ أبو الفضل من ترس بالنصوص العربية القديمة ونشر عدداً منها آخره كتاب «إنباء الرواية على أنياء النهاة» للفطحي الذي صدر منه جزءان ، ثالثهما في طريقه إلى الصدور . وقد عرف الناس من كتاب الزبيدي مختصراً نشره العالم المستشرق كرتكو في مجلة RSO وبقي الكتاب ينتظر نشرة كاملة محققة نهض بها الأستاذ أبو الفضل معتمداً على خطوطه (نور عثمانية) . وقدم لنشرته بمحفظة موجزة ووضع حواشى عن بعض الأعلام التي ورد ذكرها في النص ، واتبع ذلك بفهارس للأعلام والبلدان والكتب والأشعار .

وقد خص الزبيدي الأندلسى بلده بتصنيف من كتابه يتناسب جمماً مع ما التزم المؤلف من الترجمة للنهاة في العالم الإسلامي كله حسب طبقاته مبتدأً بالبصريين والكوفيين ثم بالمصريين والقرطاجيين ، مقدماً النهاة على اللغويين . ثم ختم طبقاته بالأندلسين بجعل هؤلاء في ست طبقات ترجم فيها لمائة وأربعة منهم ، مبتدئاً بآبى موسى الموارى في ص ٢٧٥ متهياً بمحمد بن يحيى الرياحى المتوفى سنة ٣٥٨ هـ في ص ٣٤٠ . وترجمه في الجملة مختصرة ولكنها يتسع في بعضها

ويستطرد إلى أمور لها خطرها في الكشف عن جوانب من الحياة الثقافية والاجتماعية في الأندلس.

والنشرة جيدة والنص مستقيم والأغلاط المطبعية نادرة ، ولكننا كنا نرجو أن يوفق المؤلف في مراجعة النص الذى اعتمد عليه على نسخة أخرى منه فى التحف البريطانى حسبما ذكر بروكلان . إن النسخة التى اعتمد عليها المحقق قدمة كتبت فى سنة ٦٥٨ وهى فى جملتها جيدة . ولكنها لم تبلغ من الدقة الحد الذى يجعل الحق يحمل ما عدتها . ولدينا شواهد على أن فى النسخة تقاصاً ، فقد ذكر المؤلف أسماء تحاتة ولم يترجم لهم ، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ أبو الفضل وترك بياناً للدلالة على ذلك . وكان يحتمل أن يكون هذا النقص من فعل المؤلف لا الناسخ ، ولكننا وجدنا السيوطي ينقل ترجمة واحد منهم ويستند إلى الزبيدي بعض ما نقل . قال السيوطي ص ٣٣ من البغية مترجماً لـ محمد بن الحسن بن دينار أبي العباس الأحوال « وذكره الزبيدي في طبقة البرد وثعلب ، وقال كان يورق بالأجرة ، وكان قليل الحظ من الناس وجمع دواوين مائة وعشرين شاعراً ». وهذا النص لا يوجد في مخطوطه الزبيدي التي اعتمد عليها الأستاذ الحق حيث ذكر الإسم ( محمد بن الحسن الأحوال في ص ٢٢٨ بعد ذكر ثعلب في الطبقة الرابعة من اللغويين الكوفيين ولم يترجم له . ولدينا شاهد آخر طريف يتصل بالأندلس :

ذكر الزبيدي في ترجمة عبد الملك بن مختار ص ٢٨٧ من المطبوع ما يلى : « وأخبر عن بعض الشيوخ أنه بنت سُن لبعض ولد الأمير عبد الرحمن ابن الحكم رحمه الله ، فأحدث فيها ما يحدث عند نبات أسنان الصبيان ، فقال الأمير للوزراء : هذا الذي يسمى الناس بالجمية ، هل روى للعرب فيه شيء ؟ فسئل غير واحد من المنتسبين إلى العلم بقرطبة فلم يوجد عندهم في ذلك علم ، حتى انتهت المسألة إلى ابن مختار ، فقال أخْبرني ابن حرشن عن أبي موسى المواري أن العرب تسميتها السننية ». هكذا ورد النص وبه تنتهي الترجمة ، وواضح أن هناك تقاصاً وأن لا بد من كلية أعممية يشتمل عليها النص لتكون في مقابلها كلمة ( السننية ) المذكورة . وقد وجدت في كتاب ابن هشام الإشبيلي

السبتي عن حنـى العـامـة مـخـطـوـطـ الـاسـكـورـيـالـ وـرـقـةـ ٥٢ـ مـنـ النـسـخـةـ الـتـيـ تـحـمـلـ رقمـ ٤٦ـ ماـ بـلـىـ :

« ويقولون للطعام الذى يصنع عند نبات الأنسان للأطفال <sup>الذنْتِيلِهِ</sup> باللام والصواب <sup>الذنْتِينَهِ</sup> بالنون وهو إسم أعمى . وحكى الزبيدي في كتاب طبقات التجوين واللغوين قال : أخبرني بعض الشيوخ أنه ثبت سن بعض ولد الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله ، فأحدث فيه ما يحدث الناس عند نبات أنسان الصبيان ، فقال الأمير للوزراء : هذا الذي يسميه الناس بالعجمية الذنتين هل رُوى عن العرب فيه شيء؟ فسئل غير واحد من المتنبيين إلى ابن مختار قال : أخبرني فلم يوجد عندهم في ذلك علم ، حتى انتهت المسألة إلى ابن مختار فقال : أخبرني بعض أشيائي ، وذكر اسمه ، عن أبي موسى الموارى أن العرب تسميهما السننية . قال الزبيدي : وهذا إسم ما سمعت به قط ، وإنما موه بهذا . قال المؤلف : « وهذا القول لا يلزم لأن الإحصاء ممتنع ، وقد يبلغ واحداً ما لا يبلغ غيره . » انتهى .

ويتضح من نص ابن هشام أن مخطوطة الزبيدي لم تسقط اللفظ الأعمى وحده وإنما أسقطت تعليق الزبيدي ، وكلا اللفظ والتعليق طريف ، وواضح أن ابن مختار ترجم معنى اللفظ الأعمى لأنه مأخوذة من <sup>Dens</sup> اللاتينية ( dentis ) الذي انتقل إلى اللغات الحديثة والذي هو في الإسبانية ( Diente ) ومعناها ( السن ) .

وكنا نود فوق ذلك أن يبرأ النص من بعض تصحيحات لا يقع فيها من يقرأ النصوص الأندرسية مثل كتابة العلم الجغرافي ( مورور ) بالزاي بدلاً من الراء ، وهو تصحيف تكرر في موضع كثيرة جداً من النص المطبوع . ومن بعض أخطاء في التعليقات مثل الخلط بين عبد الملك بن جهور الذي عاش في أيام الناصر وبين جده الذي عاش في أيام عبد الرحمن بن الحكم ( تعليقة رقم ٢ ص ٢٩١ ) . كما كنا نود أن يراجع الحق تراجم الزبيدي على نظائرها في كتب المؤلفين الأندرسية ، وخاصة إذا التبس رسم الأعلام أو ضبطها مثل ( أبي حرشن ) ومثل ( الأفشنيق ) وغيرها . ولم تكن في حاجة ألى أن يعرف

الحق لنا أشخاص عبد الرحمن الداخل والخليفة هشام بن عبد الملك وسائر الأمراء والخلفاء بقدر ما كنا في حاجة إلى التعريف بأصحاب الترجم أنفسهم ومواضع ترجماتهم وضبط أسمائهم .

ومما يكن من شئ فجدهم الأستاذ الحق مما يشكر عليه ، وإن لأبي الفضل لفضلا في إخراج هذا النص القيم ، وتمكن جمهور العلماء من الوقوف عليه والاستفادة منه ، واستدرك ما حالت الظروف بين الأستاذ وبين استكماله . وله بعد الميزة الكبرى في سلامة النص وتحته من الناحية اللغوية واستقامة ما فيه من شعر ونثر وزناً ولفظاً وهو ما لا يستطيع إلا متمكن في لغة العرب عارف بأساليب القدماء كثیر الاطلاع على النصوص القديمة وللأستاذ الحق النصيب الأولي من كل ذلك . (ع. م. الأهوان)

### مقدمة في علم القرآن

**مؤلف الأولى مجھول ، ومؤلف الثانية ابن عطية الغرناطي**

حققهما أرثر جفرى A. Jeffery نشره المانجي . القاهرة ١٩٥٤ في صفحة ٣٢٣

هاتان المقدمتان تعرضا لعلوم القرآن وعليهما اعتمد المستشرق الألماني نولدكه في دراسته عن تاريخ القرآن . والأولى منها — وهي أطوالها وأحفلها — مقدمة لتفسير مخطوط في مكتبة برلين ، سقطت الورقة الأولى منه فلم يهتد الحق ولا من سبقه للكشف عن إسم المؤلف الذي سي تفسيره أو مقدمة التفسير «كتاب المباني لنظم المعانى» ويرجح الأستاذ الحق أن المؤلف مغربي ولا يقدم دليلا إلا قوله في المقدمة القصيرة التي كتبها (ويظهر لنا من لغته وأسانيده أنه من علماء المغرب) . وكنا نود أن يوضح هذا ، فإننا لم يظهر لنا ونحن نقرأ النص هذا الذي ذكره . وإن الإنسان ليعجب كيف لا يهتدى إلى المؤلف وهو صاحب تفسير ضخم نص على أنه ألفه في سنة ٤٢٥ هـ . ونص على إسم كتابين أو ثلاثة ألفها وذكر عنوانيه خلال مقدمته ، وذكر فوق ذلك بعض شيوخه الذين روی عنهم !

أما مقدمة ابن عطية (عبد الحق بن أبي بكر بن عبد الملك الفرناطي المتوفى حوالي سنة ٥٤٣ هـ) فهي لتفسيره الشهور بين أهل الأندلس والشرق الاسمي (الجامع المحرر الصحيح الوجيز ، في تفسير القرآن العزيز) . وقد اعتمد المحقق على أصول ثلاثة ذكر أماكنها وأرقامها ولكنها لم يصفها إلا وصفاً مجملًا في المقدمة الإنجليزية التي جعلها في آخر الكتاب .

وقد عَوَّدنا الأساتذة المستشرقون — وعنهما أخذنا في العصر الحاضر — إثبات الخلافات بين النسخ الأصول في هامش النص المطبوع . وكانتوا يسرفون أحياناً في هذا فيثبتون ما لا شك في تصحيحه ، ولكن الأستاذ جفرى أضرب عن هذا الأسلوب ، فلم يثبت في نص ابن عطية خلافاً واحداً بين النسخ . ووددنا لو سلك الطريق الوسط ، مع تقديرنا لصحة النص المنشور وسلماته وتوفيق الحق في إخراجه . ذلك أنها تجد في الصفحات الأولى من مقدمة ابن عطية — حيث حرص المؤلف على السجع والاحتفال بالأسلوب — عبارات قلقة تستلزم أن يقف الحقائق عندها .

قال المؤلف ص ٢٥٣ « وبعد : أرشدنى الله وإياك ، فأنى لما رأيت العلوم فنوناً ، وحديث العارف شجوناً سلكت ، فإذا هي أودية وفي كل السلف مقامات حسان ، وأندية ، رأيت أن الوجه ... الخ » — (الفواصل المثبتة عن المطبوع) — والعبارة كما يرى القاريء قلقة والفاصل في غير أماكنها . واستقامة النص أن يكون ( .. شجوناً سلكت [بغير واو وبالبناء للمجهول] فإذا هي أودية ، وفي كيل [بالتنون] للسلف [باللام] مقامات حسان وأندية ، .. الخ ) وفي الصفحات التالية بعض تصحيحات وتحريفات سهلة التصحیح لو عن الحق بها مثل ص ٢٥٥ ( وعلى غایتی من الإیجاز وجدت فضول القول ) فصوابها ( وحذف فضول القول ) ومثل ( فهي تقصى من الصدور تقصى الإبل من العقل ) وهذا الفعل بالفاء لا القاف وقد اقتبسه المؤلف من الحديث النبوی (أنظره في النهاية لابن الأثير ) والمتحقق لم يعن بمراجعة الأحاديث النبوية ولو خالف اللفظ أمامه قواعد النحو ، أورد في ص ٢٥٦ الحديث النبوی في فضل القرآن « ... فإن الله عز وجل يأجركم بالحرف منه عشرة حسناً ... »

والنحو يقررون أنها في مثل هذا «عشر حسنات» لا «عشرة». فهل أجمع النسخ الخطية على إثبات التاء المربوطة فيها؟

أما أخطاء الضبط غير قليلة في النص، لم تسلم منها حتى بعض الآيات القرآنية (ص ٢٦١) حيث رسم (مُدَكِّر) بفتحة فوق الكاف بدلاً من الكسرة. وهذه المسائل وأمثالها كان يمكن تداركها لو منح النشر بعض العناية كما قلنا. والنصوص المنشورة حين تظهر فيها هذه النقائص اليسيرة تضعف ثقة القاريء العربي بجهود المستشرقين وتجعله يسيء الفطن بأعمالهم العلمية ويتهمهم بالضعف والعجز رغم ما نعرفه عن جدهم وصبرهم وحسن الاستعداد لدى كثير منهم. فليتهم يتداركون هذا ويجدون الوسائل التي تجعل النصوص التي ينشرونها بريئة من هذه المحنات! وحكمنا على نشرة الأستاذ جفري لهذا النص — رغم ما ذكرنا — هو الرضى والاستحسان.

(ع. م. الأهوان)

### نهرة رسائل أندلسية في أدب الحسنة والمحسب

بتحقيق الأستاذ ليق بروفنسال — القاهرة سنة ١٩٥٥

طبعت هذه الرسائل في مطبعة المعهد الفرنسي، وصدرت ضمن سلسلة النصوص والترجمات الشرقية وهي المجلد الثاني من تلك السلسلة

*Textes et Traductions d'Auteurs Orientaux. Tome II*

أما الرسالة الأولى من الرسائل الثلاث فهي رسالة محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، وتشغل ٦١ صفحة من المجلد. وقد سبق أن نشرت هذه الرسالة بتحقيق الأستاذ ليق بروفنسال في المجلة الآسيوية (JA) في عام ١٩٣٤. ثم ترجمها الأستاذ إلى اللغة الفرنسية وشفعها بقاموس المصطلحات في سنة ١٩٤٧. وهذا هو يعيد نشرها مرة ثانية، لتكون في متناول الجمهور المثقف في العالم العربي، كما ذكر في الورقة الفرنسية الموجزة التي قدم بها لهذا المجلد. ومعلوم أن الأستاذ جارثيا جوميث قد ترجمها إلى اللغة الإسبانية سنة ١٩٤٨ بالتعاون مع الأستاذ ليق بروفنسال.

أما الرسالة الثانية فهي لأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف الذي يرجح المحقق أنه أندلسي عاش في (عصر متقدم نسبياً). وتشغل هذه الرسالة من ص ٦٩ إلى ص ١١٥.

وأما الثالثة فهي لعمر بن عثمان بن العباس الجرسيني وهو مغربي عاش في الأندلس في عصر متاخر . وهذه الرسالة في عشر صفحات وبها ينتمي المجلد . وقد وعد الأستاذ المحقق أرن يشفع هذا المجلد باخر يشتمل على نصوص أخرى لا تزال مخطوطة ، تتصل بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في إسبانيا الإسلامية ، ثم يشفعه ثالث يضم قاموساً لغويًا مفصلاً لهذه النصوص ولكتاب السقطى في الحسبة ، وهو الكتاب الذي سبق أن نشره الأستاذ ليفي بروفنفال بمشاركة زميله الأستاذ جورج كولان (G. Colin) وطبع في سنة ١٩٣١ . وإننا لنتمنى أن يخرج سريعاً المجلدان الموعودان ، لما لهذه النصوص من خطر في الكشف عن البيئة الأندلسية من جوانبها المختلفة ، وخاصة الجانب الاجتماعي منها ، ثم لما لها من قيمة في المجال اللغوى في الأندلس العربية .

ولا يسعنا إلا أن نحيي الأستاذ الفرنسي الكبير بمناسبة ظهور هذه النصوص التي تضم إلى مجده الطويل الخصب الموفق في دراسة النصوص الأندلسية ، وفي كتابة تاريخ الأندلس ، على أساس علمي سليم ، بعيد عن الهوى ، برىء من التصبب .

ولغة هذه الكتب (كتب الحسبة) تختلف في أسلوبها وتراتيب الجملة فيها وفي مفرداتها عن سائر الكتب ، إذ نلحظ فيها تأثير اللغة العامية ، لذلك يصعب في كثير من الأحيان على الدارس أن يقطع برأى حاسم فيما يبدو لأول وهلة أنه تصحيف أو تحريف أو سقط في الأصل المخطوط . فثلا نجد في أول رسالة ابن عبدون «فالعدل أبداً مأثور ، والخير محبوب ، والقואم مرغوب ، والخلاف مرفوض ، والشر مبغوض» فلفظ (القואم) لا يرد في كتب القدماء في مثل هذا المعنى ، ولذلك قد يتبدّل إلى ذهن القاريء أن يكون اللفظ محرفاً عن (الوئام) مثلاً . ولكننا نجد في أزجال ابن قزمان لفظ (القואم) مستعملاً بمعنى (الاستقامة) في عدة مواضع نذكر منها قوله «أنا هو منجل ، قوامي في

العوج » وقوله « لس هو عندك قوام ولا هو فلاح ». وابن عبدون يتهى القاضي عن كثرة دخول أعنوانه عليه وخروجهم بغیر استدعاء منه قائلاً ص ١٠ « فإن بالدخول والخروج يتحرفون على الناس وربما ارتشوا » وأسلوب القدماء هنا أن يقولوا « فإنه أو فائهم » هذا زيادة على استعمال هذا الفعل (تحرف على) في معنى لا يتفق تماماً مع الاستعمال اللغوي المنصوص عليه . لهذا كله يتخرج الباحث من القول بتحريف في مواضع من النص الذي نشره الأستاذ بروفسار ، وكل ما يستطيعه أن يقترح ليعود الحق إلى التأكيد من دسم الكلمات في الخطوطات . فثلا نجد في حديث ابن عبدون عن الخراص ص ٥ « لا خوف ولا حياء ولا دين ولا صلة لهم » فهل لفظ (صلة) هنا محرف عن (خلق) . وفي رسالة ابن عبد الرؤوف نجد ص ٩٧ في الحديث عن سوق السمك « يجب على المحتسب أن يتهدى لبيع الحوت مكاناً يكون فيه سوقهم بمotel عن الطريق ، لما تعوده من الرائحة ، ولما هم عليه من الهبة والحال » فهل لفظ (تعوده) تحريف عن (يُصِدِّره) ولفظ (هبة) عن (هيئة) ؟ نكاد نعتقد أن الثانية مصحفة . أما ما جاء في ص ٩٩ من بيع « العينة » فنجحن نعتقد أنها (الفية) . وقوله ص ١٠٦ « ولا تقصي أختيارات الموزين ولكن تطال علائقها » أحسبه (قصر) . وفي الرسالة الثالثة ص ١٢٠ « وتخليلها من جميع الشوائب » وأعتقد أنها (تخليلها) وأحسب أنه خطأ مطبعي .

ولهذا كله حرص الأستاذ الحق على إثبات خلافات النسخ في نشرته الأنية المتقدمة ولمذا أيضاً وعد بالجزء الثالث المشتمل على قاموس لغوى اصطلاحى . وإنما نرجو أن يشتمل القاموس فوق الألفاظ الجمل والأساليب .

وكنت أود أن أعرض على الأستاذ الحق كل المواضيع التي أثار النص فيها شكي ، ولكنني وجدت أمر ذلك يطول ، ولعل أن يتاح لي في فرصة أخرى .

(ع . م . الأهوان)

## سيرة الأستاذ جوذر

تصنيف أبي على منصور العزيزى الجوزى

تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد المادى شعيرة

نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة سنة ١٩٥٤

قام بتحقيق هذا النص الخطير والتعليق عليه عمالان من خبرة العلماء المصريين وها الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد المادى شعيرة . والكتاب في نحو مائتى صفحة من القطع المتوسط . وهو المجلد الحادى عشر من (سلسلة مخطوطات الفاطميين) التي يقوم بإخراجها الدكتور محمد كامل حسين والتي تتصل بالمذهب الإسماعيلي والدعوة الفاطمية ، وهو الموضوع الذى توفر عليه الأستاذ محمد كامل حسين منذ سنوات طوال وأنتاج فيه إنتاجا ضخما ووفق فيه إلى اكتشافات علمية رائعة فتحت للدراسين آفاقاً جديدة وألقت أحشاء ساطعة على نواحي من تاريخ مصر كانت مجھولة أو كانت مھملة أو كانت محلا للريبة وسوء الظن على خطرها وبعد أثرها في الحياة المصرية قديماً وحديثاً . والقارئ لهذا النص يغبط لما وفق إليه المحققان من الدقة في إخراجه وتقدير نصه ويغبط فوق ذلك لجهود الحففين في التعليقات القيمة الغنية التي شفعا بها النص والتي استعملت على ٤٠ صفحة والمقدمة الرصينة التي تقع في ٣٢ صفحة زيادة على الفهارس والحواشي .

وقد عاش مصنف الكتاب في القرن الرابع الهجرى . وصنف هذا الكتاب ذاكراً فيه حياة أستاده ومولاه جوذر . وجوذر هذا من صحابة الدولة العبيدية منذ نشأتها في إفريقية وتقلب في مناصبها وكانت مكانته خطيرة في البلاط الفاطمى و منزلته عظيمة عند المادى ، وولى عهده القائم ثم عند ابنه المنصور الذى خلع عليه لقب مولى «أمير المؤمنين» ثم عند المعز . ومات جوذر في برقة والجيش العبيدى في طريقه إلى مصر . ودفن في مسجد بموضع هنالك يعرف بعياس . وقد صار جوذر صاحب بيت مال الدولة العبيدية في إفريقية وكان إسمه يكتب على الطرز والبسط وكان يستخلف على سائر البلاد ويتولى أمور الأسرة المالكة

ويستفني في المشكلات ويوئمن على الأسرار الكبرى التي تتصل بالخلفاء وبولاية العهد . والنص - كما قلنا - خطير يكشف عن شخصية ضخمة كانت مجهمولة أ - هي شخصية جودر - وعن شخصية المصنف أيضاً وهو شبه مجهمول . وهو فوق ذلك يكشف عن شئون الدولة العبيدية في أدوارها الأولى حين كانت في المغرب وهي فترة غامضة ندرة الأخبار . إلى ما فيه من وثائق رسمية خطيرة وتوقيعات وخطب للأئمة الفاطميين وتوضيح لحياة المجتمع المغربي في النصف الأول من القرن الرابع وعن صلة الدولة العبيدية بقصبة : وهي سيرة حية كتبها المصنف عن حياة رجل حبه وعن عصر عاش فيه .

(ع . م . الأهوان)

### مجلة معهد المخطوطات العربية

عرف الناس في الشرق والغرب المهمة الجليلة التي يضطلع بها معهد إحياء المخطوطات العربية الذي أنشئ منذ سنوات تابعاً لجامعة الدول العربية والذي أسندت إدارته وقت نشأته إلى الأستاذ العالم السوري الدكتور يوسف العش . ولقد بذل الدكتور العش جهوداً عظيمة ليتحقق المعهد المهمة التي أسندت إليه من جمع صور للمخطوطات العربية الموزعة في أنحاء العالم على (ميكروفيلم) لتكون تحت تصرف الباحثين من العلماء . ولقد وفق المعهد في هذا السبيل توفيقاً كبيراً فأرسل البعوث إلى مختلف البلاد وصور من المكتبات العامة والخاصة حتى اجتمع له قدر ضخم من صور تلك المخطوطات . ثم جاءت مرحلة جديدة في تاريخ المعهد حين أسندت إدارته إلى العالم السوري المعروف الدكتور صالح الدين المنجد . وقد وفق الدكتور المنجد إلى تحقيق أمنية عزيزة على الدارسين والمتصلين بالمعهد وهي إصدار مجلة نصف سنوية تحمل إسم المعهد وتعالج الأمور المتصلة بالمخطوط العربي وبالنحو الصيدعية وبفهرس المكتبات ومحفوتها وتحت المخطوطات العملية ولا يظهر هذا العدد من مجلة المعهد المصري بمدريد إلا ويكون قد صدر العدد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية . وهو يستعمل على مقالات كثيرة وتقريرات عن مكتبات خاصة وعامة ، وقوائم لخطوطات مجهمولة

وعرض وتحليل لنصوص قديمة نشرت هذا العام في الشرق والغرب . وإنها لبشرى جديرة أن تحمل إلى الناس ، ونستطيع حتى يتم ظهور العدد أن نذكر بعض ما اشتمل عليه من مواقف .

سيجده في القاريء تقريراً عن مكتبات حلب كتبه الدكتور أسمد طلاس ، وتقريراً عن المكتبة الظاهرية بدمشق كتبه الدكتور كمال .

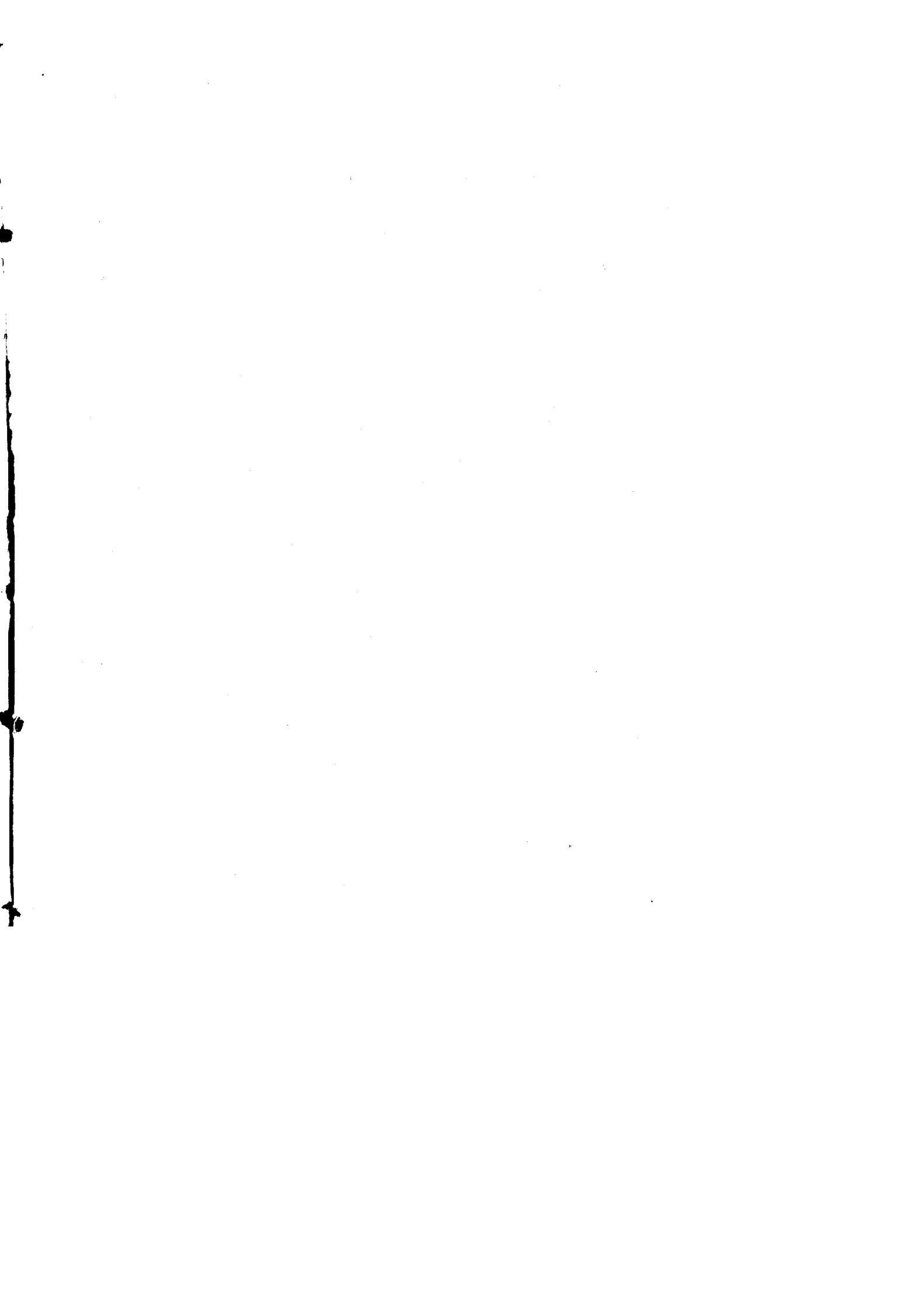
ومقالة عن تاريخ المكتبات في تونس بقلم الأستاذ العالم حسن حسني عبد الوهاب باشا وأخرى بعنوان (رسالة في الخط النسوب) بقلم الدكتور خليل عساكر وأخرى بعنوان (كتب برامج العلماء في الأندلس) بقلم الدكتور عبد العزيز محمد الأهوانى .

وبهذه المناسبة نذكر أن الدكتور صلاح الدين المنجد كان قد قام في العام الماضي بزيارة إلى إسبانيا موفرداً من قبل الحكومة السورية لدراسة المخطوطات العربية التي لم تفهرس في إسبانيا . وعاد وهو يحمل في حقيته عدداً كبيراً من الأوراق التي تتحدث عن تلك المخطوطات . وقد آثر أن يختص المعهد المصري في مدريد بهذا الجهد القيم النافع فينشر فيه ابتداء من العدد القادم بعض ما درسه من تلك المخطوطات في مدينة مدريد . والمعهد المصري يرحب بهذا ويشكر الأستاذ العالم على هذا الفضل الكبير<sup>(١)</sup> .

(ع . م . الأهوانى)

---

(١) إن إدارة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بدمشق تضم صوتها إلى صوت الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهوانى مصححة بهذا التعاون شاكراً لالأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد فضله وتحصيصة المعهد بنشر دراساته وأبحاثه عن هذه المخطوطات ( إدارة المعهد )



# أَنْبَاءُ

## سِجْلُ صُورِ الْآثارِ :

كان مقرراً أن يشتمل المعهد منذ إنشائه على سجل صور الآثار الإسلامية غير أن الظروف لم تساعد — للأسف الشديد — على تحقيق هذه الرغبة فيما مضى ، أما وقد تكنا الآن من تحقيق هذه الأمنية فيسر إدارة المعهد أن تعين لمهتمين من علماء الآثار والمتخصصين فيها أنها في صدد استكمال هذا السجل ولقد بلغ مجموع الصور التي لدى المعهد إلى الآن ٢٧٢٩ صورة .

## مَتْحَفُ الْفَنِ الْإِسْلَامِيِّ :

وقد تقرر إقامة متحف للفن الإسلامي بدار المعهد ليضم تحفـاً من الفن الإسلامي عامة والمصري خاصة . وقد اختيرت فعلاً القطع الأثرية الالزمة لهذا المتحف من بين مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة وإدارة حفظ الآثار العربية بها وهي وإن كانت هذه المجموعة قليلة في عددها إلا أنها تأمل أن تسد فراغاً ملحوظاً إذ أن متحف الآثار الإسبانية تكاد تكون خالية تماماً مما يمثل الفن الإسلامي في شرق العالم الإسلامي ، كما نرجو أن تكون إقامة هذا المتحف عوناً لعلماء الآثار في إسبانيا فيما يقومون به من أبحاث ودراسات . ونحن نأمل أن تصل هذه القطع قريباً من القاهرة .

## المطبوعات :

أصدر المعهد بحثاً للأستاذ خاينيتو بش بيلـا الأستاذ بجامعة سرقسطة وعنوانه :  
*El Oriente Arabe en el Desarrollo de la Cultura de la Marca Superior*

ولقد حصل المعهد على الاذن بترجمة الكتب الآتية :

Torres Balbás: *La Alhambra y el Generalife*

Torres Balbás: *La Mezquita de Córdoba y Madinat Al-Zabرا*  
Camps Cazorla, Emilio: *Módulo Proporciones y Composición en la Arquitectura Califal Cordobesa*

ويرجو المعهد أن تظهر قريباً لقراء اللغة العربية .

### القاموس الإسباني العربي — العربي الإسباني :

وهذه بشرى سعيدة نرتفها إلى المهتمين بالدراسات الأندلسية إذ تم الاتفاق بين إدارة المعهد والأستاذ جارثيا جوميث الأستاذ بكلية الآداب بجامعة مدريد ومدير المدرسة العربية والمعهد الإسباني العربي للثقافة على تكوين لجنتين إحداهما إسبانية برئاسته وتتولى وضع القسم العربي الإسباني والأخرى مصرية برئاسة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواي بكلية الآداب بجامعة القاهرة وتتولى القسم العربي الإسباني من القاموس . ويسرنا أن نقول أن العمل قد بدأ فعلاً في وضع هذا القاموس .

### المحاضرات العامة التي ألقاها بدار المعهد :

١ — السيد الأستاذ عبد القادر مختار

١٩٥٤ / ١١ / ٢٤ « مصر كما يجب أن يراها السائح »  
(مصحوبة بعرض بالفانوس السحري )

٢ — الدكتور اشتياق حسين قريشى

رئيس وفد الباكستان في اليونسكو ، ومدير التعليم بالباكستان سابقاً  
« باكستان كجزء من العالم الإسلامي » بالإنجليزية ١٩٥٤ / ١١ / ٢٥

٣ — الأب ج . كبار

١٩٥٥ / ٢ / ١٧ « حوريس فتي مصر القديمة » بالفرنسية  
(مصحوبة بعرض بالفانوس السحري )

## ٤ - الأَبْ ج . كَابَار

«الفن المصري في عهد الأسرة الثانية عشرة» بالفرنسية ٢٢ / ٢ / ١٩٥٥

(مصحوبة بعرض بالفانوس السحري)

## ٥ - الدَّكْتُور أَرْنُولْد شِتِيجِر

«التَّأثِيراتُ والمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَوْلَفَاتِ الْفُونُسُو الْعَاشِرِ الْحَكِيمِ» ٨ / ٣ / ١٩٥٥

## ٦ - الدَّكْتُور قَدْرِي حَافِظ طَوقَان

«النَّزَعَةُ الْعَلْمِيَّةُ فِي التِّرَاثِ الْعَرَبِيِّ» بالعربية ٤ / ١٩ / ١٩٥٥

كما نظم المعهد الاجتماعي آخرين بداره أحددها في ١٨/١٢/١٩٥٤ حيث قام السيد عزيز بلوش الملحق الثقافي بسفارة الباكستان بإلقاء عدة أغاني باكستانية وإسبانية محبهما إذاعة أغاني عربية والآخر في ١٠/٥/٥٥ نظم للذين يدرسون اللغة العربية بالمعهد وحضر هذا الاجتماع بعض أعضاء السفارة المصرية وبعض الطلبة المصريين . وقد عرضت عليهم في هذا الاجتماع صوراً بالفانوس السحري للآثار الفرعونية .

رسائل الدكتوراه :

إنهى الطلبة المصريون في إسبانيا من دراستهم وتقديموا بأبحاثهم التي أعدوها للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة مدريد وقد حصل الجميع على هذه الدرجةوها هي أسماؤهم وموضوعاتهم وتاريخ المناقشة :

## ١ - السيد الدكتور جودة عبد الرحمن هلال

٤ نوفمبر ١٩٥٤ «أبو الوليد سليمان الباكي»

## ٢ - السيد الدكتور أحمد مختار العبادي

٤ نوفمبر ١٩٥٤ «محمد الغنى بالله (الخامس) سلطان غرناطة وعصره»

## ٣ - السيد الدكتور أحمد عبد المقصود هيكل

٤ نوفمبر ١٩٥٤ «الشاعر ابراهيم بن سهل الاسرائيلي حياته وشعره»

- ٤ - السيد الدكتور محمود على مكي  
 «التيارات الثقافية المشرقة وأثرها في تكون ثقافة الأندلس» ٣ فبراير ١٩٥٥
- ٥ - السيد الدكتور السيد مصطفى غازى  
 «ابن خفاجة الجزيري عصره وحياته وشعره» ٣ مايو ١٩٥٥
- ٦ - الآنسة الدكتورة علية ابراهيم العناني  
 «النسيج الأندلسي» ٢٦ مايو ١٩٥٥

#### معرض الفنان محمد صبرى :

أقام الفنان المصرى السيد محمد صبرى المدرس بكلية الفنون التطبيقية وال موجود الآن بإسبانيا فى إجازة دراسية لاستكمال دراسته بإسبانيا معرضه الثانى بإسبانيا وذلك فى إحدى صلات نادى الفنون الجميلة بمدريد تحت رعاية السيد حسين عزيز سفير مصر فى إسبانيا وقد أفتتح المعرض فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٥٥ واستمر حتى ١٦ مايو سنة ١٩٥٥ وقد لاقى معرضه إقبالاً عظيماً وحظيت رسومه باعجاب وتقدير كل من شاهدها.

#### حلقة الدراسات العربية :

قام بتنظيم هذه الحلقة هذا العام معهد الدراسات السياسية والمعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع بعض التمثيل الدبلوماسي العربي ولقد ألفت لجنة تحضيرية لهذا الأسبوع برئاسة الأستاذ جارثيا جوميث مدير المعهد الإسباني العربي للثقافة ومثل فيها الجانب الإسباني الأستاذة كورديرو توريس وخيل بن أمية من أستاذة معهد الدراسات السياسية والأستاذ فرنسيسكو أوترای من رجال السلك السياسي والسكرتير العام للمعهد الإسباني العربي للثقافة ومثل الجانب العربي الأستاذ رفيق جوبياتى القائم بأعمال الفوضية السورية والدكتور جمال محزز

الملحق الثقافي بالسفارة المصرية ومدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد  
ولقد أقيمت في هذه الحلقة المحاضرات الآتية :

١ - الدكتور قدرى حافظ طوقان

عضو بجمع اللغة العربية والجنس الأعلى للتعليم بالأردن

«مشكلة اللاجئين»

١٩٥٥ / ٤ / ٢٠

٢ - السيد رودولفو خيل بن أمية

الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية

«إسبانيا والعالم العربي»

١٩٥٥ / ٤ / ٢٥

٣ - الدكتور أحمد السمان

عميد كلية الحقوق بجامعة دمشق

٤ - تصنيع سوريا والدول العربية الأخرى» في ٩ / ٥ / ١٩٥٥

٤ - السيد خوسيه ماريا كورديرو توريس

الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية

٥ - «البحر الأبيض حلقة التعاون الإسباني العربي» في ١٦ / ٥ / ١٩٥٥

٥ - الأستاذ يول خلاط

عضو مجلس الإنماء الاقتصادي اللبناني

٦ - «مشاكل التقدم الاقتصادي في الدول العربية» في ٢٧ / ٥ / ١٩٥٥

٦ - الدكتور جمال محزز

الملحق الثقافي بسفارة مصر بمدريد، ومدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد

«الإصلاحات الاقتصادية في مصر وأثارها الاجتماعية» في ٣٠ / ٥ / ١٩٥٥

### المعهد الإسباني - العربي للثقافة :

يسرى المعهد المصري أن يعلن لقرائه افتتاح المعهد الإسباني العربي للثقافة

التابع لوزارة الخارجية الإسبانية، ويشغل المعهد جزءاً من مبني المدرسة الدبلوماسية

الكائنة بالمدينة الجامعية بمدريد . وقد عين مديرًا له الأستاذ جارثيا جوميث ووكيلًا الأستاذ ميجيل كروث فرنانديز وسكرتيرًا عامًا الأستاذ فرنسيسكو أوترائي . ويتجلى في اعداد هذا المعهد الذوق الفنى الجميل الأمر الذى نشاهده فى مختلف المنشئات الإسبانية ، ويحتوى المعهد علاوة على مكاتب الادارة — على مكتبة وقاعة للدرس وزود بآلة للتسجيل وفانوس سحرى وآلة للعرض السينمائى . ونحن إذ نقدم تهانينا إلى القائمين على أمره بمناسبة افتتاحه نرجو لهم النجاح والتوفيق في مهمتهم .

وأن المعهد المصرى ليغتبط كل الاغتناط بهذا المعهد الشقيق وكلنا أمل فى أن تثمر الجهود المشتركة بين المعهدين فتتحقق الآمال المعقودة عليهم من بعث الدراسات الأندلسية وتوثيق عرى التعاون الثقافى بين البلدين الصديقين .

## ملخصات

### لرّبّحات المحرّرة بارسّابانية أو الفرنسيّة من هذا الجلد

كامون أتسار : الأساليب الفنية المستمرة في الفن الإسلامي

تمتاز إسبانيا بموقع جغرافي خاص جعل منها طريق الاتصال بين أوروبا وأفريقيا وأرضها مكان العبور من القارة الواحدة إلى الأخرى ، وكان لذلك أثر كبير في فنونها فأكسبها اصالة واستقلالاً ولذلك كان من الواجب على من يريد أن يفهم الفن الإسباني ألا يقيسه بالمقاييس التي يطبقها على الفنون الأوروبيّة الأخرى بل بمقاييس خاصة به .

وأول ما يلفت النظر هو ذلك التناقض أو الازدواج بين أوروبا وأفريقيا على سطح شبه الجزيرة الإيبيرية إذ كانت هناك وجهتان أحدهما تتجه نحو أوروبا والأخرى نحو أفريقيا وهذا الازدواج أو هذا التناقض كان له أثره العظيم في خلق هذه الاصالة ولو لا إسبانيا وجمعها بين التقليدين لظل كل من الثقافتين الأوروبيّة والافريقيّة غريبًا عن الآخر .

وإذا ما رجعنا إلى فن ما قبل التاريخ وجدنا ثقافة أوربية الطابع من العصر الحجري القديم في الأقليم المسمى بالفرنسي الكنتبرى ممثلة في رسوم الكهوف كا في التاميرا وتمتاز بأن التهذيب يؤدى إلى إبراز الصفات الخاصة ونرى فيها الإنسان يقع وراء الحقيقة وهيئة الأشياء . أما في أقليم الليبيانت فنجد ثقافة افريقيّة ممثلة في رسوم الكهوف وتمتاز بأنها تأثيرية تهذيبية تميّل إلى التناست وهي وصفية تعنى بالتأثيرات ولذلك لا تعنى بابراز صفات الفرد بل تهم بابراز مجموعة الأفراد وحركاتها .

وفي العصر الحجري الجديد نجد مظهراً فنياً افريقياً — إيبيرياً ألا وهو الأولى الناقوسية الشكل التي قدر لها أن تنتشر انتشاراً عظيماً في أوربا . وهنا نستطيع أن نقول أننا قد عثنا لأول مرة على ما يدل على الثقافة المستعربة التي أفضل أن أسميه الثقافة الافريقية — الإسبانية .

ونصادف مرة أخرى في الفن الإيبيري مظاهر التناسق الإسباني في خزف الابرو فنجد تكرار العناصر الزخرفية من حيوانات ونباتات وتفطية سطح الاناء كلها بالرسوم الزخرفية المختلفة الأشكال ويمكن أن نعتبر ذلك أول مظهر لفن الباروك الإسباني .

ولقد حدت بعد أن تفككت الامبراطورية الرومانية وظهرت الحركات الوطنية أن وجد في كل بلد فن خاص هو مزيج من الأساليب الرومانية والاحساسات الوطنية ظهر بذلك الفن القبطي والسورى والأناضولى والإسبانى .

ومن الواضح أن إسبانيا كان بها فن إقليمي عاش مختلفاً بها لغبته الفن الامبراطوري عليه ولكننا نستطيع أن نجد بعض آثاره . وأرى أن الفن القوطى الغربى هو أول مراحل الفن الإسبانى الصحيح وقد احتفظ ببعض المظاهر الرومانية والأساليب الإيبيرية كالعقد ذو حدوة الفرس ، وأوضح ما تكون هذه المظاهر في العناصر الزخرفية مثل الدوائر والوريدات ولسنا في حاجة هنا إلى أن نشير إلى أن انتشار هذه العناصر راجع إلى تأثير سورى ربما كان عن طريق هجرات يهودية .

ثم جاء الفتح الإسلامي وما تسبب عنه من خلق ثقافة إسبانيا في العصور الوسطى وبخاصة الفن . ويجب أن نشير هنا إلى أن هذا الغزو لم يغير شيئاً من المظاهر الفنية ولم يكن غريباً من الناحية البيولوجية عن الصفات الأندلسية وكل ما قام به إنما هو دفع للافكار والأساليب والاحساسات الفنية إلى الأمام خاصة وأنه لم يدخل معه إلا القليل من العناصر الزخرفية . ونستطيع أن نقول أن هذا الغزو قد حرر الثقافة الافريقية — الإسبانية إذ أدى اتحادها سياسياً إلى فهم ملتها الفنية .

وكان الاتحاد الفنى الذى نلمسه فى تشابه الآثار فى كل من افريقيه وجنوب اسبانيا وقد نبذ هذا الاتحاد ورائه مخلفات الثقافة الرومانية واستوحى إحساساته وروحه وجنسه مصادر ثقافته وهذا يفسر لنا ظهور العقد ذو حدود الفرس مرة أخرى في عمارة قرطبة . وقد نتج عن هذا دفع التناقض الاسباني إلى الأمم الأمر الذى نراه مثلا في الزخرفة الاسبانية خلال العصور الوسطى في التكرار والتناقض مما يدعو إلى وصف تصور الفنانين في ذلك العصر بالتصور الحسابي الذي يغيب عنه المنظور وهيئة الأشكال .

ثم جاءت حركة الاسترداد التي يمكن أن تعتبر مظهراً لتعارض ثقافتين أكثر منها كفاحاً دينياً واقليمياً إذ أن البلاط الأستوري اتجه نحو أوربا باحثاً عن حلفاء له دون المستعربين . ومنذ ذلك الوقت نلاحظ عدم الاستقرار في الفن الاسباني إذ كان غربياً أو عربياً وذلك تبعاً للمحوادث السياسية أو ما يسن من قوانين .

وتشهد هذه الفترة نضالاً حاداً بين الثقافة الأوربية التي تريد غزو اسبانيا والثقافة العربية التي تحجّد في المحافظة على كيانها كما تمتاز أيضاً بتعارض المثل والحلول عند كل من المستعربين وأهل استوريا ولقد قدر للأساليب الفنية للمستعربين أن تنتصر أحياناً على الأساليب الأوربية .

ونستطيع أن نميز في ميدان التصوير ثلاثة أساليب الأول الأندلسى الطليطلى ذو الصفات الشرقية والثانى القطلونى وهو صدى للأوربى والثالث القشتالى الليونى وهو مزيج من الإثنين مع احتفاظه ببعض خصائصه .

ويظهر في اسبانيا في القرن 11 م رد فعل أوربي لا سماى يمثله الفونسو السادس الذي أراد أن يقضى على كل ما هو عربي ولربما كان كفاحه مع السيد رمناً لهذا النضال الذي كان قائماً بين الثقافة الأوربية والافريقية الأندلسية .

وقد قدر لشمال اسبانيا أن يندمج في أمور أوربا في عهد الفونسو السادس — العهد الرومانسى — عن طريق الحجاج الأوربيين الذين كانوا ينددون إليها

لزيارة كاتدرائية سنتياجو تلك الكاتدرائية التي نرى أمثلتها الأولى في أوروبا والمعاصرة لها ونشهد نماذجها فيما بعد في إسبانيا وتمكن الصفة البارزة للهندسة الرومانيسية في إسبانيا في الاستعراب البطئ للأساليب الأوروبية غير أن هذه الحركة قضى عليها بشدة نتيجة انتشار الأساليب المعمارية للمذهب الديني التيسترني.

وقد قدر للأساليب المعمارية التي كانت مستخدمة في القرن السابق أن تستخدم أيضاً خلال هذا القرن نتيجة انطواها تحت لواء الفن الفرنسي. كما نامس أيضاً تياراً جديداً خليطاً من تأثيرات أندلسية يسودها الروح الإسباني في بعض الآثار وبخاصة في ثامورا. وبجانب هذين التيارين نجد فن المدجنين الذي استطاع أن يستكمل قوانينه وتكونه وزخارفه التي استمرت طيلة العصور الوسطى. ثم يظهر الفن القوطي وما شيد من كاتدرائيات عظيمة تلك المباني التي نشاهد فيها كل ما هو مخالف للروح الإسلامية.

وفي القرن ١٣ - ١٤ م عندما كان التأثير الفرنسي على أشدّه كان التحمس الشديد للجنوب سبباً في تحطيم الصلابة وتشبع كل العناصر الزخرفية بروح الفن المدجن.

ولقد كانت قشتالة وأراجون ميالتين للأساليب الفنية العربية لأسباب عدة أولها الجنس وثانيها الانسجام بين الشعبين نتيجة هجرة كثير من المستعمرات جماعات إليها الأمر الذي كان له أثره في حياة كثير من الناس والشخصيات البارزة حتى الملوك. ولقد وجدت مراكز إقليمية ويمكن القول أن كثيراً من الكنائس الشعبية المشيدة بالطوب في كثير من الأقاليم من بناء المدجنين بل أن بعض الكاتدرائيات تأثرت بهذا الفن كما في أراجون مثلاً.

ويتفق الغنى الزخرفي وتقليد الطبيعة مع الانتصارات التي أحرزها الملوك الكاثوليكين وما كان يسود بلاطها من أفكار.

ومن الواضح أن إسبانيا كانت على استعداد من الناحية العاطفية إلى اقتباس طراز الباروك.

ولقد كان لقوة المزاج الاسباني اثره في الجمجمة بين العالمين الغربي والافريقي وبين التقليد الصادق للطبيعة وبين التناقض الاسلامي . وكان المكان الكاثوليكيان يعتقدان بضرورة انسجام كل العناصر المكونة للمجتمع لتحقيق الوحدة الاسانية ، ولقد تغلب طراز المدجنين بصفة مؤقتة باستخدامة بعض الامثليب القوطية إلى أن دخل تيار جديد ذو طابع عالمي هو طراز النهضة الذى تمكّن من التغلب على العقلية الافريقية وتعاليمها الفنية .

#### منتدى ييدال : اسبانيا وإدخال العلوم العربية إلى الغرب

كانت اسبانيا في العصور الوسطى قبلة انتشار العلماء والباحثين والدارسين من الأوروبيين وإليها شدوا راحلهم ليهلاوا من الحضارة الاسلامية التي ازدهرت في هذه البلاد وكان من أوائل الوافدين على هذه البلاد جربرت «البابا سلفستر الثاني فيما بعد» وقد ظل بها ثلاث سنوات (٩٦٧ - ٩٧٠) وذهب إلى قرطبة ليستقي العلم والمعرفة .

وكان بدره ألفونسو من أهالي أرغونة (القرن ١١ - ١٢ م) من دعاة العلوم العربية ، وقد نشأت حركة للترجمة في عدة مدن اسبانية ولكن أهم هذه المدن كانت طليطلة .

وقد حلّت طليطلة محل قرطبة بعد سقوط الخلافة واسترداد اسبانيا لها عام ١٠٨٥ م وكانت عاصمة بالكتبات العربية وكان يقطنها في ذلك الوقت جماعات ثلاثة المسيحيون والعرب واليهود وقد قام الآخرون بدور الوساطة بين الجماعتين الأوليتين .

ويُـكـن تقسيم حركة الترجمة في طليطلة إلى قسمين أو مراحلتين كانت الترجمة في المرحلة الأولى من العربية إلى اللاتينية وفي المرحلة الثانية من العربية إلى اسبانية .

وقد ساعد الأسقف ريموند ١١٢٦ - ١١٥٢ م حركة المرحلة الأولى التي قامت بوساطة اليهود بالرغم من أنه لم يكن عالماً بالدراسات العربية ولقد قدر لهذه الحركة أن تزدهر وتحتل طليطلة مكاناً ممتازاً لأكثر من قرن بفضل مساعداته ومساعدات خلفائه .

وكانت للإطلاع على الخطوطات العربية والقيام بترجمتها الفضل في تعرف الأسبان وغيرهم من الأوروبيين على مؤلفات العلماء الأغريق علاوة على الثقافة العربية نفسها .

ومن مؤسسي هذه المدرسة وباعثي الحياة فيها دومينجو جوئالبو وإيهير يرجح الفضل في استخدام اللغة اللاتينية لأول مرة وقد ترجم أعمال الفارابي وابن سينا والغزالى - كما ترجم أيضاً علوماً عربية إسبانية وتأليف ابن حيرون الذي فقد أصله العربي ولم يبق غير الترجمة اللاتينية . وقد اشتراك معه في المرحلة الأولى هذه المدرسة ابن داود .

وكانت أسلوب الترجمة هو أن يترجم ابن داود النص العربي إلى اللغة الإسبانية الدارجة شفوياً ويقوم جوئالبو بتحرير ما يسمعه من ابن داود باللغة اللاتينية في نفس الوقت .

وقد ترجمت كذلك كتب علمية منها كتاب الحساب للخوارزمي قام بترجمته خوان الشبيلي وكانت تلك الترجمة سبيلاً إلى تعريف الأوروبيين بعلم الحساب الهندي وإدخال الصفر إذ كان مجھولاً لدى الأغريق والرومان .

ويحتمل أن أول أجنبى اهتم بالتعرف على العلوم العربية في طليطلة هو أديلارد الانجليزى وقد قام بترجمة جداول فلكية للخوارزمي عن اللغة الإسبانية . ومن أهم المظاهر خلال تلك الفترة العناية بترجمة القرآن إذ أن بدرو التقى رئيس دير كلوفى كان قد حضر إلى إسبانيا سنة ١١٤٢ م وكلف كلاً من بدرو اليهودى وهرمان الألمانى وروبرت تشستر الانجليزى ترجمة القرآن وهو مظهر جديد للاهتمام بالعالم العربى وقد تمت الترجمة في عام ١١٤٣ م .

وقد رُؤى في تلك الفترة أن خير وسيلة لاقناع المسلمين هي التعرف على عقائدهم بجانب علومهم وبذلك يمكن التغلب عليهم وإخضاعهم . وقد أدى الاهتمام بهذه الدراسات إلى الانفتاح إلى نواحي أخرى منها الناحية الصناعية ونلقت النظر هنا إلى الورق بنوع خاص إذ كثرت الإشارات إلى وجود مخطوطات من الورق بعد أن كانت من الرق أو البردي ولقد دخلت هذه الصناعة إلى فرنسا من إسبانيا .

ولم يقدر جنوب إيطاليا أو صقلية أن تنافس إسبانيا في جذب العلماء إليها بالرغم من ازدهار الثقافة الإسلامية بها ومن الصبغة العربية التي كان يكتسبها بلاط روجر الثاني إذ أن هذه الثقافة لم تكن بالدرجة التي كانت عليها الثقافة في إسبانيا وبالرغم من أن أزيكوا ديستيبيو قام بترجمة المخطوطة إلى اللاتينية في صقلية إلا أن هذه الترجمة لم يقدر لها أن تنتشر مثل الترجمة التي عملت في طليطلة لهذا الكتاب وطبعت في البندقية عام ١٥١٥ م .

ولقد ازدهرت دراسات الفلسفة الإسلامية في إسبانيا في نفس الوقت الذي كانت تعمل فيه مدرسة الترجمة في طليطلة فظهر ابن باجة وابن طفيل وابن رشد والبتروجي وموسى بن ميمون وقد ترجمت كتبهم إلى اللاتينية ولو لا ذلك لما قدر لنا أن نعلم شيئاً عنها ولقد قام بهذه الترجمات نفر من الأوربيين والإسبان مثل ميجيل الأسكتلندي وهرمان الألماني وماركوس الإسباني الذي ترجم علاوة على ذلك القرآن وبعض مخطوطات دينية للموحدين وجد في بعض هذه الترجمات مثل ترجمة الفريد دي سارشل خليطاً من الإسبانية واللاتينية .

ولقد ظلت المدرسة العربية اللاتينية تعمل بجانب هذه المدرسة العامة وكان آخر من اهتم بهذا الأسفاق جوناثالو جارثيا جوديل الذي أهدى إليه الفارو من أوبييدو ترجمة لأحد كتب ابن رشد .

ولقد أشاد الكتاب الأوربيون بما للفلسفة العربية من مكانة وأهمية في هذه الدراسات أمثال رينان ويكون .

أما المرحلة الثانية لمدارس الترجمة فهي المدرسة العربية الإسبانية . وكان العلامة اليهود من معاوني الفونسو العاشر هم السبب في إحلال اللغة الإسبانية محل اللغة اللاتينية لكراسيهم لها إذ كانت أهم أدلة من أدوات المسيحية وكانوا السبب في ترجمة «العهد القديم» إلى الإسبانية في القرن ١٣ م وكتابه الكتب التاريخية والعلمية باللغة الرومانسية . ومن المعروف أنه قد ترجمت كتب علمية شرقية وشرعية باللغة العالمية في عهد فرناندو الثاني في منتصف القرن ١٣ م . وكان راعي هذه المدرسة الفونسو العاشر الذي رأى أن يقتدى بما كان

يفعله ملوك الطوائف في طليطلة وشبيلية من رعاية العلامة .

وكان الكتاب الواحد يترجم إلى لغات متعددة أحياناً فنجد ترجمة لاتينية وأخرى رومانسية وثالثة إسبانية مثل ما حدث في كتاب الكيمياء ليو ف قراطيس . ويمكن تقسيم المرحلة الثانية وهي مدرسة الفونسو إلى فترتين الأولى بدأت من ١٢٥٦ حيث ترجمت كتب علمية واستمرت أربع سنوات . ولقد حدث أن الفونسو العاشر أمر بترجمة كتاب كلية ودمنة وهو في صباه قبل أن يتولى الحكم . وكان نظام العمل في هذه المدرسة شبيه بنظام العمل في المدرسة العربية اللاتينية من حيث اشتراك عربي أو يهودي مع راهب مسيحي في عمل الترجمة وهناك صلة أخرى بين مدرسة الفونسو والمدرسة السابقة لها ألا وهي قيام بعض مترجمي المدرسة الثانية بالترجمة في مدرسة ألفونسو مثل ألفارو الأويدي ويهود ابن موسى وهرمان الألماني أيضاً .

ويحسن أن نشير هنا إلى ما قام به الامبراطور فرديريك الأول قبل ألفونسو العاشر مباشرة من قيام حركة ترجمة في بلاطه العلمي ولكنها كانت ترجمة لاتينية وكانوا يستخدمون هناك اللغة العالمية لكتابية الأشعار ووجدت بذلك المدرسة الصقلية للشعر التي كانت تكتب باللغة اللاتينية العالمية إذ لم يكن من الممكن أن تولد الكتابة النثرية العالمية لغابة اللغة اللاتينية وقوتها هناك . ولقد بدأت الفترة الثانية من حياة مدرسة ألفونسو بعد عام ١٢٦٠ بعد

أن فرغ من أعماله الحربية والسياسية وبدأت بأغراض واتجاهات جديدة وفي هذه الفترة أعيد ترجمة ما لم تجز ترجمته القبول بصياغته في لغة أحسن من الأولى أو إضافة وتمكّلة ؟ ووضع خالماها الجداول الفلكية وكتاب الأحجار والشطرينج والتاريخ العام معتمداً على مصادر عربية بجانب النصوص الدينية والقديمة مثل كتاب أبو عبيد البكري وابن وصيف شاه .

واهئاماً من الفونسو بنشر ترجماته في البلاد الأخرى وتقديرأً منه لما يعوق هذا الانتشار نظراً لكتابتها باللغة الإسبانية رأى أن تعمل ترجمات أخرى ليس فقط باللغة اللاتينية بل وباللغات العالمية الأخرى وبهذا الطريق انتشرت علوم الفلك وهي أهم ما كان يعني به الفونسو إذ وجدت عدة ترجمات أخرى لها ويمكن أن تقول أن الأسطرلاب الأوروبي هو أسطرلاب الفونسو وهو المسطح « الصفيحة » الذي كان يستخدمه البحارة في الغرب وهو نفس أسطرلاب الزرقايل .

ونخت البحث بأن نشير إلى أن داتي كان متأثراً في الكوميديا الإلهية بقصة المراج الإسلامية إذ أن هذه القصة كانت قد ترجمت في عهد الفونسو وأصبح الآن من الأمور المؤكدة اطلاع داتي على هذه الترجمة . وأخيراً أن إسبانيا كانت في عهد الفونسو حلقة الاتصال بين الشرق والغرب .

میاس بیاکروزا : المؤلفات الأولى عن الأسطرلاب في إسبانيا العربية

ازدهرت علوم الرياضة والفلك في بغداد وبخاصة في عهد المؤمن والمعتصم ، وكان قد ترجم من قبل في عهد الخليفة المنصور كتاب السندهند الكبير وظل مصدراً أساسياً للعلماء المسلمين حتى عهد المؤمن .

وقد ظلت الأندلس بمعرض عن هذا النشاط العلمي حتى عهد الخليفة محمد الثاني (٨٢١ - ٨٥٢ م ) إذ كان الاتصال الثقافي مع الشرق غير وثيق وخصوصاً

العراق ولقد أرسل محمد الثاني في عام ٨٢١ م عباس بن ناصح الثقفي إلى العراق للبحث عن كتب خاصة بالفلك والتنجيم وجلبها إلى الأندلس .

وحتى منتصف القرن ٥٣ - ٩ م لم يبرز اسم أحد من العلماء الأندلسيين في هذه الدراسات إذ لم يتفرغوا لها فثلا أبو عبد الله مسلم بن أحمد بن عبيدة من أهل بلنسية والمعروف باسم صاحب القبلة كان مهتماً بعلوم الشريعة والسنّة أكثر من اهتمامه بالفلك وكذلك يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة لم يكن متفرغاً لهذا العلم وحده بل كان مهتماً أيضاً بالطب واللغة والشعر . الخ وقد شهدت الأندلس في عهد الخليفة الحكيم ازدهار هذه الدراسة إذ أولاها رعايته واستجلب من العراق ومصر وغيرها أهم الكتب الأساسية فيها ، قديمها وحديثها ، وبنبغ فلكيون تخصصوا في مراقبة حركات النجوم واستخدام آلات الرصد وتمكنوا من تصحيح وتحسين المداول الفلكية والاستنتاجات القديمة .

وكان عماد هذه الدراسة في مدرسة قرطبة أبو القاسم مسلمة بن أحمد المحرري (توفي ٥٣٩٨ - ١٠٠٨ م) وقد تفوق على الجميع في علم الفلك ومراقبة النجوم وفهم المحسضي وخلص عمل محمد بن أحمد الخوارزمي وجداول البطاني - تعديل الكواكب - وتتمذذ عليه كثير من العلماء من بينهم ابن الصفار وابن السمح وأخرين .

وي يمكن أن نسب إلى مسلمة ملاحظات على تأليف عربي مفقود أصله اليوناني وقد قام بترجمة هذا التأليف إلى اللاتينية هرمان الألماني وربما اشتراك معه في هذا العمل روولفو دي بروخاس .

وتوجد كذلك ترجمة لاتينية أخرى من عمل يوحنا الإسباني ، خاصة باستخدام الاسطرلاب المسطح وإذا كانت هذه المؤلفات من عمل ابن مسلمة حقاً فإنه يكون بذلك أول من ألف عن الاسطرلاب في إسبانيا المسلمة ، ولكن يحوط الشك بهذه النسبة لسببين أولهما أن ابن سعيد الطيلطي - وهو خير مرجع لهذه الدراسات - لم يذكر عن ابن مسلمة أنه قام بعمل تأليف عن الاسطرلاب

علاوة على عدم وجود إشارة كهذه في الكتب العربية الأخرى والسبب الثاني هو عدم وجود أصل عربي له إذ أن كل ما نعرفه هو إشارات في الترجمات اللاتينية ويجب ألا يغرب عن البال أن كثيراً من هذه الترجمات اللاتينية تخلط بين المؤلفين الأصليين للكتب .

ويلاحظ أن ما ينسب إلى مسلمة يشابه تماماً فيما عدا الفصل الأخير مؤلفاً لتلميذه أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر الغافقي المعروف بابن الصفار ويسمى كتابه «كتاب العمل بالاسطرلاب». وقد تحدث ابن سعيد الطليطى عن ابن الصفار هذا ومكانته وذكر أنه كان له أخ ماهر في عمل الاسطرلاب ، وربما كان امتياز أهل شرق الأندلس في هذه الصناعة راجع إلى رحيل هذا الصانع إلى دانية مع أخيه عقب وقوع الفتنة في قرطبة . وتوجد بعض الاسطرلابات من عمل إبراهيم بن سعيد السهلى يقع تاريخها بين ٤٥٩ و ٤٧٣ هـ أو ربما من الثالث الأخير من القرن ١١ م .

ويحتمل أن ابن الصفار قد اعتمد على ما ألفه ابن ما شاء الله اليهودى المصرى (حوالي ٨١٥ م) عن صناعة واستخدام الاسطرلاب ؛ إذ أنه بالرغم من فقدان الأصل العربى لا توجد له ترجمة لاتينية فقط بل نجد أيضاً تعليلات ومقتبسات إنجليزية من عمل تشورسر مع وجود فقرات من عمل المترجمين أو الناسخين على ما يظهر ، وربما كان هذا التأليف هو الذى وصل إلى الوزير اليهودى حشدائى ابن شبروت وزير الخليفة عبد الرحمن وبذلك يكون أول مؤلف وصل إلى إسبانيا في النصف الأول من القرن ١٠ م . وتنسب نسخه اللاتينية إلى أواخر القرن العاشر والحادي عشر والثانى عشر الميلادى .

وقد ترجم كتاب ابن الصفار إلى اللاتينية قام بعملها بلا تو تيبرينوس في الثلث الأول من القرن ١٢ م كما ترجم إلى العبرية .

وكان مؤلف ابن الصفار في متناول ايدي العلماء الذين قاموا بحركة الترجمة

في عهد ألفونسو العاشر فعند ذكر استخدام الاسطرلاب المستدير نجد كل ما ذكره ابن الصفار عنأخذ الارتفاع لمكان غير مذكور في الاسطرلاب . وتوجد مؤلفات أخرى منها لأبي القاسم بن السمح المتوفى في غرناطة سنة ١٠٣٥ م ويكون تأليفه من جزئين أحدهما خاص بصناعته وآخر باستخدامه ومحفوظ من هذا التأليف نسخة في المتحف البريطاني ٤٥٥ / ٢ وهي أقل قيمة من تأليف ابن الصفار ولا توجد له ترجمة كما نجد أيضاً تأليفاً لأبي الصلت ابن دانية المتوفى ١١٣٤ م .

جبيو : النقود اللاتينية العربية

أطلقنا هذا الإسم على مجموعة النقود التي سكت في شمال افريقيا والأندلس في الفترة فيما بين ٨٤ - ١٠٠ هـ - ٧١٩ هـ أي خلال مدة ١٥ عاماً وقد جعلنا سنة ٨٤ هـ بداية لهذه الفترة بالنسبة لنقود افريقيا وسنة ٩٤ بالنسبة لنقود الأندلس أي عقب انتهاء عمليات الفتح في كل منها .

وكانت هذه النقود تقليداً لعملة هذه البلاد قبل الفتح الإسلامي لها فاقتبس المسلمين شكل السكة الهرقلية في شمال افريقيا كما ساروا على نفس التقسيم الذي كان متبعاً فيها أي دينار ونصف وثلث وكانت السكة في الأندلس على نظير سكة شمال افريقيا نظراً لخضوعها لحكم واحد مع ضرب نجمة على العملة بدلاً من رسوم الأباطرة وما هو جدير بالذكر أن المسلمين في الأندلس لم يقلدوا العملة الذهبية القوطية . ونلاحظ أن إسم الولاية قد ذكر على النقود بخلاف ما كان متبعاً في الشرق ويمكن أن نستدل من هذا على وجود شعور بالاستقلال عند أهل الغرب .

ويمكن تقسيم مجموعة هذه النقود إلى أقسام أو إلى فترات بحسب ظهور اللغات عليها .

- ١ — نصوص لاتينية غير إسلامية الطابع  
وهذه غير مؤرخة ويمكن أن يجعلها بعد سنة ٩٢ هـ
- ٢ — نصوص لاتينية إسلامية الطابع من ٩٦ إلى ٩٧ هـ
- ٣ — اللغة اللاتينية مع العربية ٩٨ هـ
- ٤ — اللغة العربية فقط ١٠٢ هـ
- ٥ — ونلاحظ أننا لا نجد في الفترة فيما بين ٩٩ - ١٠٠ هـ غير الفلوس.

ويمكن أن تنسب ظهور اللغة العربية إلى سبب سياسي وهو أنه بعد ٩٨ هـ أى بعد اغتيال عبد العزيز وتقل أيوب مقر الحكم إلى اشبيلية ، روى إدخال اللغة العربية كرد فعل لسياسة التسامح التي كان يسير عليها عبد العزيز كما يمكن إرجاع اختفاء اللغة اللاتينية إلى سبب سياسي أيضاً ألا وهو قيام حركة المعارضة من قبل بيلاي .

وكذلك يمكن تقسيم هذه النقوذ في إفريقية إلى مجموعات بحسب ظهور اللغات.

- ١ — لغة لاتينية
- ٢ — لغة لاتينية وعربية من ٩٨ هـ
- ٣ — لغة عربية فقط بعد ١٠٢ هـ

أما عن تاريخ القطع فهو من الصعوبة بمكان وبخاصة إذا لم تذكر السنة التي ضربت فيها القطعة وهناك طريقتين للتاريخ :

- ١ — حتى سنة ٩٨ هـ نجد النص اللاتيني مع ذكر الاصطلاح الخاص بالتاريخ والمسمي Indiction . ونظرأً للاختلاف الموجود بشأن هذا الاصطلاح فقد أصبح من الصعب تاريخ القطعة .
- ٢ — من ٩٢ - ١٠٢ هـ يختفي هذا الاصطلاح ويذكر التاريخ بالأرقام جريأً على العادة الإسلامية وكان التاريخ يضرب أحياناً بالأرقام اللاتينية . وفيما يتعلق بدور السكة فهي مسألة غامضة جداً إذ لا نجد إلا إشارات

- ၃ - မြန်မာတေသန အာဏာ ပုဂ္ဂန် ရန်

၁ - ကျော်ကူး လုပ် လုပ်

၁ - ကျော်ကူး လုပ် လုပ်

၁ - ကျော်ကူး လုပ် လုပ်

۱۰۰ میلیون تومانی داشتند.

• حکم ایجاد شد

କାହାର ପାଇଁ କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା

• ፳፻፲፭ ዓ.ም. ከ ትርጓሜ ማረጋገጫ የሚያስተካክል ይገልጻል.

‘କେବେ କୁ ? ହେ ଜାଣିବା କି ?’

ପାଇଁ କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା କିମ୍ବା

### شتيجر : التأثيرات والمصادر العربية في مؤلفات ألفونسو العاشر الحكيم

إن الناظر إلى خريطة تاريخية سياسية لأوربا وأفريقيا وغرب آسيا من القرن ٩ و ١٠ م يرى أن أكبر جزء من أجزاء العالم المتدين حينئذ داخل ضمن حدود الإمبراطورية الإسلامية التي كانت تمتد من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً . ولما كانت الثقافة الإسلامية مزدهرة في إسبانيا في ذلك الحين وكان لها أثر جدي في الثقافة الإسبانية فقد غدت بذلك حلقة اتصال بين الثقافتين العظيمتين في العصور الوسطى وأصبحت بذلك ذات مظهر فريد لم يكن له مثيل حتى عصر النهضة .

وقد أخذت المسيحية في القرن ١٣ م تقدر غنى العلوم الاغريقية والفارسية والعربية وبذلك حمودات جباره للمشاركة فيها وعندما وصلت إلى حالة التعادل كان لـألفونسو العاشر ومعاونيه من علماء اليهود والعرب والمسيحيين الفضل الأول في إدخال العلوم العربية إلى الثقافة المسيحية في العصور الوسطى .

وكان ألفونسو العاشر معجباً أشد الامتعاب بالثقافة والحضارة الإسلامية التي قدر له أن يشاهدها عندما أتاحت له الظروف أن يزور الأندلس في صباه فعمل على استدعاء العلماء المسلمين واليهود وأسس المدارس والمعاهد وقام بترجمة كثير من المؤلفات التاريخية والرياضية وغيرها إلى اللغة الرومانية . ويمكن اعتباره رمزاً للثقافة الإسبانية في العصور الوسطى .

وبالرغم من أننا نعلم الكثير عن هذه المؤلفات إلا أنها لم تتمكن حتى الآن من تحديد التواريخ أو التعمق في الدراسة لنكشف عن مدى أثر الفلسفة والتاريخ في مؤلفات ألفونسو وبالتالي أثر العنصر العربي في حضارة العصور الوسطى . ولذا كان من الواجب علينا أن نكشف عن مدى انتشار وتدخل العنصر الشرقي إذ أن في ذلك الأمر ما يساعد على معرفة موقف ألفونسو تجاه هذه العلوم ، ولكن ذلك جهد شاق يحتاج منا أن نتأكد من معارفنا وفحص ما يصل إلينا من

معلومات ولذا كان أمر دراسة المصادر العربية على جانب كثير من الأهمية فهى من حيث الموضوع أساسية ومن حيث الشكل لها تقدير عظيم ولن نتمكن من التعرف عليها كلها دون القيام بعمل إحصاء دقيق لها .

في الفلك وهى الشاغل الأساس لألفونسو نراه يقتبس عمل ابن الرجال الذى توجد منه مخطوطات كثيرة لم تنشر بعد ولم يقدم أحد إلى الآن بعمل دراسة مقارنة بين النص الإسبانى والعربى على الرغم من أهمية هذه المقارنة إذ تعطينا فكرة عن طريقة أسلوب الترجمة الألفونسية وقيمتها نسبياً من حيث التعرف على أحوال مدرسة المترجمين وما يدعوه إلى الغرابة هنا التشابه الشديد في الاصطلاحات .

أما في التاريخ والقصص فالطريق شائك والنجاح مشكوك فيه وأسوأ ما في الأمر أن الذى يريد عمل مقارنة يهز أمامه سؤال مضلل قد يؤدى إلى ضياع جهوده لأن المصادر محفوظة وكثيراً فى مكان غريب خلف أبواب محصورة مفاتيحها مفقودة ولا نعلم كيف نتعامل معها وباختصار — نجد :

(١) ندرة ذكر أسماء المؤرخين والتواريخ في مؤلفات ألفونسو وأحياناً كثيرة نجد إسم واحد منهم وبالرغم من تعدد ذكر هذه الأسماء أحياناً إلا أنها لا تكفى لتقسيمها وتبويتها .

(٢) التحرير في الأسماء بحيث تصبح أغزاراً إما للخطأ في كتابتها مما قد يرجع إلى عدم حرص الكاتب ، أو لجهل الناشر ، أو لترك الأسماء غير كاملة وأحياناً نجد الأسماء صحيحة مكتوبة وفق النطق وأحياناً أخرى نجد تحريراً فيها مثل بطريق الاسكندرية الذى يسميه العرب سعيد بن بطريق وهو صاحب كتاب نظم الجوهر وهو تاريخ مصر . أو وهب بن منبه الذى احتفظ بعض الأخبار الخرافية عن تاريخ مصر أو محمد بن العباس بن محمد بن يحيى اليزيدى معلم أولاد المقتدر أو عبد الله ويرى ميامس أنه أبو مروان عبد الله ابن

خلف الاستيжи ويرى شتيفر أنه عبد الله أو عبد الله بن الحسن أبو القاسم المعروف بغلام زحل .

وقد يكون البحث الموضوعي أفضل وأئمّر إذ يساعدنا على معرفة مصادر ألفونسو وإذا بحثنا في كتابه التاريخ العام مما يتعلق بمصر القديمة والقصص نراه يشير إلى كتاب المسالك والملك للبكري وفيما يذكره ألفونسو عنه أنه ألف كتاباً عن تاريخ مصر ولم ينشر هذا الجزء إلى الآن من مخطوطات البكري .

والشخص الثاني الذي يشير إليه هو ابراهيم بن وصيف شاه المصري وكتابه المسمى كتاب جواهر البحور ووقائع الأمور ومجائب الدهور وأخبار الديار المصرية ولا يوجد منه غير أجزاء مفرقة في مكتبات أوربا والشرق وبعض ما يوجد في مؤلفات ألفونسو من هذا الكتاب لم نعثر عليه في الجزء العربي فهل يمكن العثور على جزء آخر منه .

ويختتم بحثه بضرورة دراسة الوثائق دراسة مقارنة إذ تكشف عن كثير فثلا توجد فقرة منسوبة إلى ابن وصيف في حين أنه يجب أن تنسب إلى المسعودي

# السيور خوسيه أورتيجا جاسيت

الفيلسوف الإسباني

فقدت إسبانيا في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٥٥ أحد علمائها الأجلاء وفيلسوف عظيم من فلاسفة القرن الحالي بوفاة السيور خوسيه أورتيجا جاسيت وحضر معها العالم هذه الشخصية الفذة التي طبقت شهرتها الآفاق وحازت مؤلفاتها إعجاب وتقدير الناخص والعام .

ولد الفقيد في مدريد في ٩ مايو سنة ١٨٨٣ وتلقى دراسته الابتدائية بها والثانوية بمدرسة للأباء الجوزويت بمقالة حيث استطاع التمكن من اللغة اليونانية واللاتينية أما دراسته الجامعية فقد كانت بالجامعة المركزية بمدريد بكلية الآداب حيث حصل على الليسانس فالدكتوراه عام ١٩٠٤ كما درس أيضاً بعد ذلك في جامعات المانيا في ليزج وبرلين وماربورج وهناك استطاع أن يتفهم ويقف على دقائق فلسفة كنـت .

وقد ظهر نبوغه وتفوقه وعبقريته منذ حداثة سنـه الأمر الذي رشـحـه لأنـ يشغل منصب الأستاذـيةـ في المدرسة العليا للمعلـمينـ ولهـ منـ العـمرـ ٢٥ـ سـنةـ تقـرـيـباًـ . ثمـ شـغلـ بـعـدـ ذـلـكـ كـرـسـيـ الـاـسـتـاذـيـةـ لـمـادـةـ الـمـيـافـيـزـيـقاـ فـيـ الجـامـعـةـ المـرـكـزـيـةـ بمـدـرـيدـ .

ومن أشهر مؤلفاته :

*Meditaciones del Quijote*

تخـيلـاتـ دونـ كـيـخـوتـ

*Descartes y el Método transcendental*

*La sensación y la realidad*

الإحساسـ والـوـاقـعـ

*La rebelión de las masas*

ثـورـةـ الجـمـاعـاتـ

ويأسـ المعـهدـ المـصـرىـ للـدـرـاسـاتـ الإـسـلـامـيـةـ بمـدـرـيدـ كلـ الأـسـفـ هـذـهـ الخـسـارـةـ الفـادـحةـ وـيـقـدـمـ أـخـلـاصـ عـبـاراتـ العـزـاءـ إـلـىـ الـأـمـةـ الإـسـبـانـيـةـ وـالـعـالـمـ أـجـمـعـ .

## تصویبات

أقرأ	سطر	صحيفة
رقم ٢ صحيفة ٥	هامش ٢	٦
أدبياً	١٥	٨
بيغداد	١٦	١٩
أضف الحلل السنديمة الطبعة الأولى مصر ١٩٣٦	هامش ٢	٢٠
أخذ	٧	٤٤
(fol. 5 v.)	١٦	٥٠
وفي صحيفة ٦٧	هامش ١	٥٠
وزد ؟	٥	٧٠
ومن	١٣	٨١
مشرفة	٣	٩٥
ينيروفت	١١	١٢٨

ونلفت نظر القارئ الكريم إلى بعض المهن الأخرى التي لا تخفي عليه

